

## **الكتاب الرابع**

### **الصحيفة الرابعة**

**في**

**شأن حكام بدليس وأمرائها وهم آباء جامع هذه الرسالة**

**وتشتمل على مقدمة وأربعة أسطر  
وذيل (التقدمة) في التعريف ببلدة بدليس وقلعتها وبانيها  
والباعث على تشييدهما**



بگو ای سخن کیمیای تو چیست؟ عیار ترا کیمیا ساز کیست؟  
 که چندین نگار از تو بر ساختند هنوز از تو حرفی نپرداختند  
 اگر خانه خیزی قرارت کجاست؟ ور از در درآیی دیارت کجا است؟  
 ز ما سر بر آری و با مانهء نمایی بما نقش و پیدا نهء  
 ندانم چه مرغی باین نکویی ز ما یادگاری که مانند تویی<sup>(١)</sup>

قل لي: أيها الكلام! ما حكمتك؟ «كيميائك؟»، ومن الذي نقد عناصرك حتى أصبحت تحاك منك التصاویر والتماثل ولكن لم يُقلْ لآن بشأنك حرف واحد إن كنت من سكان البيوت فأين مقرك، وإن كنت تدخل من الخارج فأين موطنك؟ تبدى رأسك من بيننا ولست منا، ترينا صورتك المنقوشة ولكن ليس لك مظهر في الخارج. لا أدري أي طائر أنت؟ بهذا الشكل، يا من!! أنت الذي تبقى التذكار الوحيد بعدنا!).

غير خاف على آراء أولي الرأي من معماري البلاد والأمصار، وعلى ضمائر حلالي المشكلات المنيرة من مهندسي القلاع والأسوار، أنه لما كان استنباط الحالات الغريبة في هذه المعمورة المحيطة بالعالم، واستخراج النوادر التي تتفق لمعظم بني آدم فيما يختص بتدوين فن السير وأسباب الإحاطة بالأخبار، لا يتيسر لكل شخص بسهولة إلا بعد البحث العميق، قمنا بتصفح الكتب المتداولة حتى عرفنا «أن بدليس من آثار إسكندر الرومي<sup>(٢)</sup>، فقد أورد حمد الله المستوفي القزويني في كتابه زينة القلوب<sup>(٣)</sup> أن منبع نهر دجلة واقع على حصن إسكندر ذي القرنين وفي ميفارقين تختلط به بقية فروع المتحدرة من جبال كردستان!.

(١) جرى تصحيح الأبيات الفارسية حسب النسخة المخطوطة الموجودة في مكتبة بودليان بلندن.

(٢) هو اسكندر بن فيليب «فيليبوس» المقدوني اليوناني، ولد سنة ٣٥٤ ق.م في مكدونيا وتولى الملك سنة ٣٣٦ ق.م، وكان عمره آنئذ ١٨ عاماً، وتوفي عام ٣٢٢ ق.م، وكانت مدة ملكه ١٤ سنة. إلا أنه تمكن خلال هذه المدة القصيرة من إخضاع الثورات في بلاده ومن فتح القسم الأكبر من آسيا وأوروبا وأفريقية، وقد حارب دارا آخر ملوك الأخمينية الفارسية قرب إربل فدحره، وطارده حتى همدان، وقضى على دولته نهائياً. ثم اتخذ بابل عاصمة لبلاده حتى توفي. وهو الذي يسميه القرآن الكريم (ذا القرنين). حسب رأي المفسرين..

(٣) (نزهة القلوب) كما في الأصل الفارسي في النسخة المخطوطة..

وقد املني اسمها في بعض الكتب التركية والفارسية (بتليس) بالتاء، ولكن ذلك خطأ، إذ يظهر من أقوال أصحاب الأخبار ومن أشهر الروايات أن بدليس كان عالماً لاحد المماليك الذي بنى هذه القلعة والبلدة. على أن صاحب<sup>(٤)</sup> القاموس المحيط في اللغة ذكر أن بدليس يطلق على موضع طيب الهواء عذب المناخ<sup>(٥)</sup>. ولقد أدخل بعضهم بلدة بدليس في نطاق آذربيجان، وعددها آخرون من ولاية (الأرمن = أذنه = كليكيا). ولكن أكابر الآفاق<sup>(٦)</sup> أجمعوا على أنها داخلية في الاقليم الرابع.

ومحصل تلك الأقوال النادرة التي أدلى بها نقلة الأخبار وحملة الآثار، ودبجوها ببيراعاتهم المعبرة عن البلاغة أنه في الوقت الذي مر فيه الاسكندر بكورة بابل والعراق العربي، وأقبل نحو الروم = الأناضول، كان قد سلك الطرق المارة بضفاف شط العرب<sup>(٧)</sup>، فاعتزم عرض المياه المنصبية في النهر المذكور من الجوانب والأطراف، على رأي الحكماء<sup>(٨)</sup> لتحليلها، ومعرفة ثقلها من خفيفها، ومنافعها للشرب من ضارها، وامتياز بعضها على بعض. وهكذا واصل المسير حتى بلغ مصب نهر آمد (بدليس) في دجلة، فحللوا ماءه، فعلموا أنه أخف المياه وأعذبها، فاغترف منه غرفة شربها، فوافقت خفته طبعه. ثم سلك الطريق المار بضفاف هذا الرافد، حتى بلغوا ملتقى ماءي كسور ورباط. فلما حللوا الماءين، وجدوا ماء كسور أخف من ماء رباط وأعذب. ثم سلكوا ضفاف رافد كسور حتى بلغوا العين التي ينبع منها هذا الماء.

---

(٤) هو الإمام مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب التصانيف الكثيرة، منها (القاموس) (وسفر السعادة).

(٥) الذي ورد في القاموس المحيط (٢: ١٩٩) هو أن (بدليس) بالكسر بلد حسن قرب خلاط. ولم أجد غير هذه العبارة شيئاً بعد البحث الطويل.

(٦) يعني الملمين بتقاويم البلدان «الجغرافيين».

(٧) غير خاف أن نهر دجلة لا يسمى شط العرب ما لم يختلط بنهر الفرات في القرنة بلواء البصرة.

(٨) يعني الخبراء في الجيولوجيا والكيموجيا.

منور همچو چشم پاك بينان	مصفا چون دل خلوت نشينان
فموده همچو عينك از سياهی	رسیده قعر او تا گاوو ماهی
بجاي برك، چندین عينك آورد	گياهی كاندرو نشو و نما كرد
پنا آورده سويش چلهء دى	ز بيداد تموزو گرمى وى
نيارد عكس، دروى، غوطه خوردن	بحدى ســـــرد كز بيم فسردن
كه شويد، دروى از عارض غبارى	كـــــند گر زنكي ي آنجا گذارى
كه بتوان ديد: دروى، عكس ادراك	شود از گرد ظلمت آنچنان پاك

(ماء قراح كقلب الناسكين، شفاف نوري كعين كعين أصحاب البصائر. بلغ قعر عمقه حتى الثور والحوت<sup>(٩)</sup>، يعكس الأشياء لصفائه كعين الانسان. إن أعشاباً نبتت فيه ونمت، جادت بالأعين بديلاً عن الأوراق، هرباً من هاجرة تموز وحره، جاءت أربعينية الشتاء تعرض عليه احتماءه. وقد بلغ من البرودة درجة لا تستطيع الغطسة من الانعكاس خوفاً من الانجماد. فلو أن زنجياً اجتاز بتلك الأطراف، وغسل فيه غبار عارضة فإنه يتنظف من غبار الظلمة حتى يرى فيه عكس الإدراك).

فظهرت تلك المناظر الجبلية الرائعة والعيون المتدفقة لناظري اسكندر في غاية اللطافة والبداعة، فاختار منها مكاناً لم تر عين الدهر على ممر الأزمان مثيله، ولم تسمع آذان القرون من الأفواه والألسن بأناشيد وصفه. غطته النجع الخضرة والمروج النضرة، وغمرت صحنه السنابل والرياحين، وكسا جباله الرداء الأخضر الزمردي حتى حكى الخضر<sup>(١٠)</sup>، وأشتملت أشجاره بأنواع الخلع.

نم از سرچشمه حيوان گرفته	هوايش اعتدال از جان گرفته
درو گلهای رنگارنگ رسته	زمينهايش ز آب أبر شسته

(٩) اشارة إلى الأسطورة الخرافية من أن الأرض واقفة على قرن ثور قائم على ظهر حوت في بحر لا يعلم قعره إلا الله جل جلاله.

(١٠) يعني الخضر صاحب موسى عليه السلام، وهذه اشارة إلى القصة الخرافية الواردة بشأنه في الأساطير الإسرائيلية من أنه أينما كان يحل، فالأرض تخضر له...

بساطش در نقاب گل نهفته      گل ولاله است كاندر هم شگفته  
گلش چون گلرخان پرورد ناز      نوای بلبلاش عشق پرداز  
رسیده سبزه هایش تا کمرگاه      درختانش زده بر سبزه خرگاه  
اگر مرغی بشاخش آرمیدی      گشادي سایه اش بال و پریدی

(لقد اكتسب هوائه الاعتدال من الروح، والطراوة من عين الحياة. وأرضها تنظفت  
بغيث السحاب فأينع وردھا الملون، وقد اشتمل وجه بسيطتها شملة من الأزهار،  
تفتحت ورودها وأورادها كوجنات الفاتنات الوردية ربيت في دلال ونغمات بلابلها  
تشير في المرء الوجد والغرام. لقد سمقت نباتاتها حتى الكمر، وعلت أشجارها حتى  
أظلت أرضها المخضرة. فلو أن طيراً حط على أفنانها، لانقلب ظلها جناحاً وطار).  
وخلصه المقال أن مناخها وعذوبة مائها، وطيب هوائها، وافقت الإسكندر  
فأعجب بها، وضرب بها سرادات أمنه، وأقام بالقرب من النبع المذكور بضعة أيام  
استجم خلالها راحته، وبسط بساط العشرة والتمتع وتعاطى من كف سقاة (تحكي  
سيقانهم قضباناً فضية، وطلعاتهم أوراداً محمرة) أقداحاً، واستمع إلى قيان  
غانيات يطرب لصوتهن أهل الأرض والسماء، وأخذ مرضه (الذي شاع عنه بين عوام  
الناس، وتداولته الألسن والأفواه، بأنه كان قد نتأ فوق رأسه عظمان كقرني الثور،  
فكلما حاول الحكماء الحُنُق والأطباء النطاسيون استئصاله، وبذلوا في ذلك الجهد  
الموفور، والسعي البليغ، لم ينجحوا). يخف يوماً، فيوماً، بل إنه بريء تماماً بعد أن  
لبث ثمة أياماً وأصبحت تلك العارضة الطارئة كأن لم تكن.

ويوجد الآن مكان مسوى مسطح بالقرب من ينبوع المذكور الذي يدعى حتى  
الآن (چشمهء إسكندر - نبع إسكندر) اشتهر بين الناس باسمه.

وأخيراً بعثت عذوبة مناخها الإسكندر على أن ينشيء ثمة مدينة حصينة ذات  
قلعة منيعة، تخلد بعده قرناً بعد قرن، وبطناً بعد بطن. فأمر مملوكه المدعو بدليس أن  
ينشيء بها قلعة محاطة بمدينة مسورة تبلغ الغاية في المنعة والحصانة وقال: لا بد أن  
تكون بحيث لو اعتزم ملك مثلي احتلالها لا يتمكن من إيصال الوهق إلى  
شرفاتها!.

فقام بدليس لتلبية لأمره المطاع ببناء القلعة والمدينة على بعد فرسخين من ينبوع  
المذكور، وسط رافدي كسور ورباط في محلها الحالي نفسه، أنجز بناءهما في مدة

وجيزة. فلما عاد الإسكندر من السفارة التي قام بها إلى إيران وتوجه إليها، لم يكن من بدليس إلا أن تحصن في القلعة وأغلق أبوابها، وتظاهر بالتمرد والعصيان، وأعلن استعدادة للمناجزة والدفاع، وأخرج الرقبة من ربة العبودية. فكلما أوفد الإسكندر إليه الوفود، وأسدوا إليه النصائح الثمينة، لم يذعن لأمره، ولم يأبه له، ولم يزل محكماً حلقات الباب في وجوههم. فلما أدرك الإسكندر أنه ركب هواه وأن قلعته منيعة لا تقتحم، غض عنه النظر وتركه وشأنه. إلا أنه ما كاد يبتعد مرحلة واحدة حتى فتح بدليس باب القلعة وتقلد سيفاً ولبس كفنًا وحمل معه مقاليد القلعة وقصد سدته السنية، وبعد أن حياه وأبدى التذلل والاستكانة، قال له: لم تكن هذه الثورة التي قمت بها إلا تلبية لما تفضلتم به عند البدء بالبناء، فقد قلت آئذ (لتكن القلعة من الحصانة بحيث لا يتيسر لفاتح مثلي الظفر بها، وألا يصل إلى شرفاتها وهق الخواقين والسلاطين الراغبين في احتلالها، ولا يبلغ إليها طائر عقول أرباب البصائر من أولى الضمائر النيرة، فيتمكن بقوادهم إدراكه من مس شرفات أساسها) وقد أقدمت بحسب أمركم ذلك على هذا العمل، واوجفت جواد العصيان والمخالفة في ميدان الوقاحة والآن، فإنني خاضع مذعن لكل عقوبة يفرضها علي السلطان الأعظم! فأعجب الإسكندر بحكمة بدليس واستحسن رأيه، فسمى المدينة والقلعة باسمه تخليداً لذكوره، وناط به حكومتها وإمارتها بحسب نظام الإقطاع التمليكي، ورفع منزلته إلى أوج الرقي.

ولما كانت مدينة بدليس مثلثة الشكل، فإنها لم تخل يوماً ما من الانقلاب والاضطراب<sup>(١١)</sup>، وقد بلغنا من الرواة الثقات أنه في قديم الأزمنة كانت الأفاعي والحيات قد كثرت في القلعة للغاية، فتنغصت من جرائها معيشة السكان، وسئم الأهلون من الحياة. وأخيراً نصب الحكماء على باب القلعة طلسماً<sup>(١٢)</sup> أدى إلى تضائل الحيات، وعدم إيذائها الناس. وإلى الآن ترى صور رجال في يدهم الحيات منقوشة على الأحجار الموضوعة في جدران البنايات. ويدعى ذلك طلسم الباب<sup>(١٣)</sup>.

(١١) لم أفهم لهذه الفقرة مغزى، إلا أن يقصد بها أن الأكراد يتشاءمون من لفظة الثلاثة ومشتقاتها وما يتألف منها.

(١٢) الطلسم: خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنه يدفع بها كل مؤذ.

(١٣) لاشك أن هذه الفكرة ناجمة من تعظيم الأكراد للأفاعي والحيات شأن جميع الشعوب البدائيين

مدينة بدليس في مضيق<sup>(١٤)</sup> واقع بين آذربيجان وديار بكر وربيعة = الموصل والأرمن = أذنه = كليشيا! بحيث إذا أراد حجاج تركستان وهندستان أن يتوجهوا نحو الحرمين الشريفين<sup>(١٥)</sup> (زادهما الله تعالى تشریفاً وتعظيماً) من إيران والعراق وخراسان = الأفغان، أو إذا ابتغى سياحو جدة<sup>(١٦)</sup> وزنگبار = زنجبار<sup>(١٧)</sup> أو تجار خطا<sup>(١٨)</sup> وختن<sup>(١٩)</sup> وروسيا وسقلاب = صقالبة<sup>(٢٠)</sup> وبلغاريا، أو كسبة بلاد العرب والعجم = إيران، بل المتجولون في أكثر بلاد العالم، فاذا لم يروا من نفق<sup>(٢١)</sup> صخرة

القدماء الذين كانوا يعبدون القوى الطبيعية وظواهرها. ولا تزال هذه العقيدة سائدة بين النحلة اليزيدية، ومسطورة في بعض الأساطير الإسرائيلية المدسوسة في بعض الكتب الإسلامية. حتى أن الأغرار من عوام المسلمين يعتقدون أن الشيطان الذي أغوى آدم عليه السلام إنما تمكن من دخول الجنة بالاستخفاء تحت لسان الحية. ويجتنب بعض الناس قتل الحيات التي في سقوف البيوت باعتبار أنها عوامر وأنها ممسوخة من الجن، كما أن القردة ممسوخة من اليهود، وينقلون في ذلك الشأن أحاديث كثيرة لا تصح.

(١٤) هكذا بالأصل، ولعله يعني أنها واقعة في مضيق، إذ هي كما يصفها السائح الفرنسي مسيو بارن تاوارنيه «محاطة بجبلين منيعين» وتقع القلعة وسطها، وهي مشيدة فوق قمة جبل مخروطي الشكل لا يرتقى إليها إلا من طريق واحد. وتتألف القلعة من أسوار ثلاثة اثنان منها واسعان، وأحدها ضيق بداخله قصر الأمير، أما المضيق فليس في الدنيا كلها مضيق مثله، فإن عشرة رجال يستطيعون تعويق ألف نفر من اقتحامه.

(١٥) يعني بهما مكة المكرمة والمدينة المنورة.

(١٦) جدة: ميناء مهم في الأراضي الحجازية تقع على ساحل البحر الأحمر «القلزم».

(١٧) زنگبار: هو الميناء العامر الواقع في ساحل إفريقية الشرقية.

(١٨) خطا (بكسر الحاء) اسم لإحدى الاقاليم في الصين، كانت لها شهرة واسعة. وجاء ذكرها في الأشعار الفارسية والكردية. وزارها رحالة العرب (ابن بطوطة) ولبث في حاضرتها (خان بالغ) أياماً طويلة، وهي المعروفة اليوم باسم منغوليا الداخلية.

(١٩) خوتان: مركز تجاري عظيم في تركستان الصينية «سنكيانج» يقع وسط واحة أهلة بالسكان، يكثر حولها شجر اليشب. وقد ورد ذكرها كثيراً في الأشعار الفارسية والكردية إلى جانب خطا المذكورة وأطرى الشعراء جمال نسائها.

(٢٠) الصقالبة: شعوب كانت بلادهم تماخيم بلاد الخزر، ثم انتشروا منها إلى بلاد سواها من أوربة. وهم المعروفون اليوم بالعنصر السلافي.

(٢١) النفق: سرب في الأرض له مخرج إلى مكان معهود.



بدليس المنقورة لا يمكنهم اجتيازها<sup>(٢٢)</sup> وهذه الصخرة المنقورة تقع على بعد فرسخ من المدينة في الناحية الجنوبية منها. وكانت في الأصل ماء كلما نبع من الأرض انجمد وتكلس سريعاً<sup>(٢٣)</sup>، وقد تراكم منذ القديم حتى صار سداً منيعاً صعباً على المترددين اقتحامه. فقامت خاتون خيرة من خيرات نساء عهدا - وكانت قد شيدت في مدينة بدليس مسجداً وقنطرة عظيمة لا يزالان يعرفان بمسجد خاتون وقنطرتها - تنقب تلك الصخرة فسهلت السبيل لممر الناس واجتياز القوافل. وهي موضع ميمون يأوى إليه أهل الله والرجال الأخيار من المشايخ وأولياء الله.

يروى الواقدي<sup>(٢٤)</sup> عن نوفل بن عبدالله أنه في أيام خلافة عمر رضي الله عنه سير عياض بن غنم سنة سبع وعشرين من الهجرة<sup>(٢٥)</sup> (٦٦٨م) إلى فتح ديار بكر والأرمن = أذنة = كليكيا. وكان يحكم مدينة أخلاط حينئذ حاكم مسيحي اسمه يوسطينوس ويحكم بدليس سرون بن يونس من البطارقة، ويتقلد زمام الحكم في موش وصاصون مسيحي آخر اسمه سناسر وكان زعيمهم وصاحب أمرهم يوسطينوس المذكور، وكان قد اتخذ ابنته المدعوة طارون ولية عهد على مملكته.

وأورد مؤلف فتوح البلاد<sup>(٢٦)</sup> أن الأب كان راغباً في انكاح ابنته من ابن عمه بغوز بن سرون حاكم بدليس. أما البنت فكانت تميل إلى موش بن سناسر، فقد كان شاباً جميلاً تحلى بالحسن والبهاء واتسم بالملاحة والسخاء... وفيما أخذ هؤلاء

(٢٢) لم افهم مغزى هذه المبالغة، اللهم إلا أن يريد المؤلف إظهار معلوماته الواسعة، واطلاعه الجم!

(٢٣) أعتقد أنه كان هناك بركان أذاب الحمم ولكنه برد أخيراً وتجمد.

(٢٤) هو أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي مؤلف كتاب فتوح الشام. وقد وردت هذه الفقرة مشتتة في المجلد الأول في الصفحات (٦١-١١٧) لذلك كان إيراد الأصل يسبب نقل كل تلك الصفحات.

(٢٥) لعله يريد السنة السابعة عشرة الهجرية، إذ في هذه العبارة خطئان جليان، هما: (أ) أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن في (٢٧هـ) حياً، بل توفي في ذي الحجة سنة ٢٣هـ (٦٤٤م). (ب) إن عياض بن غنم إنما سار إلى غزو الجزيرة وما وراءها سنة ١٨هـ (٦٣٩م). لا في ٢٧ كما أوردها ويظهر لي أن الواقدي لما كان من الشيعة المغالين كان يؤرخ من البعثة، لا من الهجرة.

(٢٦) يعني كتاب فتوح البلدان لمؤلفه (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري... وقد ورد هذا في البحث في (ص ٢٠٢-٢١٠).

الحكام المسيحيون يرسلون أبناءهم لنجدة مريم بن داراب<sup>(٢٧)</sup> وإلى آمد = ديار بكر حضرت طارون أيضاً هذه السفارة بدلاً عن أبيها. فلما التقت بموش بن سناسر، أفلت زمام إرادتها من يدها ولم تتمالك ضبط نفسها، بل اتصلت به خلصة وتفاهمت معه. ثم غادرا المعسكر هارين، وقصدا عياض بن غنم حيث تشرفا بشرف الاسلام وتزوجت طارون من موش. ثم راحت تحبك مع أصحاب عياض مكيدة، ففرت من معسكر المسلمين ولحقت بأبيها، وقالت له: إن موشاً أكرهني على الإسلام، فرفضت واضطرت إلى الرجوع! وقد قصدت من وراء ذلك أن تنتهز الفرصة من أبيها فتقتله. ثم تمكنت منه وسلمت أخلاط لجيش المسلمين صلحاً.

أما سروند حاكم بدليس، فقد تمكن بوساطة يوقنا من التعهد بدفع إتاوة قدرها مئة ألف دينار وألف بالة من الأقمشة والديباج الإفرنجي وخمس مئة رأس من الجياد الأصيلة ومئة رأس من الجياد العادية إلى عياض وهكذا تم بينهما الصلح.

إن سكان مدينة بدليس أكثرهم من الأرمن، والمسلمون فيها جميعاً يتبعون مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه عدا نفر قليل كان آباؤهم اتبعوا الأتراك المسيطرين على بلادهم في تقليد مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه. أما سكان الولاية فجميعهم من أتباع المذهب الشافعي. وهم تقاة ميالون إلى عبادة الله وطاعته. وجميع الأهلين فيها شجعان كرماء يقرون الضيف ويكرمون النزيل. ولقد أسس في كل قرية من القرى التي يسكنها المسلمون، ولو كانت بيتين أو ثلاثة، مسجد، عين له إمام ومؤذن، فيؤدى فيه الصلاة جماعة. وهم يراعون أداء الفرائض والسنن والشعائر الإسلامية.

ولقد نبغ في هذه البلدة الطيبة من أهل العلم والفضل رجال كثيرون، منهم مولاي الأعظم قدوة نحارير العالم حاوي الكمالات النفسانية مولانا عبدالرحيم البدليسي وكان رجلاً مفكراً له حاشية على كتاب المطالع<sup>(٢٨)</sup> في غاية الروعة ومؤلفات أخرى في علمي المنطق<sup>(٢٩)</sup> والمعاني<sup>(٣٠)</sup> تتداولها أيدي الفضلاء ومنهم مولانا محمد

(٢٧) يظهر من لفظة (مريم) أن هذا الحاكم كان امرأة لا رجلاً.

(٢٨) لعله يعني كتاب مطالع الأنوار في علمي الحكمة والمنطق للقاضي سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي. المتوفي سنة ٦٨٩هـ (١٢٩٠م).

(٢٩) علم المنطق - ويسمى معيار العلوم - آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر.

برقلعي الذي كان، في الإمام بالعلوم المتداولة والفقه والحديث، في مقدمة العلماء الفضلاء في زمانه وقد حاز إعجاب الفقهاء. وله على كتابي الحبصي والهندي في علم النحو<sup>(٣١)</sup> تعاليق نفيسة دونها في كتاب أهاده باسم الأمير شرف حاكم بدليس فأعجب به عامة العلماء وخواصهم وقد نشأ في بدليس نفسها. ومنهم حضرة قطب المحققين وبرهان المددققين حافظ أوضاع الشريعة قدوة أرباب الطريقة (الشيخ عمار ياسر)<sup>(٣٢)</sup> مرید الشيخ أبو نجيب الدين السهروردي<sup>(٣٣)</sup>.

وكذلك الپير<sup>(٣٤)</sup> الشيخ نجم الدين كبرا<sup>(٣٥)</sup> قدس الله تعالى أرواحهم، وقد نشأ في مدينة بدليس نفسها. ومنهم صاحب الفضيلة العارف بالله مولانا حسام الدين

(٣٠) علم المعاني: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال. وهو أحد فنون علم البلاغة.

(٣١) علم النحو: علم يبحث فيه عن أحوال الكلمة من حيث الإعراب.

(٣٢) هو عمار بن ياسر من العلماء الكرام، والمشايع العظام، كان خليفة للشيخ أبي نجيب الدين السهروردي الآتي ذكره، توفي سنة (٥٨٢هـ - ١١٨٦م).

(٣٣) هو الشيخ ضياء الدين أبو نجيب عبدالقاهر السهروردي. ولد في قرية سهرورد سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) ورحل في طلب العلم. وهو شاب إلى بغداد فتلقى الحديث من علي بن نبهان، والفقهاء من أسعد بن مهني، وقد بني له رباط في الجانب الغربي من دجلة، وعين في سنة ٥٤٥هـ (١١٥٠م) مدرساً في المدرسة النظامية. ثم توفي سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧م) فدفن في مدرسته بشاطيء دجلة.

(٣٤) پير: لفظة إيرانية يعني بها الشيخ والأستاذ وهي كلمة مخففة من (پدر) الأب الروحي موروثه منذ العهد الزرادشتي.

(٣٥) يعني به أبا الجناب پير نجم الدين أحمد بن عمر الخيوفي المعروف بلقب الطامة الكبرى. وهو مؤسس الطريقة الكبروية. كان عالماً فاضلاً، تصوف على عمار بن ياسر، ثم قصد مصر لزيارة الشيخ روزبهان الكبير فاستفاد من علمه، وتشرف بمصاهرتة. وقد ألف تأليفات وافرة منها بحر الحقائق والمعاني في تفسير السبع المثاني في أحد عشر مجلداً. وكانت وفاته في ١٠ جمادى الأولى لسنة ٦١٨هـ (١٢٢١م). ومن الغريب ما جاء في جامع التواريخ، وتاريخ كزیده ونفحات الانس من أن الشيخ أبا الجناب كان حين حملة جنگيز خان على خوارزم فيها فبعث له چنگيز رسالة إنذار جاء فيها «نحن نريد تدمير مدينة خوارزم وجعلها قاعاً صفصفاً، فأخرج منها لكي تنقذ حياتك» فقال مجيباً: «صاحبت أهل خوارزم سبعين عاماً في الفرح، فلا أتركهم في الترح فقتل في كارثة خوارزم ٦١٨هـ (١٢٢١م) فإن كان هذا الخبر صحيحاً فمتى ترك الشيخ أبو الجناب بدليس؟ ومتى ذهب إلى مصر؟ ومتى رجع إلى خوارزم حتى يستشهد هناك؟»

البديسي<sup>(٣٦)</sup> وكان من العلماء العاملين بعلمه وترتقي سلسلة أساتذته في التصوف إلى الشيخ عمار بن ياسر وقد تمكن ببذل الجهد في ترويض النفس ومجاهدتها من بلوغ درجة الكمال. وألف أخيراً كتاباً في تفسير التصوف.

ومنهم مولانا إدريس الحكيم بن مولانا حسام الدين<sup>(٣٧)</sup> الشهير وكان منصب الإفتاء على عهد السلاطين الآق قويونلية منوطاً به. وأخيراً فاز بمنادمة<sup>(٣٨)</sup> السلطان سليم خان العثماني<sup>(٣٩)</sup> وحضر في ركابه المنصور غزو مصر، وأنشأ بها في مديح السلطان قصائد رائعة ضمن إحداها الأبيات الآتية المعبرة عن ظلامته من سوء حظه:

(٣٦) هو حسام الدين علي البديسي من خلفاء الطريقة النور بخشية نسبة إلى السيد نور بخش سياه پوش وهو السيد محمد بن محمد بن عبدالله الموسوي، أصله من الحسا وكان شيعي المذهب درس في كربلاء والنجف على فهد الحلي وسلك التصوف على يد علاء الدوحة السمناني وخواجه إسحق الختلافي فذهب يقضي الوقت بالتنسك في خراسان فوشى به المفسدون إلى شاهرخ بن الأمير تيمور بأنه يدعى المهدي فانهزم وسكن (ري) ثم التجأ إلى كردستان واختفى فيها ونشر فيها طريقتة، اعتبره أهل الحق أحاً للقديسين عيسى وموسى البرزنجيين. كان عالماً فاضلاً، شرح اصطلاحات الصوفية للشيخ عبدالرزاق الكاشاني في كتاب ثمين، منه نسخة في مكتبة مغنيسيا. وألف أيضاً كتاباً في تفسير القرآن اسمه (إشارة منزل الكتاب) في مجلدين، منه نسخة في مكتبة السلطان سليم في الأستانة، كما كتب على كتاب (كلشن راز) شرحاً فارسياً. وكانت وفاته سنة (٥٧٠٠ هـ - ١٣٠١ م).

(٣٧) أكمل مولانا إدريس هذا دراسته في إيران، ودخل في المناصب الحكومية لأول مرة ككاتب خاص للسلطان يعقوب بن حسن الطويل الآق قويونلي. ثم تدرج في الترقى حتى تسنم كرسي الوزارة. وقد زار في هذه الآونة السلطان بايزيد خان الثاني، وألف له كتاب (هشت بهشت = الجنات الثمانية). ثم تولى منصب التوقيعي لدى الشاه إسماعيل الصفوي. وأخيراً لما رأى انتصارات الدولة العثمانية، انحاز إليها ولازم السلطان سليم إلى بلاد العرب برتبة قاضي عسكر ودعا أمراء الأكراد أن يخضعوا للحكومة العثمانية على أن يتمتعوا باستقلال إماراتهم الإدارية. وكانت وفاته سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م)، ودفن في مقبرة أبي أيوب الأنصاري. وكان يستعمل لقب أميرك في أشعاره، وله ولدان، هما: أبو الفضل محمد أفندي الذي نترجم له ومصطفى علي الذي كان من الأطباء النطاسيين. أما عقيلته فهي زينب خاتون التي بنت في الأستانة جامع (زينب خاتون) المعروف باسمها.

(٣٨) المنادمة: المجالسة على الشرب. والظاهر أن هذا ليس غرض المؤلف، ولعله يعني بها الوزارة.

(٣٩) هو ياوز سلطان سليم خان الأول.

كساد نقد من از جهل تابكي رایج  
 ز مصر جامع فضلم جوی نشد حاصل  
 مگر که مصر شده بر فقیر أرض حرام  
 گرفتم آنکه ندارم در برت حق خدمت  
 بروم و شام و بکرد و دیار بکر مرست  
 بأهل جاه اگر عرضه دهم برشاه  
 چو هست در گهت أي شاه مصر مجمع فضل  
 بین ز عقلي و نقلی و با فنون أدب  
 برآسمان علوم آنکه هست معراجش  
 چگونه رفعت (ادریس) را کند انکار؟!؛

«حتّامَ یدوم کساد نقدي في ظل الجهل، وأنت معيار النّقد لتمييز الفضل الخالص من المغشوش. لم نَفز في مصر الجامعة للفضائل بشعيرة واحدة وقد نال حمول الجواهر جهلة يحاكون الحمير ... لعل مصر أصبحت تجاه الفقير<sup>(٤٠)</sup> أرض الحرام، فحرم عليّ قطف خلال من أشجاره. لو فرضت أن ليس لي معك حقوق خدمات سابقة أفلم يكن هجري الأحياء والديار لأجلك؟ ففي الروم والشام وکردستان وديار بکر لنا أسر کلهم مهمومون مثلي وقد تشتت شملهم وخيم عليهم البؤس فلو عرضت هذه المعروضات بوساطة الوجهاء على الشاه<sup>(٤١)</sup> لقام بنفسه بلف مطوياتها وتسجيلها ... ولما كان بابك العالي يا سلطان مصر، مجمع الفضلاء، فجدیر بك أن تجمع شمل علم کسب الاشتهار. فلاحظ من العلوم العقلية والنقلية وفنون الأدب والفقه والطب والرياضيات، رياض جميع الأشجار. فمن استطاع أن يعرج على سماء العلوم، كيف يمكنه إنكار رفعة إدريس؟<sup>(٤٢)</sup>».

ولقد ألف باللغة الفارسية كتاباً في سيرة السلاطين العثمانيين ضمنه القانون

(٤٠) يعني الشاعر بالفقير نفسه.

(٤١) لعله يعني بالشاه هنا الشاه إسماعيل الصفوي.

(٤٢) يشير بذلك إلى ما ورد في بعض الأساطير من أن النبي إدريس عليه السلام في السماء، وقد جاءت تلك الفكرة الخاطئة من سوء فهم الآية الكريمة: (رفعه مكاناً علياً) المقصود بها المنزلة الرفيعة.

الذي سنوه والحق أنه أبدى فيه فنون البلاغة والفصاحة، ومن المستطاع القول بأنه جاء فريداً في نوعه، في سلاسته وأسلوبه السهل الممتنع وإبداعه. ولما كان مبناه سيرة ثمانية أشخاص من السلاطين سماه هشت بهشت<sup>(٤٣)</sup> أي الجنات الثمانية، وهو يناهز ثمانين ألف بيت من الشعر.

ولما ظهر الشاه اسماعيل الصفوي<sup>(٤٤)</sup> وأخذ يحث أشياعه على قبول مذهب الرافضة<sup>(٤٥)</sup> كان مولانا إدريس قد وضع لذلك جملة تأريخية هي (مذهب ناهق) أي المذهب الباطل فاخترق هذا النبأ مسامح الشاه المذكور فأمر مولانا كمال الدين طيب الشيرازي وكان صاحبه ونديمه الخاص أن يكتب إلى مولانا إدريس كتاباً يستفسر منه فيه عن صحة نسبة تلك الجملة التأريخية إليه وهل هو الذي صاغها؟ فلباه مولانا كمال الدين وامتلأ أمره وكتب إلى مولانا إدريس كتاباً مفعماً بالنكت واللطف إضافة إلى سؤاله عنها. فلما بلغ الكتاب مولانا إدريس ووقف على ما فيه، لم يركن إلى انكار ما سئل عنه بل قال «نعم! أنا الذي صغت تلك الجملة ولكنني سبكتها سبكاً عربياً وقلت: (مذهبننا حق) فسر الشاه اسماعيل جوابه فأصدر الأمر الهاميووني بدعوته إليه وترغيبه في الالتحاق بملازمته. لكن مولانا إدريس رفض ذلك وكتب إليه هذه القصيدة البليغة التي نقتطف منها هذه الأبيات معتذراً بها عن الذهاب إليه:



مرا میدان آباء عن جد غلام خاندان خود	كه جدم خادم جدت براه قدس چاكر شد
ز تلمیذان جد ثاني شاه است والدمهم	كه علم ظاهر آز وي ديد و باطن زو منور شد
طريق بندگي خاص من با شاه حيدر	ز حسن اختلاط بنده همچون شیر و شكر شد
ز حسن اتفاق است اين كه در آيات قرآني	بهر جا نام (اسماعيل) بنام بنده همبر شد

(٤٣) يقول السيد محمد أمين زكي بك: لا بد من التفريق بين هذا الكتاب وكتاب هشت بهشت كچك لمؤلفه (سهى) لثلا يقع الالتباس.

(٤٤) يعني به هنا وفيما بعد الشاه اسماعيل الصفوي الأول مؤسس الدولة الصفوية.

(٤٥) الرافضة: اسم يطلق على سبيل التخصيص على الغلاة في حب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). وسموا بهذا الاسم، لأنهم رفضوا رأي الصحابة في مبايعة أبي بكر وعمر. ويقصد المؤلف بمذهب الرافضة هنا مذهب التشيع المغالي وهذا اللقب أطلقه عليهم العثمانيون.

تتعهدوننا أباً وجداً من غلمان أسرتكم العريقة، فقد كان جدي<sup>(٤٦)</sup> خادم جدكم<sup>(٤٧)</sup> ونديمه في طريق القدس وكان والدي<sup>(٤٨)</sup> أيضاً نديم جد الشاه الثاني<sup>(٤٩)</sup> فقد كسب منه العلم الظاهر وتنور منه باطنه وقد كانت عبوديتي الخالصة للشاه حيدر<sup>(٥٠)</sup> بسبب حسن مخالطتي له كامتزاج الحليب بالسكر. ومن حسن الاتفاق أنه لم يرد في الآيات الفرقانية إسم إسماعيل إلا مقروناً باسم سمي العبد<sup>(٥١)</sup>. وكان ابنه أبو الفضل محمد أفندي المتحلي بحليتي الفضل والعلم قد فاز على عهد السلطان سليمان<sup>(٥٢)</sup> بمنصب دفتردارية روم إيلي = روملي = شبه جزيرة البلقان<sup>(٥٣)</sup> وقضى فيه رداً من الزمن قائماً بمهمات منصبه وقد نجل ولدين نبيلين أصيب بهما في حادثة مؤلمة لم يسبق لها مثيل، وهي أن ابنيه ركبا ذات يوم سفينة

(٤٦) يعني به جده علي البدليسي والد حسام الدين.

(٤٧) لعله يعني جده الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم من سلالة صفي الدين الأردبيلي فقد أراد الاستفادة من نفوذه الروحي في نيل السلطنة، فاضطهده جهان شاه القره قويونلي، فانهزم بأشباعه إلى أنحاء حلب، ثم سار منها إلى ديار بكر حيث حظي بزيارة حسن الطويل الآق قويونلي فأكرمه وأعزه وصاهر ابنه الشيخ حيدر فولد له من ابنته الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية.

(٤٨) يعني به والده حسام الدين.

(٤٩) هكذا في الأصل. ولا يخفى أنه ليس له بعد (جنيد) جد..، لعله يعني أن والده كان ثاني تلاميذ جده.

(٥٠) هو حيدر والد الشاه إسماعيل الصفوي المذكور. ابن جنيد بن الشيخ إبراهيم من سلالة الشيخ صفي الدين الأردبيلي.

(٥١) يشير إلى أنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر للنبي إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام إلا مقروناً بذكر النبي إدريس عليه السلام الذي هو سَمِيٌّ.

(٥٢) يعني به السلطان سليمان القانوني.

(٥٣) ولقد اشتغل بالتدريس مدة في (مغنيسيا)، ثم عين قاضياً في طرابلس الغرب ثم أصبح دفتراً داراً. ولقد اشتغل بهذه الوظيفة زهاء ثلاث وثلاثين سنة وأقام بقية حياته في الأستانة وكان عالماً فاضلاً وأديباً بارعاً. ألف كتباً كثيرة منها: ترجمة تفسير حسين واعظ و ترجمة ذخيرة خوارزم شاه وذيل تاريخ ادريس البدليسي - الذي كان ألفه أبوه - وتأريخي عثماني وقصص الأنبياء وديوان أشعار في اللغات الثلاث الفارسية والتركية والعربية. وله نظيرة لديوان حافظ الشيرازي، وكان كثير الخيرات، أسس جامعاً ومدرسة باسمه في محلة طويخانه. وكانت وفاته ٩٨٢هـ (١٥٧٣م).

في غلطة<sup>(٥٤)</sup> ليتجها إلى الآستانة فهبت عليها بغتة ربح عاصف تلاطمت منها أمواج البحر فاقتزنت بحالهما المحنة فغرقت سفينة حياة ذينك البائسين في غمرة البلاء فلم يستطع زورق الأمل إيصال ذينك المنكودين إلى ساحل النجاة بل انقلب قارب حياتهما في بحر الفناء ودخل بطن حوت الممات فسحقه سحقاً لم يعد لهما خبر بعد ذلك ولا أثر.

¶

كشتى هر كس كه شد غرق بطوفان او پنجهء عكس اندر آب دست شناور شكست

(إن سفينة أي كان إذا غرقت بطوفانه ستكسر ظل الإصبع المنعكس في الماء يد الملاح).

فلم يكن من أبي الفضل أفندي بعد أن اشتعلت نار فراقهما في كبده إلا أن طوى سجل الأمل وأودعه ديوان (كل شيء هالك إلا وجهه) فأحيلت براءة حياته إلى مملكة: (له الحكم وإليه ترجعون) فلف قابض الأرواح سجل عمره فمات عقيماً أبتر ولم يعقب ولداً ذكراً.

والشيخ أبو طاهر الكردي الذي أورد مولانا نورالملة والدين عبدالرحمن الجامي ذكره في كتابه «نفحات الأنس» هو من مدينة بدليس نفسها وفيها ضريحه المزار الفائض بالأنوار في الجانب الغربي منها في حارة كسور.

كما أن شكري الشاعر (الذي لازم ردحاً من الزمن أمراء التركمن<sup>(٥٥)</sup>) ثم خدم شرف خان حاكم المدينة «بدليس» ودخل بعدئذ في سلك ندماء السلطان سليم خان<sup>(٥٦)</sup> فأورد لطيفي الرومي ذكره في كتابه تذكرة الشعراء المؤلف باللغة التركية - وكان قد صاغ الوقائع الحادثة على عهد السلطان المذكور في قالب النظم وألف منها كتاباً سماه (سليم نامه) فأجاد في نظمه حتى نبغ فيه واشتهر) قد كان من قصبة بدليس أيضاً.

(٥٤) غلطة: الجهة الغربية من مدينة إسطنبول.

(٥٥) يعني أمراء الدولتين القره قويونلية والاق قويونلية.

(٥٦) هو ياوز سلطان سليم خان الأول. وقد رافق شكري بك هذا السلطان في سفرته إلى بلغراد وإيران. وتوفي على عهد سلطنته.



وغيرضنا من سوق هذه التراجم هو أن مدينة بدليس لم تنزل منذ القديم داراً للفضلاء والعلماء ومركزاً للألباء والنبهاء. حتى إن العالم الفاضل مولانا موسى الذي يتولى الآن وظيفة التدريس في (المدرسة الشكرية) حدث الفقير<sup>(٥٧)</sup> عن جده مولانا الشاه حسين الذي عمر طويلاً فقطع مئة وعشرين مرحلة من مراحل الحياة وإن بهرام بك ذا القدر الذي كان يتولى الحكم بالنيابة عن الشاه إسماعيل<sup>(٥٨)</sup> ويقوم بإدارة عادل جواز وأرجيش وبارگيري وبصيانة الأمن فيها - لما خاض غمار الحرب ضد عمال شرف خان الذين كانوا يقومون بإدارة شؤون أخلاط ومحافظة الحدود والثغور وسير شرف خان (الشيخ أمير البلباسي) إلى صد عاديته والقضاء عليه نهض زهاء خمس مئة نفر من طلاب العلوم الدينية وأرباب الفضل في بدليس إلى حربه بنية الجهاد الديني وقد تسلحوا جميعاً بالسهام والقسى واصطحبوا جيش الشيخ أمير متجهين إلى أرجيش.

أما مناخ هذه المدينة «بدليس» وماؤها وهواؤها فقد اتفقت جماهير الناس على أنها لا يحيط بها الوصف، كما أن لطافة بسايتها وبهاء عمرانها ليسا قابلين للتعريف وهي كما وصفها شيخ الإسلام أفضل الأنام مولانا عبدالمخلاق بن الشيخ حسن خيزاني وهو من خلفاء الشيخ عبدالله البدخشاني - ومزاره المليء بالأنوار على مقربة من گوگ ميدان وهو مكان ميمون تستجاب فيه الأدعية وتتصل سلسلة طريقته التصوفية بالشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني قدس الله سره العزيز وهذه الأبيات من تلك القصيدة التي وصف بها طيب مناخ بدليس وعذوبة هوائها النسيمي الرقيق وفاضت بها قريحته المجيدة بالدرر والجواهر.

#### ۱۶

آب خضر و نفس عيسى اش از آب وهوا!  
شده از روى زمين باغ ارم ناپيدا!!  
خواست صحراي (ختن) را كند آن لحظه رها  
گفت باد سحرش كين خياليست (خطا)

وه چه (بدليس)! كه شرمنده و خجلت زده اند  
چه مقاميست كه از زهت و پاكيزه گيش  
چه دياريست كه از طيب وى آهو چو شنيد  
تا در آن كوي كند نافهء مشكين را عرض

(٥٧) يعنى المؤلف بلفظة الفقير نفسه.

(٥٨) هو الشاه إسماعيل الصفوي الأول.

مشك چين آمده خاك سرآن كو يك سر      مشرو آنجا كه متاع تو بود خاك بها  
 چه زمين است كه از صفوت خاك خوش او      از گلستان جنان آمده عمريست صبا  
 تا غبارى برد از ساحت پاكش سوى خلد      كه كند غاليله انگيزى جعد حورا  
 يك هر چند كه سرگشته در آن كو گرديد      بغبارى نشدش دسترس از عين صفا

(ما أجمل بدليس! وقد خجل كل من ماء الخضر<sup>(٥٩)</sup> وأنفاس عيسى<sup>(٦٠)</sup> من مائها وهوائها. أحسن بها من مقام أدت نظافته ومنتزهاته إلى أن يضيع عنده إلى الأبد ذكر بستان إرم! وأجمل بها! من ديار لما سمعت بذكرها الغزلان، اعتزمت على أن تترك صحراء (ختن) من فورها لتلتحق بها، لكي تعرض فيها سرتها المسكية، غير أن نسيمها السحري أجابها بأن هذا الرأي (خطا)\*، غطت بسيطتها مسك الصين القادمة إليها، فلا تذهب إليها، فإن متاعك لا يروج فيها ولا تعادل ترابها ما أطيب تلك الأرض التي أسفرت صفوة تربتها عن أن تقصدها من فراديس الجنان ريح صبا! لتأخذ غبار ساحتها النقية إلى جنان الخلد، حتى تتباهى به على غدائر الحور المجعدة، لكنها كلما جالت في أرضها حائرة، لم تحصل على غبار في عرائها المنتقى).

أما فصل الشتاء فيها، فإنه وإن أدت كثرة الثلوج واشتداد البرد الزمهريري إلى معاناة الناس المشقات بضعة أشهر، إلا أن تلك البرودة ليست مما يؤذي. فإن سكانها، من دون فرق بين المعسر والموسر والغريب والمواطن، يحصلون على الوقود الكافي للتدفئة، إذ تباع حمولة بغل من الحطب اليابس بثمن بخس قدره نقرة (أي درهم واحد) وهي تساوي اثنتي عشرة (آقچه = سبيكة ذات فئة أربعة فلوس) عثمانية، حتى إن حمامات المدينة تسجر أيضاً بالحطب... هذا ويصادف أحياناً أن يتساقط الثلج إلى درجة يسد معها الطرق على المارة والمترددین.

ولقد عرفنا منذ القديم أن السلاطين العدول والخواقين العظام، قد شرعوا تمهيداً للمحافظة على الأمن وحماية الطرق، يعفون سكان هذه البلدة: كفرتها ومسلميها، من الضرائب والرسوم والتكاليف العرفية والشرعية. حتى إنهم منحوهم في ذلك

(٥٩) يعني بماء الخضر عين الحياة المعروفة في الأساطير القديمة.

(٦٠) يعني بأنفاس عيسى قوله تعالى: (فانفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله).

(\* لا يخفى على النبيه أن بني «خطا» و«ختن» تجانساً لفظياً ومعنوياً في آن.

الشأن عهداً وأوامر أكدوها باللعن على من خالفها ونقضها. ولقد قام حكام هذه المدينة ببناء المعاهد الخيرية ما بين مساجد وجوامع ومدارس ورباطات وحظائر وحمامات وقناطر حتى إن المرء ليشاهد في المدينة إحدى وعشرين قنطرة شيدت جميعها من الصخور المنحوتة ليعبر الناس عليها فلا يتعطل الغادي والرائح.

تتألف البلدة من ست عشرة حارة، فيها ثمان حمامات<sup>(٦١)</sup>، وأربع جوامع فسيحة كان أحدها فيما سبق من كنائس الأرمن. فلما تمكن الجيش الإسلامي من فتح المدينة، اتخذها مسجداً. ويعرف اليوم باسم الجامع الأحمر «قزل مسجد». وواحد منها من مباني السلاجقة وقد كتب تأريخ بنائه بالخط الكوفي، ويعرف باسم الجامع القديم. وبنى واحداً منها الأمير شمس الدين حين كان حاكماً على المدينة، مع زاوية بجانب گوگ ميدان تدعى شمسية، أما الرابع، فهو الجامع الشرفي. بناه شرف خان جد الفقير<sup>(٦٢)</sup> مع مدرسة وزاوية في حي ماردین، سماها شرفية. وقد عُيِّن لكل من هذه الجوامع والمساجد أئمة ومؤذنون يتقاضون مبلغاً جسيماً من المال لقاء وظيفتهم، ولم نعهد منذ ظهور الدين الإسلامي فيها إلى الآن أن أهمل فيها إقامة الجماعة والجمعة.

وفي البلدة خمس مدارس هي: (الخطيبية) (والحاج بگية) (والشكرية) (والإدرسية) (والإخلاصية) والأخيرة من انشاء الفقير<sup>(٦٣)</sup> وقد بناها عام تسع وتسعين وتسع مئة (١٥٩٠م) بجانب زاوية (شمسية). وهذه المدارس كافة غاصة بطلاب العلوم الدينية وشؤون التدريس فيها منوطة بمدرسين فضلاء بلغاء. ويتولى التدريس في المدرسة الشرفية<sup>(٦٤)</sup> مولانا خضر ببيء = الباباني<sup>(٦٥)</sup> وهو فريد عصره في الإمام بالفقه الشافعي أصولاً وفروعاً ونادرة عهده في معرفة التفسير والحديث. ولقد علم يقيناً أن كل من درس عليه شيئاً من العلوم فاز بدرجة الكمال، ويتولى التدريس في مدرسة (الإخلاصية) شمس الدين مولانا محمد شرانشي

(٦١) وفي نسخة أخرى: عشرون حماماً [محمد علي عوني].

(٦٢-٦٣) يعني بلفظة (الفقير) هنا وفيما بعد نفسه.

(٦٤) لعله يعني بها المدرسة الخطيبية التي ذكرها سابقاً.

(٦٥) وفي نسخة أخرى: خضر خيزاني [محمد علي عوني].

المعروف بين علماء كردستان بعلو كعبه في العلوم وبسمو منزلته. وله اليد الطولي في الإلمام بالتفسير وعلوم الهيئة<sup>(٦٦)</sup> والمنطق والكلام<sup>(٦٧)</sup>. وفوض التدريس في مدرسة الحاج بكية إلى مولانا محمد زرقى الصوفي، وهو متضلع بالفقه حتى لا يجاربه فيه أحد، هذا إلى جانب تقواه وتمسكه بالديانة وصدق القول والعدل. ويتولى التدريس في المدرسة الإدرسية مولانا عبدالله المشهور بلقب رشك - أي الملا الأسود - وقد تمكن بجده وجهده من تسجيلها باسمه، ونال بذلك من الآستانة فرماناً سلطانياً بتوجيه جهة التدريس فيها إليه، وإنه متضلع بالعلوم والفنون العقلية والنقلية حتى ليعد في مقدمة علماء عصره. وهناك عدا من ذكرنا رجال أفاضل آخرون ذوو كفاية ومقدرة في العلم.

وكذلك في بلدة بدليس من الصناع والمحترفين من يشغلون زهاء ثمان مئة حانوت. وفيها إضافة إلى ما ذكرناه بقاع ومبان خيرية كثيرة، وأخص بالذكر من بينها أن المعمار الموفق للخيرات والمبرات، المستجمع للحسنات والصدقات، ملاذ أرباب الطبل والعلم، ومعاذ أصحاب الفضل والعلم، مؤتمن الدولة السلطاني ومعمد الحضرة الخاقاني خسرو باشا أمير أمراء وان، عليه الرحمة والغفران، قد بنى فيها حمامين من الحجر الرخام وفندقين وزهاء مئة دكان «حانوت» ومدبغتين وغير ذلك من المستغلات التي تدر بالخير الكثير. وقد وقف جميعها على زاوية رهوا. ولقد ازدهرت مدينة بدليس بهذه البناءات الحديثة، وحازت شكلاً بديعاً ورونقاً جديداً.

ولقد أرخ الأديب الفاضل البليغ، حاوي الكمالات النفسانية محمد جان أفندي (وهو يمت بصلة النسب إلى أسرة القضاة في هذه المدينة، وإلى بيت الشرف الرفيع، وكان آباؤه وأجداده يتقلدون المناصب العالية) وقت بنائها بجملته (بناء خسروانة - ٩٨٥هـ). وقام بالإضافة إلى ما أحدثه من المباني الخيرية، بأمرين آخرين مهمين أنجزهما في مدة وجيزة، وهما:

١- إنشاؤه بناية رهوا الواقعة بين قرية تطوان ومدينة بدليس، وهي مشتملة على فندقين فسيحين وزاوية شاهقة وحمام نظيف ومسجد جميل منعش للروح وعشرة حوانيت لأرباب المهن والحرف، وجلب لها الماء من محل يبعد عنها بمسافة اثني

(٦٦) علم الهيئة: علم يبحث عن الأجرام السماوية.

(٦٧) علم الكلام: علم يبحث عن ذات الله تعالى، وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد.

عشر ألف ذراع تقريباً، حتى جعل ذلك المحل بحيث تبدو عليه آثار العمران. ثم جاء بما يناهز ثلاثين أسرة من المسيحيين والمسلمين، فأسكنهم فيها، ووقف عليها تلك المناطق والأرضين (التي أنعم بها السلطان مراد خان عليه الرحمة، على سبيل الملكية) ليصرف ريعها في تهيئة الطعام للمتردددين، وما يحتاجون إليه من الضوء وغيره، وكل من يمر بها سواء أكان من الأمراء والأعيان أم من الترك والتاجيك<sup>(٦٨)</sup> أو العرب والعجم أو الأحرار والعبيد أو المواطنين والدخلاء ينال قسطه من الخدمة والعناية.

والحق أن هذا المحل، بالرغم من أن بين بدليس وتطوان قرى أخرى كثيرة، وفنادق عديدة، هو المحل الوحيد الذي أمن الأرواح؛ لأن ما كان يتساقط في هذه المنطقة من الثلج الذي يولد البرد القارس (وقد قدر أحد أعيان بدليس تساقطه في شتاء إحدى السنين بستين وجبة) كان يؤدي في كل عام إلى إزهاق نفوس أبرياء من التجار والمتردددين. وكلما حاول السلاطين العظام والحكام الكرام - وبالأخص آباء مؤلف هذه الرسالة وأجداده العظام - الحيلولة دون تجدد تلك الحوادث بإقامة بعض البنايات في تلك المنطقة وشرعوا في وضع أساسها عدة مرات ورفعوها بحيث بقي للآن من أطلاله نحو قدم أو ذراع، إلا أن تقلبات الأيام ولواعج الحدثان حالت دون إنجازها.



«تا كرا بخت، تا كرا روز» أي «ليعلم لمن الحظ ولمن اليوم المقدر» ومنذ عشرين سنة مضت حتى الآن، لم يفقد - بفضل جهود الباشا المذكور وبمن أنفاسه - أحد في هذه الأنحاء. بل إن المارة من الحجاج والزوار والتجار وأبناء السبل يترددون فيها بسلام ويواصلون مسيرهم في جو هاديء.

٢- إنشأه في بلدة (وان) جامعاً شاهقاً أرفهه بمدرسة، وبنى إلى جانبيهما مَحَلًّا أعدده ليدفن فيه بعد موته مع زاوية فسيحة جميلة. ولقد عين حفاظاً «مقرئين»

---

(٦٨) تاجيك: جيل من الناس كانوا يسكنون إيران. وكانت هذه الكلمة قبلاً تطلق على من ليس من الجنسين العربي والتركي. ثم جرى إطلاقها على كل عربي ينشأ في بلاد العجم. هذا، ولعلها معربة من كلمة تازي الفارسية التي يطلقها الفرس على العرب. وتاجيكستان اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفياتي.

ذوي أصوات رخيمة وخطيباً مصقفاً ومؤذناً تقيماً حسن الصوت، ومقرئين ذوي إمام بعلم التجويد رقيق الأصوات وخداماً نشيطين ذوي سيرة حسنة. وخصص لكل منهم مرتباً يناسب شأنه. ويقوم هؤلاء منذ وفاته بعد كل صلاة من الصلوات الخمس بإنعاش روحه الطاهرة وترويحها بما يهدونه إليها من ثواب (الفاتحة) كما أنهم يهدون إليها في ليالي الجمع والاثنين ثواب ختمات يتلونها من القرآن الكريم.

٣- (٦٩) قيامه بإرشاد مسود هذه الأوراق ودلالته مع جمع غفير من عشيرة روزكي (من الذين تركوا قبل أربع وأربعين سنة أرضهم وديارهم وأملاكهم وعقارهم من جراء ما حل بهم من ظلم الدخلاء وعسف الأفاكين والتحقوا بالبلاد القزلباشية «البلاد الخاضعة للدولة الصفوية» وأصاخوا لما يحدثهم به بعض الأراذل واللثام) لكي يرجعوا إلى بلادهم وتمكن بجده من إنقاذهم من أرض الغربة الشائكة وإعادتهم إلى أرض الوطن الزاهرة ومسقط رأس آباء هذا المستهام.

وملخص هذه المقالات الطريفة هو أنه لما أخذ السلطان المغفور له يكلف الفقير الكف عن حكومة نخچوان والعودة إلى الديار الإسلامية، ووعد أن يرد إليه إمارة الكورة الوراثية، كان ذلك نتيجة جهود خسرو باشا، فإنه عني بتلك القضية العناية البالغة، وسعى فيها السعي الحثيث، وبلغ في الاهتمام بها حداً لا يتصور فوّه اهتمام، فتمكن من تطيب أفئدة زهاء ألوف نسمة من الرجال والنساء والشيوخ والشبان من الذين سئموا الحياة في البلاد القزلباشية منذ سنين، وكانوا يتمنون من الباري تعالى عز شأنه أن يعيدهم إلى الديار الإسلامية، ففازوا بتلك الدولة العظمى والسعادة الكبرى التي توقعوها والحمد لله في الآخرة والأولى.

ولمدينة بدليس نواح وأصقاع جميلة، منها ناحية أخلاط التي عرفت مدينتها بقدمها؛ فقد كان في بعض العهود حاضرة ملوك الأرمن السابقين. ولما كان أنوشروان<sup>(٧٠)</sup> متولياً للحكم أناط شؤونها بعمه جاماسب<sup>(٧١)</sup>.

(٦٩) سبق في (ص ٥٨٦) أن قال: «قام بأمرين آخرين مهمين... الخ». ولا أدري من أين أتى بالثالث.

(٧٠) هو أنوشروان بن قباد بن فيروز الساساني الحادي والعشرون من الملوك الساسانيين. دامت أيام سلطته حتى سنة (٥٢١م) (٥٧٩م).

(٧١) هو جاماسب بن فيروز بن يزدجرد السلطان العشرون من السلاطين الساسانيين، تولى الملك نحو

أما مناخ أخلاط فهو في غاية الرقة واللطفة، وفيها رياض غن وحدائق ذات بهجة وبساتين كثيرة فيها من الفواكه اللذيذة أنواع شتى ولا سيما المشمش والتفاح فإنهما بلغا في الجودة والطراوة الغاية. وأغلب الظن أن التفاحة الواحدة تزن أوقية «مئة درهم» فصاعداً. وفيها أنواع شتى من التفاح والكمثري. ولتفاحها شهرة واسعة في ولايتي (الأرمن) و(آذربيجان).

وفيها كثير من المؤسسات الخيرية من مساجد ومدارس وحظائر ورباطات. وهي مسقط رأس كثير من العلماء والفضلاء والمشايخ والأولياء، منهم السيد حسين الأخلاطي<sup>(٧٢)</sup> وكان في الإمام بعلمي الظاهر والباطن في طليعة علماء عصره، كما كان وحيد دهره في معرفة علم الجفر<sup>(٧٣)</sup>. وقد عرف ما يحدثه جيش جنكيز خان من الكوارث في إيران وتركستان - توران بفضل إمامه بعلم الجفر. لذلك أخذ، قبل أن تبدر بوادر الفتن وطلائع الاحن، يحمل نحو اثنتي عشرة ألف أسرة من مريديه ومحسوبيه وأقربائه وأحبائه، فيغادر بهم الوطن إلى البلاد المصرية. ولم يزل فيها حتى ارتحل من هذه الدار الدنيا. وفيها الآن ضريحه الفائض بالأنوار. وفي مصر<sup>(٧٤)</sup> الآن حي يدعى حي الأخلاطين نسبة إليهم.

وكذلك من فضلاء هذه المدينة مولانا محيي الدين الأخلاطي، وكان من أنبيغ علماء عصره في علمي الرياضيات والهيئة، حتى أن نصيرالدين محمد الطوسي ذهب بإشارة من هولاءكو خان إلى مراغة من أعمال تبريز لينشئ بها رصداً<sup>(٧٥)</sup>

---

سنتين، حين خلعوا أخاه قباد لم يلبث أن انتصر عليه، واسترجع منه السلطنة وألقاه في السجن. (٧٢) لعله يعني به حسين بن يوسف بن علي الخلاطي العلامة المشهور، ولد سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٤م) ودرس أنواع العلوم والفنون في وسطان وتبريز. ثم اشتغل بالتدريس والقضاء في الجزيرة ثم رحل إلى القاهرة، ثم إلى الشام، وبعدها قصد مكة للحج فبقي فيها حتى توفي سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م).

(٧٣) علم الجفر: ويسمى علم الحروف أيضاً، يدعى أصحابه أنهم يعرفون به الحوادث إلى انقراض العالم.

(٧٤) يعني بها مدينة القاهرة عاصمة البلاد المصرية.

(٧٥) الرصد: موضع عال يعرف بالمرقب، كان يعلوه الراصد، فيرقب النجوم والفلك، بدلاً عما نعرفه اليوم بالمرقب «تلسكوب».

وزيجاً<sup>(٧٦)</sup>، كان قد جاء به من أخلاط وأشركه معه في القيام بمهمته، وقام بالاتفاق منه ومن مؤيد الدين العروضي ونجم الدين دبيران القزويني بإنجاز ذلك الأمر. بيد أن مدينة أخلاط هذه منيت بالدمار بعد ظهور الدين الإسلامي من جراء ما وقع فيها من الفتن والحروب. من ذلك أنه لما حلت سنة ست وعشرين وست مئة (١٢٢٩م)، سار إليها السلطان جلال الدين خوارزم شاه<sup>(٧٧)</sup> فاحتلها قسراً وعنفاً، وأجلى عنها السلاجقة وأحدث فيها مجزرة عامة. ثم جاء جيش المغول فنزعها منه بعد أن دمرها وجعلها يباباً بلقعاً. وحدث فيها سنة أربع وأربعين وست مئة (١٢٤٩م) زلزال عظيم، أتى على عمرانها وهدم بنيانها... وفي سنة خمس وخمسين وتسع مئة (١٥٤٨م) شن عليها الشاه طهماسب<sup>(٧٨)</sup> غارة شعواء في قلب الشتاء، وحاصر قلعتها مدة حتى نزعها من عمال السلطان سليمان خان<sup>(٧٩)</sup> وأمر بتخريب قلعتها فدكت دكاً كلياً وجعلت قاعاً صفصفاً. وأخيراً لما استخلصها السلطان سليمان خان منه مرة أخرى، أعرض عن تلك القلعة والمدينة القديمتين، وشيد بها قلعة جديدة وسوراً على ضفاف بحيرتها. فأدى ذلك إلى اندثار المدينة القديمة وانطماس معالمها، وإن كانت المدينة الحديثة لم يقدر لها الازدهار بالعمران أيضاً.



جهان رباط خرابست در گذرکه سیل گمان مبر که بیک مشت گل شود معمور (الدنيا دار خراب، فاتركها مسرعاً، فقد بلغ السيل الزبى، ولا تظن أنها ستعمر بحفنة من التراب).

والآن، حين يحرثون أرضها، تظهر آثار المدينة القديمة من قصورها وإنزالها وحماماتها مع الصخور المنحوتة والرخام المصنوع. ومن نواحي بدليس منطقة موش. ومدينتها قديمة تشهد آثار قلعتها وسورها

(٧٦) الزيج: عند علماء الهيئة، جدول يستدل به على حركة الكواكب السيارة.

(٧٧) هو السلطان جلال الدين بن سلطان محمد قطب الدين سابع الملوك الخوارزمية، تولى الملك بعد أبيه من سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) إلى غاية ٦٢٨هـ (١٢٢٧م).

(٧٨) هو الشاه طهماسب الصفوي الأول.

(٧٩) هو السلطان سليمان القانوني.





اللوحه السادسة عشره  
محاصره الشاه طهماسب لبلده (اخلاط)



القديم. وفي الوقت الذي خضعت فيه لتصرف أجداد الفقير<sup>(٨٠)</sup> شيدت بها قلعة حصينة على بعد فرسخ من جانبها الجنوبي فوق قلة أحد الجبال وظلت عامرة أمدماً غير قصير. وأخيراً هدمها السلطان<sup>(٨١)</sup> وعمر بديلاً عنها النصف المتهدم من القلعة القديمة التي كانت في الجهة الغربية من البلدة، وهي مقامة فوق أحد التلّول العالية، وناط أمر محافظتها بقوة مؤلفة من خمسين نفرأ لهم أميرهم الخاص، وقد زودوا بالمعدات اللازمة ورجال مدفعيين.

أما لفظة موش، فهي تطلق في اصطلاح الأرمن على الضباب، وسميت بذلك لكثرة الضباب المخيم عليها، المؤدي إلى قلة الأشجار المثمرة بها، ولكن توجد في أطراف البلدة بساتين كثيرة، غرسوها حوالي جبل بشتته. ومن عادتهم أنهم لا يرفعون فروعها لوضعها على العرائش، إذ لو رفعوها ووضعوها على العرائش أو على محل عادي يناسبها، لما أئنت أثمارها، وتنمو في هذه المنطقة الحبوب والغلال بكثرة. وفيها سهول خصبة ومزارع جميلة تدر الخيرات الكثيرة، ويعتني سكانها بتربية البقر والجاموس والغنم عناية كبيرة حتى أنهم يديرون فداناً واحداً يسمونه كوتان<sup>(٨٢)</sup> بأربع وعشرين رأساً من الثيران والجاميس. ويعرف سهل موش عند الأتراك باسم «موش اواسى» سهل موش. وتتراوح مساحة أراضيها السطحية من عشرة فراسخ واثنى عشر فرسخاً طولاً إلى أربعة فراسخ وخمس عرضاً. يكسوها الورد والرياحين جلباباً زمردياً. وتكتظ جباله بالغابات الخضرة والمراع الخصبه المكلفة بالثلوج، وفيها كثير من العيون الروافد الباردة الماء. كما أن ماء الفرات ينحدر من الجانب الشمالي من سهلها الفسيح المنبسط، فيخترق ثلثاً منها متجهأ نحو الجهة الغربية. وكذلك ينزل رافد قره صو من جبلها المسمى جبل فرود<sup>(٨٣)</sup> في

(٨٠) يعني بكلمة الفقير نفسه.

(٨١) لعله يعني به السلطان سليم الثاني.

(٨٢) لا شك أن كلمة (كوتان) هي الدوس، إذ إن المزارع إذا لم يكن لديه (جرجر) يدوس به البيدر يضطر أن يدوسه بأقدام المواشي، عندئذ بعد ربة ذات فروع يشدها في عنق عدد من المواشي، فيركضها على الزرع المحصود المفروش حتى ينتهي من الدوس، ولعل في اللهجة الكرمانجية الشمالية لهذا المصطلح معنى آخر.

(٨٣) يقول يوسف غنيمه في تاريخ اليهود: «إن هذا الاسم، أطلقه عليه العرب. أما الأتراك

الجانب الشرقي منها، مخترقاً السهل المذكور أيضاً منسباً من وسطه حتى يلتقي بماء الفرات فيصب فيه، وفي جبالها الصقور البيض من النوع الممتاز، يصطادها الناس، وقنص الطيور واصطياد الأسماك شيء متيسر لكل أحد في تلك السهول الفردوسية والحقول الجنانية.

۱۸۴

دگر کوثری بستہ در دامنش	بهشتی شده بیشه پیرامنش
فروشسته از خاکش آلودگی	گر آینده بویش باسودگی
همیشه دراو نازو نعمت فراخ	همه ساله ریحان آن سبز شاخ
اگر شیر مرغت ببايد در اوست <sup>(۸۴)</sup>	علف گاه مرغان این کشور اوست
تو گویی، دراو زعفران کشته اند	زمینش بآب زر آغشته اند

(لقد غدت غابات سفحها روضات غناء، وجرت على سهولها أنهار كوثرية، يرتاح لشذا الأول القلب، ويتنظف من الثاني لطخات الهموم. في كل عام يغدو رياحين ذلك الجبل الزمردى بحيث يزهو عندها الدلال... الملقط المخصب الوحيد للطيور الداجنة، هو هذا الاقليم، فلو رغبت في الحصول على أسد الطيور «النسر» لوجدته بها... فأرضها خبيت بماء الذهب، وكأنها زرع فيها الزعفران). وفي تلك السهول قرى أرمينية شيدت وسط المروج الخضراء الفسيحة، فيها مايربي على مئة بيت متراصة كما ان هناك في سفح الجبل الممتد نحو السهل المنبسط قرى إسلامية.

أما ريعها السنوي فيقول حمد الله المستوفي: «أنه كان على عهد السلاطين الجنكيزية يبلغ تسعاً وستين ألفاً وخمس مئة (٦٩, ٥٠٠) ديناراً. ولما جاء عهد السلطان سليمان خان<sup>(٨٥)</sup> وأدخلت ولاية بدليس في قيد التحرير كان ريعها - عدا ريع القرى الوقفية والأموال الموقوفة - يبلغ مع ضم ما يستحصل من أربعة آلاف

فيدعونه كلشن طاغ = جبل الفردوس. وكان يعرف لدى القدماء باسم جبل نفاطس.  
(٨٤) هذه الأبيات لم يرد ثبتها في النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة بودليان بخط المؤلف ولعله زاد الأبيات في النسخة التي استنسخها بخطه في ١٠٠٧ هـ.  
(٨٥) هو السلطان سليمان القانوني.

نسمة من المسيحيين من الجزية والخراج على وفق النظام القديم وهو استيفاء سبعين آقچه من كل نفر ألفاً<sup>(٨٦)</sup> وخمس مئة ألف وثلاثاً وثلاثين ألفاً مئة وأربع وعشرين آقچه عثمانية، يساوي كل اثنتي عشرة منها مثقالاً من النقرة = الفضة الخالصة.

ولقد روي أن الشخص الذي كان يتولى شؤون موش على عهد حكام الأرمن قبل أن يظهر الإسلام استعرض ذات يوم جيشه فوجد لدى الجنود ست مئة رأس من الخيول العُمرُ المحجلة ومع ذلك كان يتحسر على أن موش لم يكن بها حاكم ذو دُرْبَة وحُنْكة يدير شؤونها بإخلاص.

ومن نواحي بديلس المشهورة ناحية خنس وهي ذات مراتع جميلة وفسيحة الأرجاء؛ من جملتها صوشهري، و(بين گول) وجبل شرف الدين. كانت العشائر الكردية تؤمها على عهد آباء محرر هذه الأوراق لرعي أغنامهم، فكان مرهم بها يعود على البلاد بالدخل والمنافع الكثيرة. وفيها عينان من الماء يخرج من إحداهما الملح الأبيض ومن الأخرى الملح الأحمر وهما يدران في كل عام زهاء أربعة مئة ألف (آقچه) عثمانية من الخير. أما ريعها الحكومي فيعادل ريع موش. وإذا كان السكان الأرمن قد قَلَّوا في هذه المنطقة وتضاءلوا، فإن أكثر قراهم ومزارعهم وزعت على أصحاب الاقطاع والتيمارات. وبها الآن زهاء أربع مئة نفر من الإقطاعيين.

وفي بلدة الخنس الخيول العربية الأصيلة. أما أراضيها فلا تنبت غير الحبوب. ومن غرائب هذه المدينة أن فيها بحيرة تدعى (بولانق - الكدراء) تمتد من كل الجوانب مسافة فرسخ، وماؤها رمادي اللون مائل إلى الحمرة. حتى إن الرافد الذي ينساب منها أيضاً رمادي، ولا يمكن تصفيته، وهنالك بحيرة أخرى تقع بين بولانق وأخلاق تدعى نازك<sup>(٨٧)</sup> ماؤها رقرق في غاية الصفاء والعذوبة. وإذا حل الشتاء تجمدت مياهها زهاء أربعة أشهر، تسير عليها خلال هذه المدة القوافل، والمواشي من دون أن تتفطر، إلى أن يحين وقت تحول الحمل<sup>(٨٨)</sup> فيتفطر جمده، ويحدث به دوي

(٨٦) لعله يعني ألف ألف «مليوناً» وبذلك يستقيم المعنى.

(٨٧) يتراوح طول هذه البحيرة من ١٠ إلى ١٢ ميلاً. أما ارتفاعها عن سطح البحر، فيقدر بـ(٦٠٠٠) قدم، أي بزيادة ٥٠٠ قدم على بحيرة وان.

(٨٨) هكذا بالأصل، ولعل فيها سقطه مطبعية. إذ إن (الحمل) اسم لأحد البروج، تتحول إليه الشمس يوم (النوروز) فيحل موسم الربيع، لا أن الحمل يتحول كما هنا.

يسمع من مسافة ثلاثة فراسخ تقريباً. وبعد أن يذوب الجليد يأخذ هواؤها بالاعتدال، فتبدأ أسماكها الكثيرة بمغادرة البحيرة إلى النهيرات الصغيرة المجتمعة من مياه السيول، فيسير إليها سكان تلك الولاية لاصطيادها، ويشتغلون بذلك زهاء شهر واحد. حتى أن الشخص الواحد يستطيع أن يصطاد خلال يوم واحد أرادب من السمك. ولحم هذه الأسماك في غاية اللذة ويبلغ طول الواحدة منها نصف ذراع بل أكثر. ومن الغريب أن البيضة التي في بطنها المعروفة باسم «بيض السمك» إذا تناول منها انسان أو حيوان، أثرت فيه تأثيراً سيئاً كالسم. حتى إن نفراً من الناس تناولوا شيئاً منها بمحضر الفقير<sup>(٨٩)</sup> فأغمي عليهم زهاء يوم واحد، ولم يفيقوا حتى أعطوا شيئاً من الترياق، فتقيأوا، وبذلك نجوا من الموت. وكثيراً ما رغب موظفو الدولة في التزام تلك الأنهر، وقد التزمها بعضهم على عهد الفقير على أن يدفعوا إلى خزينة الدولة شيئاً مما يستفيدونه من الحاصل فلم يخرج فيها في تلك السنة سمكة واحدة!

وهناك جبل عظيم بين موش وأخلاط، يقع في الجانب الشمالي من بدليس يدعى جبل نمود يتحدث عنه سكان تلك الأنحاء، أن نمود<sup>(٩٠)</sup> كان يتخذة مشتى له ومراتع لأنعامه وقت الصيف، وشيد فوق قلة أحد أطواده الشاهقة قلعة حصينة منيعة وقصراً فخماً يقضي فيه أكثر أوقاته حتى إذا حل به الغضب الإلهي، انقلب ذلك الجبل رأساً على عقب وانخسف به حتى علاه الماء، برغم أنه كان جبلاً شاهقاً بلغ ارتفاعه عن سطح الأرض ألفي ذراع، ويخمن مقدار انخسافه وطوره في الأرض بألف وخمس مئة ذراع. وقد صار محله بحيرة عظيمة يبلغ قطرها نحو خمسة آلاف ذراع بذراع النجار الشرعي<sup>(٩١)</sup>. ولوعورة أرضها وكثرة غاباتها وكثافة أشجارها، ليس فيها سبل تسلك، عدا شعبين أو ثلاثة. أما الطرق التي تسع سير القوافل والمواشي فطريقان فقط. وأما أحواضها ففي غاية البرودة، إلا أنه لو حفر شيء من

(٨٩) يعني بلفظة الفقير هنا وفيما بعد نفسه.

(٩٠) نمود: كان أول ملوك النبط في العراق. ولا أدري هل اتسعت رقعة ملكه حتى بدليس؟

(٩١) الذي أدركناه من قصص الأمم البائدة، هو أن الغضب الإلهي الذي حل بنمود كان إهلاكه هو وجيشه بالبعوض - ولعلها بعوض البرداء «الملايا» المعروفة اليوم. أما الخسف فقد حصل لقارون وقصره وخزائنه.

شاطئها فإنها تجود بماء حار ساخن. ولكن أرضها صخرية متراصة وحجارتها سود، وفيها حجارة بلغت في السواد الغاية دعاها الأتراك (دوه گوزي = عين الابل) وهي تشبه العسل المتصلب. أما النوع الأسود من هذه الحجارة فخفيف في الوزن جداً. وهناك في الجانب الشمالي الخلفي من الجبل ينابيع ماءها في غاية اللزوجة والسواد والثقل، وكأنه خبث الحديد الخارج من منافح الحدادين، حتى أنه بثقله وصلابته يكاد يربى على ثقل الحديد وصلابته، وكأنه ألحم بالأرض الحاماً، وهو يتصبب نحو الوهدة بانحدار<sup>(٩٢)</sup>. والذي يبدو للفقير هو أنه يزداد كثافة عاماً بعد عام، وقد فاض منه على الجوانب ما يبلغ سمكه في بعض الأماكن ثلاثين ذراعاً أو أكثر، وطوله نحو خمس مئة ذراع أو ست مئة. ولو أراد شخص أن يفصل من قطعاتها الصغيرة التي تعادل مناً واحداً قطعة واحدة، فإنه لا بد أن يعاني ضنى أو أتعاباً جمّة، والقدرة لله تعالى.

### السطر الأول:

### في سيرة عشيرة روزكي، وسبب تسميتها بهذا الاسم

لا يخفى على قلوب فرسان ميدان الفصاحة المشعة، ولا على أفئدة حائزي قصب السبق في عرصات البلاغة، أن لفظة روزكي لفظة درية<sup>(٩٣)</sup>، وقد أملاها بعض الناس بالجيم<sup>(٩٤)</sup> «روجكي» وبعضهم بالشين «روشكي». هذه اللفظة عني بها في أصل اللغة أحد الأيام = ذات يوم، أي إن لفظة كي المتصلة بلفظة «روژ = يوم»

(٩٢) يظهر أنه كان في ذلك الجبل بركان، يعمل بهدوء فلا يقذف صممها إنما يذيب المواد المصهورة، فتصب نحو الوهدة.

(٩٣) درية نسبة إلى در أي الباب، ويعني بها اللهجة الخاصة بباب بهرام جور من الملوك الإيرانيين، وهي إحدى اللهجات الخمس المستعملة قديماً في إيران وهي: الدرية، اللهجة الخاصة ببلاط الحكومة والفارسية لغة إقليم فارس والخوزية لغة خوزستان والسغدية لغة إقليم خراسان والفهلوية = بالهلوية لغة أقاليم إصفهان وهمدان ولرستان.

(٩٤) وفي نسخة أخرى بالجيم الأعجمية يعني بثلاث نقاط [م. عوني].

المركبة من الكاف والياء «كي» إن هي إلا أداة وحدة، كما في خواجكي = أحد الأساتذة، ويردكي = إحدى القناطر، وغيرهما. ويرى بعض الفصحاء البلغاء المتضلعين باللغة أن لفظة كي جاءت في اللغة الفارسية أداة تصغير أيضاً. ويجوز أن تكون هنا أيضاً كذلك. ومن المحتمل أن يكون إملاؤها بالجيم من عادة الأدباء العرب الذين يبدلون حرف الزاي (ژ) الدرية بالجيم (ج) وإملاؤها بالشين «ش» من دأب الأدباء الأكراد<sup>(٩٥)</sup>.

والذي أدرناه من ضوابط الرواة الثقات، وبلغناه من الأخبار الصحيحة والآثار الموثوق بها هو أن عشيرة روزكي هذه نشأت في الأصل من أربع وعشرين قبيلة من قبائل الكرد. اجتمعوا في أحد الأيام في المحل المسمى طاب من أعمال خويت<sup>(٩٦)</sup>. ثم انشطرت هذه القبائل شطرين، فدعيت اثنتا عشرة قبيلة منها باسم بلباسي، والاثنتا عشرة الأخرى باسم قواليسي. أما بلبيس<sup>(٩٧)</sup> وقواليس فقريتان في ولاية حكاري. وفي رواية هما اسمان لعشيرتين من العشائر في بابان = المنطقة البابانية<sup>(٩٨)</sup>.

وملخص الكلام أن هذه القبائل لما اجتمعت في طاب لأول مرة بادرت إلى تقسيم أرضها بين أفرادها قطعاً قطعاً حتى استقروا، ثم عقدوا بينهم حلفاً واختاروا

---

(٩٥) يتلفظها الفرس ويملونها بالزاي روزكي. أما العرب فيلفظونها بالجيم ويكتبونها بها تارة، وبالشين ويكتبونها بها طوراً كما يملونها ويلفظونها بالزاي أخرى شأنها في ذلك شأن أمثالها من الكلمات الواردة فيها الزاي أما إملاؤها وتلفظها بالثراء الأعجمية «ژ» فهي من أدب الأكراد الذي يعدونها من حروفهم الزائدة الخاصة بهم، وجدير بالقول أن اللهجة الفارسية لم تستعمل حرف (ژ) إلا في كلمة (ژيان) الواردة في شهنامه (شير ژيان).

(٩٦) خويت: من نواحي قضاء صاصون في لواء موش.

(٩٧) بلبيس: لعلها ممالة من بلباس، فإن الأكراد كثيراً ما يملون الألف إلى الياء.

(٩٨) يحتتمل أن العشريتين المذكورتين كانتا على عهد المصنف تقطنان ولاية بابان ولكنهما لا تقطنانها الآن بل إن عشيرة بلباس تقطن الآن مناطق أوشنو- رانية - رواندز في إيران والعراق أي إنها تقطن ولاية سوران- سوران، ولها ثلاثة أقسام كبيرة هم: پيران ومنگور ومامش. أما قواليسي فإننا نجهل عشيرة كبيرة بهذا الاسم ولكن بين عشيرة داودة الكردية القاطنة في قضاء طاوق بلواء كركوك المتألفة من سبعة أفخاذ، فخذ يدعى قوالي ولعله مخفف قواليسي. ويدعى السيد حسين حزني المكرياني إن هذه القبائل إنما نزحت إلى بدليس من مكريان. وربما كان لمحمد



منهم من يتولي شؤونهم كأمير، ثم تدرجوا في توسيع نفوذهم واحتلال الولاية التي استوطنوها بكاملها. ولقد قيل إن من ليس له في قرية (طاب) نصيب من الأراضي، فهو ليس من العشيرة المذكورة. ثم إن هؤلاء بعد أذعنوا للحاكم الذي اختاروه من بينهم، واستتب لهم الأمر، أخذوا يتطاولون على المناطق المجاورة لهم. وكان يحكم ولايتي بدليس وحزو = حظو آئذ - كما جاء في الأخبار - رجل يدعى تاويت = داويد من حكام گرجستان = جورجيا، فنزعت العشيرة المذكورة منه الولايتين. وفي رواية: أنها غصبت من الگرج ولاية حزو ومن عشيرة گردكي ولاية بدليس. ويقول بعضهم: إنهم نزعوا بدليس من عشيرة ذو قيسى<sup>(٩٩)</sup>. والعهد على الراوي.

والحاصل أنهم لما أخضعوا الولايتين المذكورتين، ومضت أيام على تقلدهم زمام تصرفهما، توفي الحاكم الذي ولوه أمرهم عقيماً دون أن يعقب نسلًا. فاختلفوا بينهم على تولي الحكم، ولم يتطاولوا فصدق فيهم فحوى ما أنشده مولانا هاتفي:

۞

برآن مملکت زار باید گریست      که فریادرس را ندانند کیست  
کند قجهء مست در کعبه قی      اگر چوپ حاکم نباشد ز پی  
(لا بد من البكاء على تلك المملكة التي لا يعرف أهلها لهم منقذاً. فإن العاهرة  
السكرى تستطيع أن تتقياً في بطن الكعبة، لو لم تخف معاقبة السلطان).

### ٢-٣- عز الدين وضيء الدين

ثم لما قضوا ردحاً من الزمن في فوضى واضطراب، ثابوا إلى رشدهم، فعقد رؤساء القبائل والعشائر بينهم مؤتمراً وتداولوا الرأي لحل الأزمة حتى تفاهموا بينهم، فقرر رأيهم على أن يوفدوا إلى أخلاط من يأتي بالأخوين: عز الدين<sup>(١٠٠)</sup> وضيء

علي باشا الكبير والي مصر، الملقب «القوالي» صلة بهذا الاسم؟!

(٩٩) وفي نسخة أخرى ذو قيسى [محمد علي عوني].

(١٠٠) لا شك أن عز الدين هذا هو عز الدين بن عمر أحد قادة الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي الشهير الذي قاد جيشاً لمحاربة جلال الدين خوارزم شاه، وحاربه بالاتفاق مع جيش سلطان الروم،

الدين اللذين كانا يمتان بصلة النسب إلى الملوك الأكاسرة «الساسانيين»<sup>(١٠١)</sup>، فيختبروا كفايتهما ويسندوا زمام أمرهم إلى الأكفاء منهما، ويؤازروه ليتمكن من تنظيم أمور المملكة وضبط شؤونها، فلا يبقى بعدئذ للشقاة مجال للتمرد والعصيان، فرضي بهذا الرأي صغيرهم وكبيرهم ورفيعهم ووضيعهم.

ثم ذهب وفداهم المنتخب من أعيان العشيرة إلى أخلاط، فتفاهم معهما، وجاء بهما إلى بدليس بحفاوة وإعزاز فاستقبلهما أعيان العشيرة ووجههاؤها استقبالاً رائعاً. وخضع قسم منهم لأمره عزالدين في بدليس وأذعن القسم الآخر لإمارة ضياء الدين في حزو = حظو وهكذا دانوا جميعاً لأمرهما، وعهدوا بأموار إدارتهم وشؤون صيانة البلاد وزمام رئاستهم إليهما. فقام الأمير عزالدين -والحق يقال- بإدارة شؤونهم إدارة حسنة، وأنعش الآمال في قلوبهم، وجعلهم راضين عنه شاكرين له.

لقد اشتهرت عشيرة روزكي هذه بين عشائر كردستان وقبائلها بالكرم والسخاء والشهامة والشجاعة، وعرفت بفرط الغيرة والحمية والحياء والصدق والأمانة والديانة والتقوى وإطاعة الحكام إطاعة مطلقة بحيث إذا طرأت لأحد من الحكام عقبة أو حلت به مشكلة ما فإنهم لا يتباطؤون في التضحية وبذل النفس والنفيس لإنقاذه من ذلك. وإذا تمكن أحد الغاصبين من السيطرة على ولايتهم «بدليس» ولم يُعَنَ الحاكم بدفعه، فإنهم يتولون القيام بدفعه بأنفسهم معتمدين على اتفاقهم وتضامنهم، من دون أن يطلبوا مدد الغير ومعونته أو يتوسلوا بأحد سوى الله العلي العظيم.

ولقد شاع بين الشعب الكردي أن عشيرة روزكي هذه إنما تمكنت من الاحتفاظ بقلعة بدليس بما ضحى به في سبيلها من نفوس أبنائها الزكية ما يعادل الحجارة الموضوعة في بنيانها. وان السلاطين الفاتحين كلما أرادوا غزو كردستان، قاموا بادىء بدء بتجربة سلاحهم في غزو بدليس وإخضاع عشيرة روزكي، إذ إنهم علموا أنه إذا لم تخضع عشيرة روزكي فإن بقية عشائر كردستان لا تدين لهم. ويشهد على

---

وتغلبا عليه سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م).

(١٠١) هذا المرض المتفشي بين الأكراد بالانتساب إلى أسرة ملكية أو أسرة سيادة أو أسرة خلافة، مرض (مخز) ادى بالمؤرخين أن يعتبروا قسماً من الأكراد فارسي الأصل وقسماً عربي الأصل وقسماً تركي الأصل، علماً بأن كل ذلك باطل من الأساس.

هذا أن السلطان الغازي<sup>(١٠٢)</sup> لما نزع ولاية بدليس من حاكمها «شمس الدين خان»، وفر هذا الحاكم إلى بلاد العجم «إيران» خوفاً من أن يبطش به، لبثت قبائل بايكي وبودكي وزيداني ولباسي تواصل الثورة علي الحكومة الفاتحة، وتأبى الخضوع للأمراء العثمانيين زهاء ثلاث سنين. وكلما قام أمراء الأكراد المتأخمين لهذه الولاية يلبون الأمر السلیماني ويسیرون إلیهم بجنود الأكراد الحاکین عفاریت جبل قاف ویشنون علیهم الحملات التدمیریة، لم یتمکنوا من إخضاعهم إلی أن أبلغ السلطان سلیمان الأمر إلی سكان وادی کیغندور وقبائل بايكي بوساطة بهاء الدین بك حاکم حزو = حظو بالعفو عن الرسوم والتكاليف، واستمال ولدی الشیخ أمیر البلباسي المدعوین: إبراهیم بك وقاسم بك ببعض المواعید الخلابة. ولولا ذلك لما تیسر فتح ولاية بدليس قسراً.

وكثيراً ما يقصد أنجال جميع أمراء كردستان ولاية بدليس لقضاء أوقات فراغهم، وأيام عطلةهم فيها، ولكن أنجال أمراء روزكي وأولاد رؤسائها، لا يقصدون أبواب أحد من أمراء كردستان، وأفراد هذه العشيرة أقوياء الشكيمة شديداً والمراس، إذا أصيبوا في بلاد الغربية بمحنة وكرب وشدة، فإنهم سيصبرون عليها ويقاومونها بعزم وثبات ويواصلون مهماتهم حتى يفوزوا بالمراتب العالية. وقد تدرج إليها من بين هذه العشيرة كثيرون.

منهم درويش محمود گله چيري أحد شيوخ هذه العشيرة المعمرين، فقد بارح ولايته الوراثة قاصداً مقام السلطان سليمان، فبعثته سجاياه الحميدة اللاتحة على جبهة آماله وكفايته وأدبه، واتصافه بالحسب الشريف وتحليته بحليتي العقل والفهم، أن يتدرج في التقدم، وينعت بجامع الشمائل، وأن يدعى إلى مجلس السلطان سليمان الخاص فيجامله ويلطفه. وكان أديباً بارعاً، له الشعر الكثير باللغتين الفارسية والتركية. ولم يكن ليدانيه أحد في فنه. ومن جملة أبياته التي يتذكرها راقم هذه الحروف، قوله:

سبزه ميدر لبلرك دورنده يا خط غبار يا أياغى شهده باتمش خسته آرولر ميدر؟!  
(هل الذي بشفتيك شعر حديث النبت، أو خط غبار، أو نحل عسل غرست

---

(١٠٢) الظاهر أنه هو السلطان سليمان القانوني أكبر سلاطين آل عثمان [محمد علي عوني].

أقدامه تعباً في شهد عارضك؟) وكان شغوفاً بتلاوة القرآن الكريم حتى كان يسمى إدريس الثاني، وأخيراً اعتمد عليه السلطان وجعله كاتبه الخاص. ومنهم ابن أخيه حيدر آغا الذي التمعت آثار الشهامة والجلادة والمروءة فيه حتى تبينها كل فاهم. فمنح من الديوان السليمانى إمارة سنجق، ونيطت به رئاسة عشيرة بلكو<sup>(١٠٣)</sup> وبعض الأنحاء في پالو بحسب نظام الإقطاع التمليكي. ومن أبناء عشيرة بلباسي إبراهيم بك بن قلندر آغا الذي أدى به شأن وقع بينه وبين ذوي قرابته إلى هجرة وطنه إلى أنحاء سيستان حيث حظي بزيارة حاكمها محمد خان التركمانى. فما كادت تلمع علائم الغيرة والشهامة على جبينه لمعان الشمس حتى ناط به تخوم بلوجستان = بلوخستان ليقوم بمحافظتها. ولما كانت الشجاعة والبسالة قد خلقتا في الأكراد العفارىت فطرة، انتصر في جميع الحروب التي نشبت بينه وبين البلوج، كما كان الاندحار ملازماً جانب البلوج بحيث أصبح كثير من رجالها البسلاء المحنكين عرضة لسهام البلاء، وتضرجوا بالدماء في ساحات الوغى وهكذا استولى على تلك المناطق كلها، وخضع لها سكان تلك الديار بأسرها، فأخذ يقضى أوقاته بفراغ البال وهناء الحال.

ومنهم بستم آغا الذي رحل إلى قندهار<sup>(١٠٤)</sup> مختاراً ملازمة السلطان حسين ميرزا. فقد تقدم في أمد قصير وتدرج من منصب إلى منصب حتى أصبح من نوابه «وزرائه». وكان ميرزا اتخذه مصاحباً له يقضى معه أوقاته.

ومنهم قاسم بك بن الشاه حسين آغا المهرداد، فقد كان حين عودة عشيرة روزكي وراقم هذه الحروف من بلاد نخچوان إلى بدليس في ولايته الوراثة.

وكان قاسم بك، بما يحمله من الإخلاص للباب الهمايونى العالى التي تحرسه الملائكة، قد ثبت أقدام الوقار ولم يتزعزع، وتمسك بذيل الصبر وتحمل المحن والعناء. ولما كان من الحرس الشاهانى «القوروجيين» العظام، لم يتمرد، ولم يحد عن مسلك الطاعة قيد شعرة. وكان بعض أكراد العراق<sup>(١٠٥)</sup> المنخرطين في سلك عشيرة روزكي يضمرون له العداء بسبب منصب الرئاسة العسكرية «يوزباشى گرى»

(١٠٣) هكذا بالأصل، ولعلها جهان بگلو.

(١٠٤) إحدى مدن الأفغان الشهيرة.

(١٠٥) يعنى بالعراق العجمى = بلاد الجبل.

الذي كانوا ينافسونه فيه، وخاصموه بشأنه خصاماً شديداً حتى تمكنوا بالوشاية به من استصدار الأمر بإقصائه عن المنطقة الوراثة. غير أنه ركن إلى الصبر، وعمل بمضمون «الصبر مفتاح الفرج» إلى أن عرضت حقيقة حاله وما كان عليه من الكرم والتضحية على النواب الهمايوني، وتبين براءة ساحته من التهم المذكورة، فأعيد إلى منصب الرئاسة العسكرية «يوزباشي غري» الوراثة بين عشيرة روژكي، وأنعم عليه بما كان قد فقدته من زمام أموره وهو الآن، وقد بلغ التأريخ الهجري عام خمسة وألف (١٥٩٦م)، يتولى المنصب المذكور، وهو شاب نبيه تحلى بحليتي المقدرة والكفاية، وتزين بحليتي الشهامة والشجاعة، والمأمول أن يحالفه التوفيق الإلهي. وبهذه الميزات يمتاز أبناء عشيرة روزكي عن سائر القبائل والعشائر الكردية.

وتتفرع هذه العشيرة إلى أربع وعشرين فرقة، خمس منها وهي قيسان وبايكي ومودكي وذوقيسي وزيداني من عشائر بدليس القديمة. وخمس عشرة قبيلة<sup>(١٠٦)</sup> منها من فروع عشيرتي بلباسي وقواليسي. أما فروع بلباسي فهي كله چيري وخريللي ومالكي وخيارطي وكوري وبريشي وسكري ولباسي وبيدوري وبلانگري. وأما فروع قواليسي فهي زردوزي واندادي وپرتافي وكردي كي وسهرودي وكاشاغي وخالدي واستودكي وعزبان.

## السطر الثاني:

### في شأن حكام بدليس وبيان من يرتقي إليه نسبهم

لقد صح بالروايات المتواترة، وشوهد في بعض الكتب التاريخية مما وقعت عليه الأنظار، أن حكام بدليس يمتون بصلته النسب إلى ملوك الأكاسرة «الساسانيين». وقد شاع بين الناس أنهم من سلالة نوشيروان. ولكن أصح الروايات هو أنه في أيام نوشيروان<sup>(١٠٧)</sup> كان جاماسب بن فيروز خامس (!؟)<sup>(١٠٨)</sup> سلاطين الأكاسرة، يتولى

(١٠٦) الظاهر أنه تسع عشرة لا خمس عشرة [م. علي عوني].

(١٠٧) لم يكن في أيامه، بل كان على عهد والده قباد، وقد ألقاه في السجن كما يأتي.

(١٠٨) يعني جاماسب بن فيروز بن يزدجرد السلطان العشرون الذي مر ذكره. ولعل الرمز

بالنيابة عن قباد إدارة شؤون ولايتي أرمينية وشيروان. ولما أدركته الوفاة، خلف ثلاثة أولاد، هم: نرسي<sup>(١٠٩)</sup> وسرخاب<sup>(١١٠)</sup> وبهواط<sup>(١١١)</sup>. فحل محله كبيرهم نرسي، فعنى نوشيروان بتربيته، واعتنى به العناية البالغة. فتدرج في الترقي وبسط النفوذ حتى قاد جيشاً غزا به گيلان فاحتلها قهراً وعنفاً، وسبى إحدى بنات الأسرة المالكة فولد له منها ولد، أسماه گيلان شاه<sup>(١١٢)</sup>؟) إليه تنتهي سلسلة نسب ملوك رستمدرار. أما سرخاب فقد تولى حكومة شيروان، وإليه يرتقي نسب ملوكها. وأما بهواط فقد أقام في أخلاط ورضي بدخلها القليل دون أن يسلك مسلك آبائه في توسيع مملكته وحدود بلاده، وإليه ينتهي نسب حكام بدليس. إذن هم بنو عمومة مع ملوك رستمدرار وشيروان.

والرواية الصحيحة هي أن هذه الأسرة اليوم، وقد بلغ التأريخ الهجري سلخ ذي الحجة لسنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦م)، كانت ولا تزال منذ سبع مئة وستين عاماً تتقلد زمام الحكم والإدارة في بدليس وتوابعها وملحقاتها ومضافاتها، ولم تزل هذه المناطق خاضعة لها إلا فترة من الزمن قدرها مئة وعشر سنوات انفلت خلالها زمام الحكم من أيديها وانتقل إلى رجال دخلاء. وسنفصل سير الطبقات الأربع من

---

الاستفهامي الذي وضعه العلامة (ف. فليامينوف. زرنوف) صاحب المقدمة إشارة إلى أنه ليس خامس السلاطين كما أخطأ فيه المصنف، بل كان السلطان العشرين كما ذكرنا.

(١٠٩) نرسي: يوجد بهذا الاسم أميران من نسل الملوك الإيرانيين: أحدهما نرسي بن گودرز درزين بلاس الإشغاني والآخر نرسي بن بهرام بن بهرام بن بهرام الساساني. ولم نجد غيرهما بعد البحث الطويل.

(١١٠) سرخاب: يوجد بهذا الاسم ثلاثة: سرخاب بن فيروز بن يزدجرد عم نوشيروان، وسرخاب بن بهرام جور، وسرخاب بن رستم المعروف باسم سهراب = زوراب.

(١١١) بهواط: لم نجد لهذا الاسم أثراً في المصادر الفارسية بين أيدينا. ولعله محرف من بهرام، وهو علم لعدد من الملوك الساسانيين، هم: بهرام بن هرمز وبهرام بن بهرام وبهرام بن بهرام وبهرام جور وبهرام چوبين.

(١١٢) گيلان شاه: في مروج الذهب (ص ١١٠ - ١٢٠)، إن ملك مملكة السرير كان يدعى قباد شاه = گيلان شاه وهو من أولاد بهرام جور هذا، ولم نجد في غيره من المصادر المتعلقة بتاريخ الفرس حتى ولا في الشهنامة ذكراً لهذا الاسم ولعل الرمز الاستفهامي الذي وضعه العلامة (ف. فليامينوف. زرنوف) إشارة إلى أنه أخطأ في نسبته إليه.

السلاطين الذين تناولوا على هذه الولاية وتقلدوا زمام تصرفها، وترجم لكل واحد منهم في محله.

ومجمل القول كما دبجته يراعة البيان سابقاً أن عشيرة روژكي لما ولت الأمير عزالدين في بدليس، والأمير ضياءالدين في حزو = حظو، وبعد أن مر على تقلدهما زمام الحكم ربح من الزمن، ازداد سكان بدليس اعجاباً بإدارة الأمير ضياءالدين، وقلت رغبتهم في الأمير عزالدين. فلما أدرك ضياءالدين ذلك ورأى أن رغبة سكان بدليس فيه قد بلغت الغاية القصوى والمرتبة العليا، بارح ذات يوم حزو = حظو إلى بدليس قاصداً زيارة أخيه وبعد أن تشرف بلقائه قضيا معاً بضعة أيام في التنزه والتمتع بالملذات. فرأى خلال هذه المدة أن مناخ بدليس الجميل يوافق مزاجه إضافة إلى ما يكتفه له السكان ربيعهم ووضيعهم من الحب. فرغب في تولي الحكم فيها، وعلق قلبه بها فتفاهم مع سكانها سراً، وقال لهم "حين أعزم على السفر، سيشيعني أخي ولا شك إلى خارج القلعة، عند ذلك احتال عليه بالرجوع إلى القلعة، ثم استأذن أخاه عزالدين في الرجوع إلى حزو (حظو) فشيح أخوه موكبه، إلا أنه ما كان يبتعد عن المدينة مسافة حتى قال: لقد نسيت خاتمي في محل لا يهتدي إليه سواي! فلو لبثتم هنا هنيهة حتى أسرع إلى القلعة بنفسي لأعثر عليه، لكان ذلك فضلاً ومرحمة، فوافق عزالدين على ذلك، وانصرف إلى الاضطهاد منتظراً رجوعه. أما ضياءالدين فلما أنجز ما دبره، عد ذلك انتصاراً، فأحكم أبواب القلعة، وراسل أخاه عزالدين بقوله: المتوقع من مكارم أخلاق الأخ! هو أن تذهبوا إلى حزو = حظو فتقضوا فيها أياماً أبقى خلالها في بدليس. فلما وقف عزالدين علي القضية، رجع مسرعاً إلى القلعة ووقف على بابها وأخذ يلح على أخيه القاسي أن يفتحه في وجهه. إلا أنه لم يزد إلا تصلباً. فاضطر عند ذلك أن يتجه إلى حزو = حظو وصاصون حيث استتب له أمر الحكومة فيها. هذا ومنه تناسل حكام حزو = حظو الحاليون المعروفون باسم عززان = عزيزان. أما حكام بدليس فقد تناسلوا من ضياءالدين، ولذلك عرفوا باسم ديادين - ضيادين - ضياءالدين.

ولقد بلغ عدد حكام بدليس الذين سجل التاريخ أساميتهم، أو بالأحرى الذين عثر عليهم جامع هذه الرسالة ثمانية عشر نفرًا. وتربى مدة حكمهم على خمسين وأربع مئة سنة تقلدوا خلالها زمام الحكم في هذه البلاد دون فترة. ومن المؤسف أننا لم

نعرف الحاكم<sup>(١١٣)</sup> الذي أغار عليه أتابك آق سنقر<sup>(١١٤)</sup> ونزع منه ولاية بدليس، إذ لم نجد حين تسويد هذا الكتاب ذكراً له في المصادر التاريخية التي حصلنا عليها. وأصح الروايات أن قزل أرسلان<sup>(١١٥)</sup> هو الذي احتل بدليس، عندما استولى على اقليمي آذربيجان وأرمينية. ثم لما أخذت دولة السلجوقيين تنهار، وقدم السلطان جلال الدين بن السلطان محمد خوارزم شاه<sup>(١١٦)</sup> ولاية بدليس، كان حاكمها يومئذ

(١١٣) لعل السلطان مسعود السلجوقي الذي كان والياً على أران = أريقان وكنجة = أليزابث پول آنذ، هو الذي كان حاكماً عليها!.

(١١٤) أتابك سنقر: علم لشخصين من السلاجقة: أولهما قسيم الدولة أبو سعيد حاجب المعروف باسم آق سنقر، كان في بدء عهده من ممالك الأمير أحمد حاكم مراغة، ثم انتقل إلى السلطان محمود سيكتكين، وأخيراً انتقل إلى السلطان آلپ أرسلان السلجوقي. فلما أدرك فيه الجدارة والكفاية زوجه مرضعة أحد أولاده. ولما توجه ابنه تاج الدولة تتش أرسلان نحو بلاد الروم وفتح الشام وحلب، ولي آق سنقر عليهما سنة (٤٧٨هـ - ١٠٨٥م)، فبقي بهما حاكماً حتى قتل على أثر ثورة قام بها ضده مولاه سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م). وثانيهما: قسيم الدولة سيف الدين أبو سعيد المعروف باسم آق سنقر. وهو الذي أنعم عليه السلطان محمد بن ملكشاه بمنصب محافظية بغداد سنة ٤٩٨هـ (١١٠٤م) ثم عين والياً على الموصل والشام سنة ٥٠٧هـ (١١١٣م). وأخيراً قتله أحد الباطنيين المنتكرين بزي الصوفية سنة ٥٢٠هـ (١٢١٦م). ويدعي السيد حسين حزني المكرياني أن آق سنقر- الذي أخضع (آذربيجان) ومناطق أخرى من (کردستان) لسلطان سلاجقة بغداد- هو ابن أمير أحمدليل بن ابراهيم بن هسودان الروادي الذي تولى الملك سنة ٥١٠هـ (١١١٦م) بعد مقتل أبيه على يد أحد الباطنيين. فقد زار السلطان محمود السلجوقي في بغداد لأول مرة سنة ٥١٦هـ (١١٢٢م). ثم تقرب لديه حتى عينه سنة ٥٢٢هـ (١١٢٩م) حاكماً على الحلة في محل دبيس بن صدقة الذي فر هارباً. وبعد وفاة السلطان المذكور انحاز إلى جانب داود. وفي رمضان سنة ٥٢٦هـ (١١٣٢م) حارب طغرل بك أبا السلطان محمود. وفي عام ٥٢٧هـ (١١٣٣م) سار بجيشه إلى مراغة مع السلطان مسعود لإخماد الثورات. وأغار على قره سنقر في أردبيل وحاصره. هذا وأخيراً مني بالقتل في همدان داخل خيمته على يد أحد الباطنيين بتحريض من السلطان مسعود نفسه.

(١١٥) يعني به قزل أرسلان عثمان بن ايلدكز. تولى الملك بعد وفاة أخيه سنة ٨٥١هـ (١١٨٥م) في آذربيجان وبقي حاكماً بها حتى سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م).

(١١٦) تولى السلطان جلال الدين السلطنة بعد وفاة والده سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) وبقي حاكماً على بلاده حتى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣١م) وقد قضى أيامه في حروب وفتن وانهازم إلى الهند وعودة. ثم احتلال كرمان وفارس والعراق ودر جيوش الخليفة العباسي الناصر لدين الله. ثم زحفه على بلاد



الملك أشرف<sup>(١١٧)</sup>. وبعده تولى الملك مكانه أخوه الملك مجد الدين، ثم الأمير عز الدين، ثم الأمير أبوبكر، ثم الأمير الشيخ شرف، ثم الأمير ضياء الدين. وكان الأخير من معاصري الأمير تيمور كورغان الشهير، وقد اتصل به. ومنذ ذلك العهد إلى يومنا هذا، وقد انتقلت حكومة هذه البلاد بحسب نظام الوراثة إلى تصرف مسود هذه الأوراق، انتظمت تراجم حكامها وارتبط بعضها ببعض. وسنسردها (بعون الله الملك المجيد) الحوادث التي وقعت على عهد كل من هؤلاء الحكام بتفاصيلها، كما نشير إلى ما فاز به بعض حكام بدليس بفضل نظرات أعطاف السلاطين العظام، ذوي الهمم العالية، ويمن مراحم الخواقين الكرام الأجلاء، من علو المنزلة وسمو المكانة، وتقرب إلى الأذهان ما بلي به بعضهم من هبوب صرصر غضب الملوك والسلاطين الظالمين حتى اشتعلت بلادهم بسيطرتهم النائرة وفنيت أسرهم من جراء مظالمهم، وقد احترقوا بنار غضبهم حتى أصبحوا رماداً.

وقصتهم هي أن أول دولة نهضت في سالف الأيام<sup>(١١٨)</sup> إلى غزو الولايات الخاضعة لحكام كردستان هي دولة سلاجقة أذربيجان<sup>(١١٩)</sup>. وتحقيق البحث هو أنه كان على عهد سلطنة السلطان محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي<sup>(١٢٠)</sup>. قد نيظت محافظة قسم من ولاية العراق العربي بالأمير عماد الدين أتابك بن آق سنقر<sup>(١٢١)</sup> ومحافظة أذربيجان وأرمينية بالأمير أتابك ايلدكز<sup>(١٢٢)</sup>

---

الروم وعدم استطاعته الصمود في وجه قوات السلطان علاء الدين السلجوقي واندحاره... الخ.  
(١١٧) ينقل السيد محمد أمين زكي بك عن الدكتور فريج أن الملك الأشرف هذا كان قبل ذلك من قواد الأيوبيين في سورية.

(١١٨) لعله يعني على عهد الخلافة العباسية، وإلا فإن كردستان كانت مسرحاً للحروب منذ القديم.  
(١١٩) أسس هذه الإمارة في أذربيجان (أتابك شمس الدين ايلدكز) الذي كان من مماليك السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي سنة ٥٥٥هـ (١١٥٩م) في تبريز وعدد أمرائها خمسة وانقرضت سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م).

(١٢٠) تولى السلطان محمود الملك بعد وفاة أبيه في إصفهان سنة ٥١٢هـ (١١١٨م) ثم نازع السلطان سنجر بن ملكشاه الملك ثم اتفقا وخطب كريمته وبنى بها، ولبث سلطاناً في العراق حتى سنة ٥٢٥هـ (١١٣٨م).

(١٢١) هو الأمير عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر مؤسس الدولة الزنكية في الموصل.  
ولاه السلطان محمود بن محمد ملكشاه السلجوقي الحكم على بغداد والموصل سنة ٥٢١هـ

جد قزل أرسلان المذكور. وكان هذان الأميران يعينان بمهمات منصبهما ويقومان بحفظ البلاد وصيانة الأمن فيها تنظيمياً محكماً. ولما حلت سنة إحدى عشرة وخمس مئة (١١١٧م) (١٢٣) وتوفي صاحب الموصل، أسند القيام بشؤون الحكومة فيها إلى الأمير عمادالدين زنكي المذكور، إضافة إلى مهمته. وبذلك علت رتبته وتوسع نفوذ حكومته حتى تمكن من تجريد الجيوش إلى غزو كردستان وديار بكر فأخضع بدليس والجزيرة ثم أنه نهض سنة أربع وثلاثين وخمس مئة (١١٣٩) إلى غزو كردستان وديار بكر فأخضع بدليس والجزيرة وأشوت (١٢٤) وعقرة ومدناً أخرى من المدن الكردية. ثم دمر قلعة آشوت المذكورة حتى جعلها قاعاً صافياً. وبنى مكانها قلعة أسماها العمادية إضافة إلى نفسه (١٢٥) وهي الآن حاضرة تلك المنطقة. وظلت كردستان وبالأخص قصبه بدليس وقلعتها الحصينة خاضعة لسيطرة آتابكة السلاجقة أربعين سنة ونيفاً، إذ لم يجلوها عنها إلا في حدود سنة ست وسبعين وخمس مئة (١١٨٠م) حيث أخفق السلطان صالح الدين بن نورالدين بن (؟) (١٢٦) سيف الدين

(١١٢٧م) فتوسع في بسط نفوذه على الشام وأنحائها من جهة وعلى ديار بكر ومضافاتها من جهة أخرى. وتولى سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م) مقتولاً على يد غلمانه. (١٢٢) يعني أتابك شمس الدين ايلدكز مؤسس الإمارة السلجوقية في آذربيجان سنة ٥٥٥هـ (١١٥٩م) ولبت حاكماً حتى سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م) وقد ترجمنا له آنفاً. (١٢٣) هكذا بالأصل و الصحيح سنة إحدى وعشرين وخمس مئة (١١٢٧م) كما بيناه في تعليقنا السابق.

(١٢٤) ضبطت في معجم البلدان (أشب)، وقال ياقوت: إنها من أجل قلاع الهكارية ببلاد الموصل « ولم يدمرها عمادالدين، إنما بنى قلعة العمادية في محل قلعة «غلاب» جلاب كما جاء في الكامل لابن الأثير.

(١٢٥) يرى (ابن الأثير) و(صاحب المعجم) وكثير من المؤرخين هذا الرأي. ولكن حمد الله المستوفي يسند بناءها إلى عماد الديلمي الذي كان أميراً بها سنة ٣٣٨هـ (٩٤٩م).

(١٢٦) هذا الرمز الاستفهامي من العلامات التي وضعها المستشرق الروسي (ف. فليامينوف. زرنوف) دلالة على وجود خطأ. لعله يعني أن المؤلف أدمج اسمين أولهما: الملك الصالح إسماعيل بن نورالدين محمود الزنكي تولى السلطنة في (الشام بعد وفاة والده، وكان صغيراً في السنة العاشرة من عمره سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) وغلب عليه وزراؤه حتى كاد يفقد ملكه، وأخيراً نزع منه السلطان صلاح الدين بعض بلاده، ولم يبق في تصرفه إلا حلب. وكانت وفاته سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) وبه انقرضت دولة السلاجقة في الشام.

غازي من أتابكة السلاجقة في محاربة ملوك مصر الأيوبيين.، منذ ذلك اليوم لاحت آثار الكسوف على محيا شمس دولتهم، وعلائم الخسوف على طلعة قمر حكومتهم، فلم يكن من أبناء عشيرة روژكي - الذين احتجبوا وراء الغيوم سنين، وكانوا يقضون الوقت كالوحوش الكاسرة في الجبال والغابات، ويتدربون سنوح الفرص ومساعدة الزمن وكأنهم (ببر) الأسحار والأسود المفترسة - إلا أن برزوا من مكائهم، وأغاروا على البقية المتباقية منهم، فظهروا أرض البلاد وجبالها بسيوفهم الصارمة من أولئك الدخلاء. والذي بادر إلى القيام بإدارة شؤون بدليس بالنيابة عنهم<sup>(١٢٧)</sup> ولهم في بلدي بدليس وأخلاق المباني الخيرية الكثيرة من جوامع ورباطات وقناطر.

وفي رواية كانت بلدة بدليس في تصرف قزل أرسلان من الأتابكة المذكورين. وعلى كل تقدير، فإن تأريخ إسناد إيالة العراق العربي إلى آق سنقر<sup>(؟)</sup> (١٢٨) يوافق أيام إيالة ايلدكز على آذربيجان وأيام سلطنتهما مطابقة<sup>(١٢٩)</sup>. هذا وجماعة (سراجيان) القاطنين في بدليس هم من بقايا هؤلاء السلاجقة، وتسميتهم سراجيان غلط محرف من «سلاجقة». ومنهم سلالة تاج أحمد وقره كوخة وقلي أوزبگان وغيرهم.

وثانيهما: سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود من أتابكة الموصل، تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٥هـ (١١٦٩م) بأمر من عمه نورالدين محمود حاكم الشام وبقي حاكماً بها حتى سنة ٥٧٥هـ (١١٧٩م) وكان هذا قد ذهب لنجدة ابن عمه الملك الصالح المذكور إلى الشام.

(١٢٧) هكذا بياض بالأصل في بعض النسخ [محمد علي عوني].

(١٢٨) هذا الرمز الاستفهامي من العلامات التي وضعها المستشرق الروسي (ف. فليامينوف. زرنوف) المذكور ولعله يريد عدم تطابق عهد كل من المدعويين آق سنقر عهد ايلدكز، فإنك ترى أن المدعويين آق سنقر الذين ذكرناهم في تعليقتنا السابقة تولى الحكم واحد منهم من سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) حتى سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) وثمان منهم من عام ٤٩٨هـ (١١٠٤م) حتى سنة ٥٢٠هـ (١٢١٦م) وثالثهم من سنة ٥١٠هـ (١١١٦م) حتى سنة ٥٢٧هـ (١١٣٣م) أما شمس الدين ايلدكز الذي ذكرناه في الصفحة فقد تولى الحكم من سنة ٥٥٥هـ (١١٥٩م) لغاية سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م).

(١٢٩) وفي بعض النسخ: «إذ إنه حين نيظت إيالة العراق العربي بأتابك آق سنقر كانت أران = أريشان وآذربيجان مفوضتين إلى ايلدكز من الأتابكة - وهو جد قزل أرسلان - وقد توافقت أيام حكومتها وتطابق تأريخ توليها السلطنة» [م. علي عوني].

## السطر الثالث:

### في بيان الإجلال والإعزاز اللذين أظهرهما السلطين القدماء لحكام بدليس وهو في أربعة فصول

#### الفصل الأول

#### في ترجمة الملك أشرف

٤٥- الملك أشرف ومجد الدين

لا بد أن تنعكس على مرآة طبائع المتكلمين من أصحاب المنطق العذب وعلى لوح ضمائر الرواة الفصحاء المشعة شعاع الشمس صورة القصة الآتية وهي أن الملك أشرف الذي جلس على كرسي الحكم في ولاية بدليس، كان في أوائل عهده يتولى فيها الأمر بالنيابة عن سلاطين مصر والشام بل أنه كان معاصراً للملك أشرف<sup>(١)</sup>. وكان أولئك الملوك يعطفون عليه ويعتنون به حق العناية. ولم يزل كذلك حتى حدود سنة خمس وعشرين وست مئة (١٢٢٨م) حيث ترك السلطان جلال الدين بن السلطان محمد خوارزم شاه - خوفاً من كثرة جيوش جنگيز خان - سلطنة إيران فاراً

---

(١) هو الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد، أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ولد سنة ٥٧٨هـ (١١٨١م) في القاهرة - أو في الكرك - ولما يقع ناطق به والده الرها = اورفا وحران سنة ٥٩٨هـ (١٢٠٢م) وحارب (نورالدين زنكي أرسلان) صاحب (الموصل) سنة ٦٠٠هـ (١٤٠٣م) وتغلب عليه فكافأه والده على ذلك بمنحه أخلاط وميفارقين وبلدة أخرى. وأخيراً اتفق مع كيقباد ملك الروم على جلال الدين خوارزم، وتغلبا عليه قرب أرزنجان في ٢٨ رمضان سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م). وكانت وفاته في (الشام) في (٤) المحرم سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٨م).

إلى الهند، ثم لما سمع بهلاكه وهو في أقصى البلاد الهندية غادرها سالكاً طريق بلاد كيج ومكران<sup>(٢)</sup> وجاء -وهو معتزم إخضاع إيران- إلى حاضرتها إصفهان كما يقول في ذلك الشأن خلاق المعاني، كمال إسماعيل الإصفهاني:

۞

بسيط روى زمين باز گشت آبادان      بيمن سايه چتر خدايگان جهان  
کنند تهنيت يكديگر برسم حيات      بقيه كه ز انسان بماند و ز حيوان  
پديد ميشود آثار حرث و نسل وجود      ازان سپس كه بزور و صواعق خذلان  
برای بندگي درگهت دگر باره      ز سر گرفت تولد طبيعت انسان  
تو عمر نوح بيابي آزانكه در عالم      عمارات از تو پديد آمد از پس طوفان  
تو داد منبر اسلام بستدي ز صليب      تو بر گرفتي ناقوس را زجاي آذان  
حجاب ظلم تو برداشتي ز چهره عدل      نقاب كفر تو بگشادي از رخ ايمان

(لقد عاد إلى وجه البسيطة عمرانها بيمن ظلال عدل الملك الفاتح. ولهجت السنة الذين تخلصوا من الموت من الانسان حتى الحيوان يتهنئة بعضهم البعض... لقد ظهرت آثار الحرث والنسل إلى الوجود مرة أخرى بعد أن ذبلت تحت سيطرة الظلمة وخذلت بصواعقهم. ولكي يتقدم الناس إلى عرض العبودية على بابك، فقد أخذت الطبيعة الإنسانية تفكر في الولادة من جديد. لتعش عمر نوح عليه السلام فقد عادت بك البلاد إلى العمران بعد أن غمرها طوفان الحروب. أنت الذي تأرت لمنابر الإسلام من الصلبان، أنت الذي رفعت النواقيس المنصوبة على منائر الآذان. أنت الذي كشفت لثام الظلم عن وجه العدالة أنت الذي أمطت نقاب الكفر عن الإيمان).  
وتمكن في وقت يسير من تطهير تلك البلاد من أرجاس الشرك والكفر وإجلاء الإعداء. إلا أنه لم تمض سنتان حتى استخبر أوكتاي قاآن<sup>(٣)</sup> عما حدث في بلاد

(٢) كيج ومكران: منطقتان من مناطق الأفغان.

(٣) هو أوكتاي قاآن بن جنكيز خان- ثاني ملوك الجنگيزية. تولى الملك بعد هلاك أبيه سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧م) ومات سنة ٦٣٩هـ (١٢٤٢م).

إيران، فسير سوتاي بهادر وجرماغون نويان على رأس جيش من ثلاثين ألف نسمة من المغول البرابرة السفاكين إلى إجلاء السلطان جلال الدين منها. فلم يبق له بعدئذ مجال المكوث فيها، فولى وجهه شطر أنحاء أران = أريفان الأرمن = أرمينية وأخذ يحتل تفليس ويستولي عليها كما يقول كمال إسماعيل.

### ١٤

كه بود جز تو ز شاهان روزگار كه داد قضم اسپ ز (تفليس) و آب از (عمان)؟  
(من من ملوك الدهر غيرك، علف جواده في تفليس وسقاه في عمان)  
ولقد أورد مؤلف كتاب روضة الصفاء التاريخي أن السلطان المذكور كان قد سار في بدء الأمر من العراق إلى أخلاط، وكان حاكم بدليس آتذ الملك أشرف ويتولى أخوه مجد الدين بالنيابة عنه إدارة أخلاط ومحافظة شؤونها، وقد اختل دماغ سكانها من ضبابها حتى أخذوا يعتمدون على متانة قلعتهم وكثرة مؤنهم وقواتهم ومعداتهم ووفرة أشياعهم وأنصارهم، ولم يعيروا السلطان التفاتاً، بل قابلوه بفحش الكلام. فلما رأى السلطان ذلك، أمر جيوشه بالتأهب للنزال وحصار القلعة وضرب الخناق عليها، فاشتعلت بينهما نيران حرب ضروس دامت أمداً طويلاً. فأدى نفاذ الذخيرة إلى تضاؤل عزيمة المحصورين فضعفت مقاومتهم. فتقدمت جيوش السلطان وتمكنت من فتح القلعة الخارجية قسراً. ففر الملك مجد الدين واعتصم بالقلعة الواقعة وسط المدينة، وكان يتولى أمر محافظتها عز الدين من مماليك الملك أشرف. وأخيراً لما ضاقت الحال بالمحصورين، وأنحلتهم قلة المؤونة والزاد، وأدركوا أن لا قبل لهم بمقاومته، طلبوا الصلح، فتصالح الطرفان. وبادر مجد الدين بنفسه لمقابلة السلطان وهو راض بما أراحه له القدر، فعفا عنه وعطف عليه وخصه بالطافه الملكية. لكنه لما دخل مجلس السلطان واستقر به المقام نهض قائماً، وطالب بالعفو عن عز الدين أيضاً. إلا أن السلطان رد عليه بقوله: لا يليق بمن يدعى الزعامة، ويتحلى بالسلطنة أن يؤدي رسالة مملوكه. ولم يمض يومان حتى جاء عز الدين أيضاً يعرض طاعته عليه، وكان قد أتى ببضعة أشخاص من أصحابه ألبسهم الزرد والدروع تحت القمصان، وهي عزمه أنه إذا دخل مجلس السلطان واهتبل منه الفرصة، أن يهجم عليه ويقتله. غير أن مرافقي السلطان أحسوا بمؤامرتة فجردوه من السلاح، ثم

سمحوا له بالدخول على السلطان فلم يلبث أن أمر بتصفيده وزجه في السجن، كما أمر بإلقاء الملك مجد الدين في السجن معه أيضاً.

كان الملك أشرف، حين قام العدو بمحاصرة أخلاط، قد أرسل الرسائل وأوفد الوفود إلى ملوك الشام<sup>(٤)</sup> يستنجد بهم، فجاءه في تلك الآونة عسكر مصر والشام. فلما علم بقدمهم، استقبلهم بجيش كردستان حتى التقى بهم في صحراء موش، فوحد الجيشين، وسار بهما لمحاربة السلطان جلال الدين الذي كان في تلك الآونة قد طرأ له مرض ألزمه الفراش، فحضر المعركة في محفة، وأخذ ينظم الصفوف. فلما اشتبك الفريقان في تلك الصحراء «سهل موش»، ودارت بينهما رحى حرب طاحنة تأججت نيرانها زهاء ثلاثة أيام بدون رحمة ولا هوادة، أخفق فيها جيشه وولى منهزماً. إلا أن خوفه كان مستحوذاً عليهم، ومهابته متوغلة في أعماق قلوبهم، لذلك لم يجرؤوا على مطاردته، بل انسحبوا بانتظام. وعاد السلطان بجيشه إلى أخلاط. فصادف في اليوم نفسه أن استفاض النبا بوصول أحد جيوش المغول إلى أران = أريقان من جهة، وشاع نبأ آخر بتوجه كل من سوتاي بهادر وجرماغون نويان القائدين المغوليين من أنحاء تبريز من جهة أخرى. فلما طرقت هذه الأنباء مسامع السلطان، قلق واكفهر لونه، فأسرع إلى إخراج الملك مجد الدين وعزالدين من السجن، وعقد صلحاً مع الملك أشرف وحالفه وأخذ يبادل له الولاء والحب والاتحاد، ثم خطب كريمته وعقد عليها النكاح وبنى بها. ثم أخذ يبدد قواته ويتوارى في بدليس حيث قضى أمداً طويلاً من أيامه فيها بالملاهي والألعاب والملاذات.

كان الملك أشرف يسدي إليه بين الفينة والفينة نصحه ويقول له: «إن قضاء الوقت في بدليس على هذا المنوال لا يليق بمنزلة الدولة، فالأجدر بكم أن تتوجهوا إلى أحد الأنحاء لئلا تستخبر المغول عن حالتكم، فيزحفوا على بلادنا فيثيروا في ولايتنا الفتنة، وتصاب أنت بأذى». ألا أنه كلما كان الملك أشرف يباليغ في تحذيره ونصحه، كان هو يتلقى كلماته بسوء نية ويقول: «لعل الملك أشرف يضيق ذرعاً بما ينفقة علينا من الدخل، فيريد إبعادنا من ولايته، ليتخلص من عبء نفقاتنا!» ولم يزل على حالته هذه حتى الليلة التي بلغ فيها جيش المغول بقيادة إيماس بهادر، وكان

(٤) كان قد استنجد بالملك الأشرف الأيوبي.

قد جاء للبحث عن السلطان، باب سور القلعة، وكان آتئذ في سبات عميق وقد أثقل رأسه السكر، فكلما حاولوا إيقاظه ذهبت مساعيهم سدى، حتى اضطروا أن يصبوا عليه إبريقاً من الماء البارد. فلما استفاق، أبلغوه بقدم جيش المغول، وهبأوا له جياداً مسرجة، فالتفت إلى عقيلته كريمة الملك أشرف وقال لها: كان والدك كلما أسدى إلينا النصيح في هذا الشأن اتهمناه، وهل بوسعك الآن أن تصاحبينا؟ فلم يكن منها إلا أن أجابت بالتلبية، فخرجوا من البلدة في منتصف الليل. وأما بقية تاريخ حياته فمجهولة لدى المؤرخين. (ولكنه نقل عن (?)(<sup>٥</sup>) الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني في رسالته الموسومة بالإقبالية عن أستاذه الشيخ نورالدين عبدالرحمن الكسرفي): أن السلطان كان قد انتظم أخيراً في سلك المتصوفين، وكان يقضي حياته في قرية من أعمال بغداد محترفاً مهنة الإسكافي إلى أن جاءته الوفاة والتحق برحمة ربه. وفي رواية مؤلف كتاب تأريخ كزيله (<sup>٦</sup>) إن رجلاً كردياً كان قد قتل شقيق له في معركة أخلاط صادفه في الطريق فقتله ثأراً لأخيه. وفي رواية صاحب (تذكرة دولت شاه) أن الأكراد طمعوا في جواده وبدلته، فأودوا بحياته والعلم عندالله.

وعلى كل تقدير فإن الملك أشرف استقل بعدئذ ببلادته دون أن يذعن لأحد من السلاطين، وعاش في الحكم دهرًا طويلاً حتى انتقل إلى عالم الخلود. وبعد أن توفي تسلم أخوه الملك مجد الدين كرسي الحكم مكانه كما ذكرنا ذلك سابقاً. ثم تولى الحكم بعده أولادهم وحفدتهم على حسب الترتيب، دون أن يطمع في ولايتهم أحد حتى عهد العاهل الكبير الأمير تيمور كورگان (كورگان = الصهر) الشهير عليه الرحمة والغفران.

---

(٥) هذا الرمز الاستفهامي، من الرموز التي وضعها العلامة (ف.فليامينوف. زرنوف). ولعله أراد بها اضطراب العبارة التي وضعناها بين معقوفين، وإن الغرض بأن المؤرخين لم يتأكدوا من بقية حياته وإنه دخل بين الصوفية، ثم صار صرفياً كل هذه الخيالات فارغة ومزاعم باطلة.

(٦) لعله تأريخ كزیده لمؤلفه المستوفي القزويني، (بعد مراجعة المخطوط بخط يده تبين أن الخطأ من الطبعة الفارسية).



## الفصل الثاني

### في سيرة الحاج شرف بن ضياء الدين

#### ١- الحاج شرف

غير خاف على ضمائر الفضلاء المنيرة اللامعة لمعان الإكسير أن المستفاد من مصنفات أرباب الأخبار ومؤلفات الأخيار رحمهم الله تعالى، هو أنه لما حل أحد شهور سنة ست وتسعين وسبع مئة (١٣٩٤م) الموافق لشهر (فروردين)<sup>(١)</sup> من أشهر السنة الجلالية الموافق لعام الكلب «ايت ايل»، وكان الأمير تيمور كورگان قد عزم، بعد احتلال بغداد والجزيرة العمرية والموصل وتكريت وماردين وآمد = ديار بكر، على التوجه الى مراتع (اله طاق) سالكاً طريق (سيواسر)، وصادف أن عسكر - في نهار السبت اليوم الخامس عشر من شهر رجب من السنة المذكورة في صحراء موش، جاءه الحاج شرف (الذي كان - كما يقول مؤلف كتاب ظفر نامه - رجلاً بلغ في صدق القول والإخلاص والخلق الجميل درجة لا يدانيه فيها أحد في جميع البلاد الكردية، وكان يعامل ممالك العاهل الأعظم معاملة المخلص) حاملاً معه مقاليد قلاع بدليس وأخلاط وموش وسائر الحصون والأبراج في الولاية الخاضعة لتصرفه، مع الهدايا الكثيرة والتحف الطريفة وعدد من الجياد العربية الأصيلة والبغال الجيدة، فتشرف بزيارته وسعد بتقبيل أنامله وأعتابه، وكان بين الهدايا التي جاء بها جواد كميث اللون، غزالي القفز، ريمي الطلعة، سهيلي العين، ينافس الفلك في حشمته، والقمر بغرة ناصيته، وكأنه المشتري الطالع على أفق الصين أو المريخ الحماسي المبين. يحكى في فطنته العطاردي وفي سرعته القمر وفي جماله الشمس وفي نشاطه الزهرة. كأن حوافره من العقيق وذيله من الحرير، وأسنانه من العاج واللآلي، وسيقانه من الفولاذ الصلب. وكان بحيث لو أوجف في السباق - مع جميع الجياد المنتخبة اللاتي جاء بها الأمراء والرؤساء من الأطراف والأكناف هدية له - في سهل موش، لحاز قصب السبق دونها، بل لم يكن بينها جواد تتبع أثره.

(١) فروردين: الشهر الأول من شهور السنة الجلالية، ويبدأ من يوم نوروز.

تکاور ابلقی چون چرخ فیروز ز شب بسته هزاران وصله بر روز  
 کره بر خوشه چرخ از دم او شکن در کاسهء بدر از سم او  
 اگر نعلش بدیدی در تک و دو بچرخ اندر نشستى چون مه نو  
 گرش میدان شدى از غرب تا شرق بيك جستن پرىدى گرم چون برق  
 اگر گردش ببازويش کشیدی بگردش باد صرصر کی رسیدی

(عداء بلقاء، كأنها الفلك الأزرق، تصل من الليالي جزءاً بالأيام... يبتهج الفلك لو نال شعرة من ذيلها، ويزداد القمر ضياءً لو أضيف إليه من حافرها. فلو شوهدها وقت الإيجاف لحبذ أن يركز في السماء كقمر ثان. ولو مدت ساحة السباق من الشرق إلى الغرب، لقطعتها بقفزة واحدة كأنها البرق. ولو أن أقدامها أثارت الغبار، لما ضاهتها ریح صرصر في الإعصار).

فلم يكن من العاهل الأعظم إلا أن خص الأمير شرفاً بأعطافه، ومنحه الخلع المزركشة والمناطق المذهبة والسيوف المرصعة، فرفع بذلك رأسه بين أقرانه، وأنعم عليه بولايته بعد أن أضاف إليها پاسين وأونيك وملاذ گرد وعهد إليه بأمر آيق صوفي وكان من سلالة ملوك أوزبگستان، وكان قد بدرت منه أعمال غير مرضية نحو ممالك العاهل فأوصاه أن يحبس في قلعة بدليس<sup>(۲)</sup>. هذا وقد كان العهد الشريف الذي منحه إياه محفوظاً لدى هذه الأسرة إلى حدود سنة أربعين وتسع مئة (۱۵۳۳م) إلا أنه لما توفي شرف خان ورحل نجله شمس الدين خان مع وجهاء روژكي إلى إيران، فقد منح براءات السلاطين القداماء.

والخلاصة أنه لما توفي الحاج شرف خان، بادر نجله الأمير شمس الدين الذي اشتهر عنه أنه (ولي)<sup>(۳)</sup> إلى تقلد زمام الحكومة ومهمات الإمارة مكانه.

(۲) الذي أورده السيد محمد أمين زكي بك في كتابيه التاريخيين، يخالف ما هنا، فإنه يقول في تاريخ الدول والإمارات الكردية ج ۲ ص ۳۶۸: «بيد أن هذا المجد لم يدم للأمير حاجي شرف طويلاً، فقد قلب له الدهر ظهر المجن، إذ أشير على آيق صوفي وكيل تيمور لنك وعامله على تلك الجهات بأن يقبض عليه ويلقيه في غياهب السجن في بدليس، ثم يقضي عليه». ولكنني أظنه أخطأ فهم عبارة شرفنامه - التي هي مصدره الوحيد في هذا الصدد فاقتبسها غلطاً، وكان أولى به أن يرجع إلى كتاب ظفر نامه المصدر الذي اقتبس منه الأمير شرف خان معلوماته.

(۳) أورد الموماً إليه في كتابه مشاهير الكرد وكردستان (۲۵۶/۱) «إن الأمير تيمور منحه لقب (ولي)...» ولعله أخطأ فهم هذه العبارة أيضاً، فإن لفظة (ولي) كلمة دينية يطلقها المسلمون على من بلغ في التقوى درجة أكرمه الله تعالى به وليس مثل هذه الألقاب من منح الملوك حتى يمنحها إياه الأمير تيمور كورگان، يضاف إلى أن الأمير تيمور كورگان كان قد توفي في هذا المعهد.

## الفصل الثالث

### في ذكر الأمير شمس الدين بن الأمير الحاج شرف خان

#### ٢- الأمير شمس الدين

يتضح مما نقشته يراعات الفضلاء السيالة بالجواهر كأنها الغيوم الماطرة، ومما دبهج بنان بيان المؤرخين أنه لما انهزم قره يوسف بن قره محمد التركماني<sup>(١)</sup> خوفاً من الاصطدام بجيوش الأمير تيمور الجرارة، وعرض التجاه على السلطان يلدرم بايزيد خان<sup>(٢)</sup> الوالي على (بلاد الروم = الأناضول = المملكة العثمانية)، كان الأمير

(١) كان قره يوسف هذا صاحب آذربيجان، وقد عقد معاهدة حلفية مع السلطان أحمد بن أويس الجلثري حاكم بغداد الذي اعترف بسيادته السلطان يرقوق سلطان مصر فلما سمع بذلك الأمير تيمور الأعرج سار إليهما. فلما أدركا ألا قبل لهما به، التجأ إلى المملكة العثمانية للاحتماء بسلطانها «بيل درم بايزيد» فسار تيمور في أثرهما إلى آسيا الصغرى، وحدثت بينه وبين بايزيد حروب هائلة انتصر فيها تيمور لنك ووقع بايزيد أسيراً إلى جانبه، ومات في أسره سنة ٨٠٥هـ (١٤٠٢م). وبعد هذه الواقعة الهائلة انهزم قره يوسف مع صاحبه السلطان أحمد إلى مصر. فلما بلغا دمشق، قبض عليهما حاكمها بأمر من سلطان مصر، وسجنهما في قلعة المدينة. وأخيراً هربا من السجن إلى بغداد. فاختلف السلطان أحمد مع قره يوسف اختلافاً أدى بالسلطان أحمد أن يهرب إلى مصر في ٥ المحرم من سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٢م) فاستقل قره يوسف بحكم بغداد مدة وجيزة. إلا أن جيش تيمور لنك زحف عليه، وفتك بعسكره، وقتل أخاه، فلم يسعه إلا الهرب، فتوجه إلى مصر أيضاً، ولما كان سلطانها قد عقد اتفاقية مع تيمور لنك فما كاد يصل إليه الهاربان حتى أمر بحبسهما، وكتب إلى تيمور لنك يستطلع رأيه فيهما. فأجابه بكتاب جاء فيه: «أما السلطان أحمد فيقيد ويرسل إلينا. وأما قره يوسف فيحز رأسه ثم يبعث به إلينا...». إلا إنه لم يصل الكتاب حتى توفي الأمير تيمور في ١٧ شعبان سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) عند ذلك أفرج عنهما ملك مصر، وأنعم عليهما كثيراً، وعادا إلى بغداد فاعتلى السلطان أحمد أريكة الحكم فيها، ورجع قره يوسف إلى آذر بيجان، إلا أنه ما كاد يبلغها حتى جمع حوله ثلة من الأشرار وجاء يحارب بهم السلطان أحمد وتغلب عليه، وجرى له معه ماجرى مما ألغنا إليه في أحد تعاليقنا السابقة.

(٢) هو السلطان بايزيد خان الأول بن السلطان مراد الأول، تولى الملك سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) عقب مقتل أبيه فوسع دولته كثيراً. وأخيراً اشتبك في الحرب مع الأمير تيمور فأخفق، ووقع في الأسر إلى جانبه، ومات أسيراً سنة ٨٠٥هـ (١٤٠٢م).

تيمور قد أوفد إلى قيصر<sup>(٣)</sup> من يطالبه بتسليم قره يوسف له، وكتب إليه هذه الأبيات ضمن رسالة أرسل بها إليه مع رسوله:

﴿﴾

نخواهم كه دار السلامي چو روم	بهم در رود از من آن مرز و بوم
بخدمام مــــا ده كليلد كـماخ	مكن تنگ بر خود جهان فراخ
قره يوسف آن رهزن نا پسند	كه بر حاجيان، راه حج كرده بند
نــــدارد ازو ايمنى هيچ راه	بدرگاهت آورده روى پناه
بتيغ سياست، ســــزايش بده	بآن است در خور، جزايش بده!

لا أريد أن تغدو دار سلام كبلاد الروم قاعاً صفتفاً من حملتي عليها، فنفقد تلك المملكة. فسلم إلى مماليكنا مقاليد القلاع، ولا تضيق على نفسك الدنيا الواسعة. وإن قره يوسف ذلك الشرير القاطع للطرق الذي عاق الحجاج من المسير إلى الحج وعاث في الأرض الفساد حتى أخاف الطرق، قد جاء يعرض على بابك التجاء، فعاقبه بسيف الهتك والسياسة، ذلك الذي يليق به، فجازه به!.

فلما وصل وفد العاهل (بلاد الروم = الأناضول) وعلم السلطان بما حملوه إليه وجاءوا لأجله، أشار على قره يوسف بالفرار، وأن يقصد السلطان فرخ<sup>(٤)</sup> والي مصر. ولما كان قد عقد بين والي مصر والعاهل المذكور في تلك الآونة ميثاق الولاء والمودة، لم يكن منه إلا أن قبض عليه وعلى السلطان أحمد الجلايري حاكم بغداد الهارين اللذين لجأ إليه، وسجنهما في أحد أبراج قلعة مصر وفاءً لما كان بينه وبين الأمير تيمور. فلم يزالا سجينين مصفدين حتى نعي إليه الأمير تيمور، فأفرج عنهما

(٣) يعني بكلمة (قيصر) السلطان بايزيد، باعتبار أن سلاطين مملكة الروم كانوا فيما سبق يسمون قياصرة.

(٤) لعله يعني السلطان فرج بن برقوق [محمد علي عوني] وهو ثاني سلاطين المماليك الشراكسة في مصر. تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) وحارب الأمير تيمور في سورية، إلا أنه أخفق وصالحه ولم يزل سلطاناً حتى اختفائه سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) دون أن يعلم أحد بما آل إليه أمره.

وأنقذهما من السجن. وقرر أن يقتني كل واحد منهما خمس مئة مملوك، على أن ينفق عليهما وعلى أشياعهما من خزينة الدولة المصرية، وأن ينتظما في سلك أمرائها ويقوما بأداء واجبات الدولة، وأن يزودا بما يحتاجون إليه من الخيول والأسلحة. بيد أنه لم يبارح بغداد إلى مصر لالتحاق بالسلطان أحمد إلا بعض الرعاع من ساسة الحمير والبغال وأهل الحرف والمهن الرذيلة.

أما أشياع قره يوسف فقد كانوا جمعاً كبيراً من الرجال المحنكين الجلدين من التراكمة القره قوينلية، وقد اجتمعوا حول رايته بحيث أخافت المصريين كثرتهم. وقالوا للسلطان فرخ: إنه إذا لم يعن بالقضاء على قره يوسف ولم يقطع دابر أشياع التركمان القره قوينليين - أعاذنا الله شرهم - فإنهم سيثيرون في هذه البلاد الفتى وأخيراً وضعوا قضيتهم على بساط البحث. فقرر أولوا الرأي من أمراء مصر أنه إذا حل يوم الكرة والصولجان يأمر السلطان فرخ قره يوسف أن يترجل مع أشياعه فينتقي الساحة من التواءات والحصى وأن يتأهب الجنود المصريون لمباغتتهم بإعمال السيف فيهم حتى يبادوا عن بكرة أبيهم! إلا أن قره يوسف وقف على هذه المؤامرة قبل اليوم الموعود فسلح أشياعه تسليحاً كاملاً حتى إذا جاء الموعد وأراد السلطان إنجاز ما قرره وأمر قره يوسف أن يترجل مع أشياعه لتطهير الساحة من الأشواك والعاثور، تقدم قره يوسف فارساً وقال: أيها السلطان! لما كان السلطان إلى الآن رحيماً بالمماليك رؤوفاً بهم كنا نعد أنفسنا من جملة الخدم والمماليك والآ ن وقد أخذ يستمع إلى أقوال الوشاة ويريد بنا الغدر، فهذا فراق بيننا. قال هذا وحيا الملك من على فرسه ثم عطف عنانه ونخسه بالمهماز وأشار على أشياعه باتباعه وأنقذ نفسه من ذلك الشرك المنصوب له. ولقد نقل أنه إلى أن بلغ ديار بكر تصدى له الجيش في طريقه مئة وثمانين مرة، إلا أنه تغلب عليهم في كل مرة بجرأته وقوة ساعده وسداد رأيه وحسن تدبيره. وجاء من ديار بكر إلى بدليس فعرض على حاكمها الملك شمس الدين التجائه إليه وأنكحه إبنته. فكافأه الملك شمس الدين بمنحه منطقة پاسين وقلعة أونيك فاتخذها مقاماً له<sup>(٥)</sup>.

(٥) في عام ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) قام بمساعدة «شمس الدين بيگ حاكم بدليس» بحملة على قرى عثمان بايندر (الآق قوينلية) ثم اصطلحا ولكنه استولى على آذربيجان وكرديستان ووان ووسطان، ونزع قلعة أونيك من الأمير دولداي، ويظهر أن الحروب بينهما استمرت من ٨٠٧ إلى

ولما حل صيف سنة تسع وثمان مئة (١٤٠٧م) قام بنجدة من الملك شمس الدين بخوض غمار الحرب ضد ميرزا أبي بكر بن ميرزا ميران شاه بن الأمير تيمور<sup>(٦)</sup> في المحل المسمى چغر سعد، فانتصر عليه وهزمه وانتزع منه چغر سعد ومرند ونخچوان وسرور وماكو وقضى شتاء ذلك العام في مرند حيث عسكر بها.

ولما حلت سنة عشر وثمان مئة (١٤٠٨م) سار ميرزا أبو بكر مع أبيه ميرزا ميران شاه من العراق وخراسان على رأس جيش جرار إلى القضاء على قره يوسف التركماني واتجها نحو آذربيجان، فاصطدم جيش الفريقين في شيب غازان من أعمال تبريز فأسفرت المعركة عن اندحار الجيش الجغتائي<sup>(٧)</sup> وعن مقتل ميرزا ميران شاه وخضعت آذربيجان بكاملها لتصرف قره يوسف الذي أخذ يتقدم في نفوذه ويتدرج في الترقى يوماً فيوماً.

ولقد كانت أواصر الصداقة والاتحاد بين قره يوسف والأمير شمس الدين من القوة بحيث أنه لم يكن يدعوه إلا بلفظة يا ولدي! وقد أقره على ولاية بدليس ومضافاتها وملحقاتها<sup>(٨)</sup> ومنحها إياه بحسب نظام الإقطاع التمليكي وذلك بعد أن تمكن من أعلاء كرسي السلطنة. هذا والعهد الذي أعطاه إياه في هذا الشأن، هو ما نقله هنا بنفسه ونصه:

---

٨١٠هـ، هذا ما جاء في أحسن التواريخ ج ١١/ص ٣٢.

(٦) لعله يعني به خليل بن أمير شاه بن تيمور الذي تولى الملك بعد تيمور لكون والده مقتولاً على يد قره يوسف ولكون عمه شاه رخ ذاهباً إلى غزو بعض البلاد.

(٧) يعني (بالجيش الجغتائي) الجيش المغولي، وكلمة جغتائي هذه نسبة إلى لهجة لغتهم، فقد كانت اللغة التركية القديمة ثلاث لهجات: إحداها (اللهجة التاتارية) سحنة سكان وادي فولغا، وثانيتهما (اللهجة الجغتائية) سحنة ٦١٩ آسيا الوسطى، وثالثتها (اللهجة الأويغورية) سحنة سكان غربي آسيا.

(٨) من دواعي السخرية أن يساند الإنسان رجلاً منكوباً فيعيده إلى المجد، ثم يرتضى بأن يوافق الرجل على بقاءه في منصب ولاية بلاده!

## نص العهد مترجماً

ليعلم أنجلي الأجزاء - أبقاهم الله - وأمراء العشائر والعشرة الآف والألوف والمئات والقواد والحكام وعمال الدولة والولاية وجميع أهل كردستان وأعيانها ومعتمديها وملوكها وسكان بدليس وأخلاط وموش وخنوس وتوابعها وملحقاتها عامة وخاصة من المعارف والمشاهير والمواطنين: أنه لما تحقق لدينا إخلاص ولدنا العزيز - أعني به الأمير الأعظم الأعدل الأعقل الأكرم، أمير أمراء الأعجم<sup>(٩)</sup> الأمير شمس الدين أبو المعالي صان الله تعالى أيام دولته ونصرته وعزه وإقباله إلى يوم الدين وتأكدنا من ولائه وحبه لنا وتضحيته في سبيلنا وكفايته وجدارته ووثقنا به تمام الوثوق، رأينا أن من المحتم على همتنا العالية وذمتنا البريئة أن نكافئه وأن نعنتي به ونجعله رفيع الرأس بين أقرانه بشموله بالعواطف ومنحه العهود والبراءات. لذلك لمعت مراحمنا الملكية وتلاأت عواطفنا السلطانية على صفحات آماله وصدرت بشأنه هذه الإرادة العجالة ليسمح له القيام بتولي الحكومة والإمارة والإيالة وبتقلد زمام تصرف الأموال والأموال والنواحي وإدارة ديوان بدليس وأخلاط وخنوس وموش وسائر القلاع والتوابع والأنحاء والأرجاء والملحقات والمضافات التي كانت قبلئذ خاضعة لتصرفه. وقد منحناها إياه مجدداً على ألا يتدخل في شؤونها غيره ولا يشاركه فيها أحد، لذلك صدر هذا الأمر المطاع الذي هو (سعادة الله في جميع الأقطار) ليعرف الأمراء والحكام ومتصرفو المناطق والأماكن والمنازل والمزارع التي كانت سابقاً في تصرف الموماً إليه أنه ليس لأحد حق فيما بعد بالتصرف فيها والتقرب إليها ومزاحمة شعبه وسكان بلاده وأشياعه. وكل من خالف هذا العهد سوف يكون معرضاً للحساب والعقاب. ويجب على الأمراء والقواد والأصول والأعيان والمواطنين والساكنين في بدليس وأخلاط وموش وخنوس والأصقاع والمزارع والولاه ومقيمي القلاع أن يحسبوا نواب حضرة الأمير - ولدنا العزيز - أمراءهم وحكامهم فلا يخالفوا أمرهم ولا ينقضوا عهدهم. وعليهم أن يطيعوهم ويذعنوا لهم

(٩) إن كلمة (الأعجم) ليس لها المدلول المفيد هنا. إلا أننا لا نتصرف في الجمل التي دبرها المؤلف نفسه بالعربية كما قررنا ذلك في المقدمة.

ويبدلوا في سبيلهم النفس والنفيس وأن يعلموا أن مهماتهم ومعاملاتهم وقضاياهم مفوضة إليهم ومنوطة بهم فيقوموا بإطاعتهم فيما يريدون. هذا وحين يتوشح هذا العهد بالتوقيع الرفيع الشأن والعلامة الشريفة فليعتمد عليه. تحريراً في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة عشرين وثمانين مئة (١٧٤١ م).

ولقد ذكر مؤلف (مطلع السعدين) أنه بعد أن مضى على وفاة قره يوسف أربعين يوماً، عرض الأمير شمس الدين في اليوم الثامن من ذي الحجة لسنة ثلاث وعشرين وثمان مئة (١٤٢٠ م) طاعته على ميرزا شاه رخ بكتاب أرسله إليه وهو في قره باغ من أعمال أران = أريفان بصحبة أحد رجاله المعتمدين، أظهر فيه ولاء له وإخلاصه لدولته<sup>(\*)</sup>. وفي بدء الربيع حين نهض ميرزا المذكور من حاضرة قره باغ وهو عازم على محاربة أولاد قره يوسف التركماني وتوجه نحو حدود آذربايجان، جاءه في مستهل غرة جمادى الأولى لسنة أربع وعشرين وثمان مئة (١٤٢١ م) في المحل المسمى (كتمه) الرجل المسمى غياثي قاضي محمد موفداً من الأمير شمس الدين والي بدليس وهو يحمل معه الهدايا والتحف، فسمح له بدخول الديوان الهمايوني. ثم انصرف مقضي المرام. هذا ولما تشرفت مرگوا - التابعة لأنحاء أخلاط المعروفة بمروجها النظرة - بأن يكون مضرباً لحيام جيش شاه رخ المنصور، استقبل الأمير شمس الدين مع جمع من أمراء كردستان موكبه الهمايوني في غرة جمادى الثانية من السنة المذكورة، فحظي بتقبيل أنامله، فغمره بأنظار عطفه وشمله بالأنعام والخلع وخصه بمراحمه والأعتراف بإيالته على بدليس ومضافاتها وأعطاه كتاب عهد جديد. فلبث في خدمته حتى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور. ثم صدر له الإذن بالانصراف فرجع إلى ولايته.

وكان الأمير شمس الدين من غير صلف ورياء ومبالغة في الوصف والثناء رجلاً

---

(\*) في أحسن التواريخ ج ١١ ص ١٢٥: إن الأمير شمس الدين والي بدليس وقره عثمان وأولاد علي بيك وبازيد بيك التحقوا بالأمير شاه رخ فوصل النبأ أن أولاد قره يوسف التركمان ساروا إلى خلاط، فسير شاه رخ كلا من الأمراء التالي أسماؤهم إلى المقابلة، فأرسل أمير خليل إلى شيروان وأمير إسفنديار إلى دربند وقوهستان في أران وملك محمد بن الملك الأعظم (يعني نجل الملك عز الدين شير) إلى كردستان والأمير شمس الدين محمد إلى بتليس «الأمير محمد الكرد إلى أخلاط...».



ورعاً نبيهاً ملماً بأمور الحكومة وشؤون السياسة. ولسكان تلك المناطق فيه الاعتقاد البالغ بأنه كان قد طوى المراتب السبع<sup>(١٠)</sup> فحصل في عالم الإنس على قسطه. فقد شاعت الحكاية، ووردت في بعض رسائل الصوفية: بأن الوحوش والطيور كانت تستأنس به، حتى إنه كان إذا توضعاً تقصده السبع والوحوش وتشرب من كفه الماء! وأسندت إليه كرامات وخوارق عادات كثيرة احترز عن ذكرها هنا، لئلا يحمل إيرادها على محمل آخر. وقد كان يقضي وقته في مجالسة الذين تلوح السعادة على نواصيهم، وينادم العلماء والفضلاء وجماعات الصوفية المحترمين. وقد اشتهر بين الناس بالأمير شمس الدين الكبير، ولا يزال سكان هذه المناطق يتوسلون بأنفاسه المباركة، ويطلبون الفيض من روحه الطيبة الطاهرة.

ولقد بلغ في فترات التراكمة على عهد الدولة القره قوينلية أن أعلن استقلاله، وأمر أن يضرب اسمه على النقود ويتلى في الخطب. ففي البلاد الكردية اليوم نوع من النقود الذهبية والفضية يزن كل واحد منها مثقالاً، يسمى (النقد الشمس الديني) نسبة إليه. وقد احتفظ به سكان كردستان - بصورة خاصة - تيمناً وتبركاً. وشاهده الفقير بنفسه مع ثلاثة أصناف أخرى من النقود ضربت باسم ثلاثة أمراء من حكام بدليس: أحدها باسم محمد بن شرف وثانيها باسم شرف بن محمد وثالثها باسم شمس الدين بن ضياء الدين.

هذا والبنائات الخيرية (التي هي زاوية ومستشفى ودار ضيافة وجامع في حارة غوك ميدان) المبنية في شهور سنة عشر وثمان مئة (١٢٠٨م) والمعروفة جميعها بالبنائات الشمسية كلها من محدثاته. ومن موقوفاته التي تلف كثير منها في الكوارث قرية ترميت من أعمال موش، وقرية كازوخ الواقعة بين أرجيش وعادل جواز، وأربعة حقول، وسبعة حوانيت، وفندق واحد، وعشرون داراً تسكنها أسر أرمنية في مدينة بدليس وأنجائها. ولا تزال (الزاوية) المذكورة مأوى الفقراء والمساكين، يجدون فيها طعامهم وشرابهم، كما أن قرية كاروخ لا تزال وقفاً للناس من العام والخاص، يقدم فيها الطعام للغادي والرائح. وأخيراً قتل الأمير شمس الدين - بإغراء من ميرزا إسكندر بن قره يوسف

---

(١٠) من مصطلحات الصوفية.

التركمانى<sup>(١١)</sup> الذي كان قد بلغ في الجهل والحماقة الحضيض - في بلدة أخلاط. وجاء في إحدى الروايات أن رفات ذاك الأمير العظيم نقل من أخلاط إلى مدينة بدليس حيث دفن في الجانب الشرقي من غوك ميدان بمحاذاة الزاوية المذكورة التي بناها بنفسه. وفي رواية أنه لا يزال مدفوناً في أخلاط. وعلى كل فقد اختلف الناس من معرفته اختلافاً كلياً<sup>(١٢)</sup>.

ولقد شاع على الألسن أن الباعث على اغتياله هو هذه الرواية الآتية: كانت عقيلته - وهي شقيقة ميرزا إسكندر - من بنات التركمان المولعات بركوب الخيل ولعب الكرة والصولجان ورماية السهم، وكانت ترغب في مزاوله تلك العادة في بدليس بلدة زوجها بين الفينة والفينة. وكلما كان الأمير الكبير يحاول منعها ويسدي إليها النصح قاتلاً: نحن من الشعب الكردي وإن عادات التراكمة غير مستحسنة عندنا، فإن تركها أولى، إلا أنها ازدادت عناداً وإلحاحاً.

#### ⚡

بلطافت چو بر نيايد كار سر به بيحرمتى كشد ناچار

(إذا لم يتيسر الأمر بلطافة، فلا بد أن يعالج بالقسر).

فلم يكن الأمير شمس الدين حين رأى ثرثرتها إلا أن لطمها على فمها لطمه كسرت إحدى ثناياها، فلقت تلك السن المكسورة في قصاصة ورق وبعثت بها مع رسالة ضمنيتها ظلامتها إلى أخيها في ارجيش. فلم يكن من ذلك الظالم السفاك الغدار الذي سمي لطيشه دلو إسكندر أي إسكندر المجنون حين قصد الأمير شمس الدين زيارته في أخلاط إلا أن قضى عليه غيلة. وفي اعتقاد الفقير جامع هذه

(١١) في أحسن التواريخ ص ١٣٤ ج ١١: «إن إسكندر لما نزل سگمن آباد قصده أمراء كردستان فأسر أمراء بدليس وتوجه إلى كردستان، فأرسل شمس الدين بيك إلى باب القلعة ليذعن المتحصنين بأن يسلموا القلعة، ولكنهم لم يسلموها. وقد تحصن الشبان الأكراد فيها، فأمر إسكندر بقتل عدد من الأمراء الأكراد، ثم سار نحو خلاط فلم يتمكن من فتحها أيضاً، وكان شمس الدين يملك بدليس وأخلاط، وواحد وعشرين قلعة أخرى، في أنحاء بتليس وأخلاط وموش... وفي دياربكرية ص ٩٤ ج ١/ أن الأمير إسكندر... وكان أخا لزوج الأمير شمس الدين، لمايئس من فتح القلاع أمر بقتل الأمير بقتل شمس الدين نفسه».

(١٢) فكما جاء في لب التواريخ (چاپ خاور) ص ٢١٥: إنه قتل سنة ٨٢٨هـ.

الرسالة أن هذا بعيد الاحتمال، والظاهر أن الذي حمّله على قتله هو ما قام به الأمير شمس الدين الكبير من عرض الأخلص والولاء على سدة ميرزا شاهرخ السنية. ولما فاز بالشهادة، تقلد ابنه الأمير شرف مهام الإمارة وقلادة شؤون الحكومة مكانه.

### ٣- الأمير شرف بن الأمير شمس الدين

تولى الأمير شرف شؤون الملك، لكنه كان مضطرب الأعصاب مرتبك العقل واللب، يببب الليالي في أتون الحمام، وقد عمل لنفسه من الحديد قفصاً يدخله بالنهار، ولسان حاله يترنم بهذه الكلمات الآتية «إن موضع يعقوب<sup>(١٣)</sup> القفص!». وحكت أيام عمره موسم الزهور فمرت سراعاً ولم تبق منها آثار تذكر على صفحات الدهر.



اگر شادی اگر غمگین درین دیر      ندای ایمن ازین دیر کهن سیر  
چو می یابد شدن زین دیر ناچار      نشاط از غم به و شادی ز تیمار  
(سواء أكنت جذلاً أو مهموماً في هذا الدير، فلست أميناً من مكر هذا العجوز.  
وإذا كان لابد من مغادرة هذا الدير فالنشاط أحسن من الغم، والسرور أولى من الهم).

وقد جاء في رواية الثقات أن عقيلته السيدة شاهم، (وكانت من بنات ملوك حسن كيف = حصن كيفا) قد ادعت جنونه على عهد حياته، وحصلت من العلماء الفتيا بانفساخ نكاحها، ففارقته وتزوجت من رجل يدعى الأمير سيدي أحمد ناصرالدين. ثم لما انتقل الأمير شرف إلى رياض الخلد، وكان قد خلف ولداً صغيراً اسمه الأمير شمس الدين. ولم يكن جديراً بتقلد زمام الحكم وإدارة أمور الشعب انتقلت مهمات ولاية بدليس وإدارة شؤونها إلى الأمير سيدي أحمد وعقيلته شاهم خاتون. إلا أن الحادثة المذكورة أغاظت رؤساء عشائر روژكي، فثاروا وتمردوا، واستقل كل واحد منهم بتقلد زمام الإدارة في إحدى نواحي بدليس، وشرع في تصرفها: من ذلك أن الأمير محمد ناصرالدين استولى على أخلاط، وعبدالرحمن

(١٣) اليعقوب: ذكر الحجل.

آغا قواليسي غصب ناحيتي چقور وموش، ووقعت الفوضى والهرج بين قبائل  
روژكي حتى تزعم كل واحد منهم وادعى السلطنة وأدار لنفسه الإمارة.

۱۶

ولایت ز سلطان چو خالي شود رئيسي بهر قريه والي شود  
(إذا خلت المملكة من السلطان، غدا كل رئيس والياً في قريته).

#### ٤- الأمير شمس الدين

ولم تزل ولاية بدليس على هذه الحالة أمداً إلى أن خرج الأمير شمس الدين من  
بدليس ذات يوم للقنص والاصطياد، فالتقى في طريقه فوق القنطرة المسماه پل عرب  
بالشخص المسمى عمرياد گاران المنتمي إلى عشيرة بايگي وقد حمل دواباً عديدة  
حطباً جاء به من كيفندور كعادته ليبيعه في بدليس. فلم يراع عمر نظام الأدب ولم  
يثن دوابه من طريقه، بل ساقها. فاغترز سنان عود من الحطب في ركبة الأمير  
شمس الدين، فقال له: «أيها الرجل الأحمق الأبله! هل أنت أعمى لا تتمكن من  
إخراج دوابك من الطريق ليتمكن الناس من المرور؟» فوقف عمر في وجهه وأجابه  
جواباً خشناً قائلاً: «الأعمى هو الذي لا يبصر عيب نفسه!» فتألم الأمير شمس  
الدين في بادئ الأمر من كلامه وأراد إيذاه والفتك به، ولكنه أشفق عليه فرأف  
بحاله وكظم غيظه، وغض عنه النظر وعفا عنه.

۱۶

گر صبر کنی ز صبر بی شک دولت بتو آید اندک اندک  
(لو صبرت وتحملت، لأتاك من الصبر المجد شيئاً فشيئاً).

ولما هدأت ثائرة غضبه وزال سخطه أخذ يحدث نفسه ويقول: لعل إقدام هذا  
الرجل العادي على الوقوف في وجهي ومقابلته إياي بهذه الكلمة، مبني على حادثة  
ما! ثم لما رجع من القنص ورأى أن عمر يادكاران قد باع الحطب وعاد إلى بيته،  
دعاه إليه، وقال له: أيها الجاهل الحقير! ما هذه الكلمات التي قابلتني بها؟ هل  
كنت تهذر وخرجت عن طريق الصواب وخالفت الأدب وأخذت تشتمني أم ماذا؟

ففتح عمر فاه متذللًا بالاعتذار عما بدر منه وقال: أيها النبيل الكريم ويا قرّة عين الشعب! إن العبد الحقير<sup>(١٤)</sup> لم يحد عن طريق الأدب ولكن الكلمات التي تفوه بها كانت متفجرة من منبع الإخلاص والحب لأسرتكم الكريمة. فلو أردت الإصغاء إلى ما أريد عرضه، فاطلبني إلى خلوة من الناس لأشرح لك ما يدور في خلدي؟ ثم لما استفسر الأمير منه تفصيل ما أجمله، شرح له عمر حادثة والدته وكيفية اقترانها بالأمرير سيدي أحمد ناصر الدين بعد أن حصلت في حياة والده على الفتوى من العلماء بانفساخ نكاحها، ثم كيفية توليها زمام إدارة الحكومة شرحاً وافياً. قاستحسن الأمرير شمس الدين رأيّه وسأله ما العلاج لتدارك هذا النقص وغسل هذا العار؟ فقال عمر: « ادع إليك فلاناً وفلاناً و... من شبان روزكي البسلاء الجلودين وطيب قلوبهم بالمواعيد حتى تتمكن من جلب قلوبهم وعقد الاتفاق معهم، عند ذلك أعرض عليك ما ينبغي عمله! » فاعتنى الأمرير شمس الدين بتلك المهمة، وأخذ يدعو إليه كل يوم عدداً من أولئك الشبان ويعقد معهم الحلف. ولما كان الأمرير سيدي أحمد ساهر العينين وقف على المؤامرة التي تحاك ضده في أسرع وقت، فلاذ بالفرار وقصد الأمرير آبدال حاكم ولاية بختي = بوتان ملتجئاً. فلما علم الأمرير شمس الدين بفراره بادر إلى القضاء على والدته أولاً ثم سار في عقب الأمرير سيدي أحمد إلى ولاية بختي = بوتان. فلما طرق نبالاً اختراقه الحدود مسامح الأمرير آبدال حشد قواته وبرز إليه حتى عسكر في ضفاف نهر ظلم<sup>(\*)</sup> وتأهب لخوض غمار الحرب وتقديم لمحاربتة. إلا أنه قبل أن تندلع بينهما نيران الحرب أوفد إليه الأمرير شمس الدين من يطالبه بتسليم الأمرير سيد أحمد إليه. فرد عليه الأمرير آبدال بقوله: «إنما ينقلب هذا الأمر من حيز الإمكان إلى حيز الفعل إذا سلم إلينا حسن شيروي الذي قتل قبل مدة أحد أنجال أمراء بختي = بوتان واحتفى ببلادكم!».

وأخيراً بعد أن بادلا الوفود والرسائل تقرر أن يرهن الأمرير شمس الدين عنده بضعة نفر من رؤساء عشيرة روزكي إلى حين تسليم الأمرير حسن شيروي ليسلم إليه

(١٤) يعني عمر بلفظة العبد الحقير نفسه.

(\*) في الأصل الفارسي (أي المخطوطة الموجودة في لندن) نهر(خرگام) فكيف انقلب إلى (ظلم)؟ في الطبعة الفارسية المطبوعة في مصر؟

الأمير سيد أحمد. وعلى هذا الأساس انتخب الأمير شمس الدين رجلاً يجيدون السباحة والعموم من ذوي الإقدام والجلادة الذين يجازفون بحياتهم ليعث بهم إليه رهائن لديه. وكان قد أوصاهم خلصة أن يقيموا على مقربة من شاطيء الرافد. فإذا شعروا بحدوث ضجة في المعسكر تركوا خيولهم ومعداتهم ورموا بأنفسهم في الماء وتخلصوا بالسباحة والتحقوا بجيشه لأنه لا يفكر في تسليم مير حسن لعشيرة بختي = بوطان أبداً. فلبى الرؤساء الروزكيون أمره وسلموا أنفسهم إلى الأمير آبدال الذي سلم إليهم الأمير سيد أحمد آملاً أن يسلم إليه الأمير حسن ويستتب أمر الصلح. وما إن أخذ سلطان الإيوان الرابع «الشمس» يخلع من رأسه التاج الذهبي ويرتدي الليل اللباس العباسي الأسود وطفق الفلك يرتقب طلوع حراس الليل «الكواكب» حتى بادر الأمير شمس الدين بإعمال السيف البتار في رقبة سيدي أحمد اللثيم الجاحد حقوق نعمة مواليه وقطع سلك حياته. ثم أرسل من أبطال روزكي من يشنون هجوماً مباغتاً على العدو في رافد «خرگام». فارتعدت فرائص طلائع جيش روزكي من هجومهم واضطرب الجيش وارتفع الضجيج. فانتهز الرؤساء الروزكيون المرهونون الفرصة فألقوا بأنفسهم في الماء وعبروه بالسباحة ولحقوا جيشهم.

فلما أسفر الصبح وأخذ سلطان المشرق «الشمس» صاحب الجنود الكواكبية يتراجع من شواطيء بحار المغرب نحو الفلك الرابع، وقد نصب رايات الإشراف وأنذر بالإضاءة وإمحاء ظلمة الليل، ونهض الفريقان إلى خوض غمار الحرب وتأهباً للنزاع وتواقفاً على شاطيء الرافد. إلا أن الأمير شمس الدين نخس جواده بالمهماز حتى تقدم وخاطب الأمير آبدال قائلاً: «أيها الأمير! إنني تمكنت من خادمي الذي خانني ووجدت نعمتي ففتكت به وليس لي معك عداً ولم آت لأحاربك، فإذا كنت لا تريد إلا الحرب فهذه ساحة القتال وهؤلاء الأبطال فهبوا!» فلما سمع أبناء عشيرة بختي = بوطان هذه الكلمة قدم الأمير آبدال جواده وقال: «أيها الأمير شمس الدين إن آباءك وأجدادك الأقدمين كانوا منذ القدم أشياخ آبائنا وأجدادنا وكان الولاء سائداً بينهم فلا أريد الخروج من المجادة التي ساروا عليها لئلا أغدو حقيراً في نظر الخلائق وأجلب لنفسي خجل الدنيا والآخرة وأخون بذلك عهدهم معاذ الله كما خان سيد أحمد النذل الذي نسي عهد أجداده وخالف الأدب حتى نال عقابه.

والآن فالمأمول من الأعطاف ومكارم الأخلاق أن توافقوا على أن نعقد معاهدة الصلح». فلما سمع الأمير شمس الدين ما أبداه من اللطف عقد معه صلحاً وأبرم ميثاق الولاء والحلف ورجعا أدراجهما. ومنذ ذلك اليوم حاز الأمير شمس الدين لقب (دشوار = المقاوم العنيد). هذا وقد نجل خمسة بنين هم: سلطان أحمد وسلطان محمود وضياء الدين والأمير شرف والأمير إبراهيم. مات الثلاثة الأولون بالطاعون سنة خمس وثلاثين وثمان مئة (١٤٣٢م) وتوفي الرابع بعد أن يفغ وترعرع وبلغ عنفوان الشباب وبقي الأمير إبراهيم ليرث الملك بعد وفاة أبيه.

#### ٥- الأمير إبراهيم

تولى الملك بعد وفاة والده رداً من الزمن ثم رحل إلى عالم الخلود مخلفاً ابنه المسمى الأمير حاجي محمد.

#### ٦- الأمير حاجي محمد

حل محل والده في الحكم. ولما دخلت سنة سبع وأربعين وثمان مئة (١٤٤٤م) شرع يشيد وسط مدينة بدليس وعلى مقربة من شاطيء رافد (رباط) مدرسة ومسجداً فأكمل بناءهما في بحر سنة واحدة ثم أدركه الأجل سنة خمس وستين وثمان مئة (١٤٦١م) فدفن في زاوية من المسجد الذي شيده بنفسه. وقد أعقب على صفحات الدهر ابنين محظوظين هما: الأمير إبراهيم والأمير شمس الدين. فتولى مكانه الأمير إبراهيم الحكم بوصية منه كما يلي شرح حاله مفصلاً.





## الفصل الرابع

### في ذكر الأمير إبراهيم بن الأمير حاجي محمد

#### ٧- الأمير إبراهيم

لقد نقشت اليراعة المدبجة للكلام على لوح البيان أنفاً: إن حكام بدليس وقره يوسف القره قويونلي ما برحا يتمتعان بعطف الأبوة والبنوة ودوام ولاء القرابة بينهم حتى الأخير. ثم بعد أن أودى حسن الطويل الآق قويونلي بحياة جهان شاه بن قره يوسف بسبب العداء المتأصل بين الفريقين، وبعد أن تمكن من احتلال بلاد دياربكر وأرمينية وآذربيجان. وجه كل همه للقضاء على الأسرة القره قويونلية واستئصال شأفتها والفتك بذوي قرابتها وأشياعها، فسير بادىء بدء سليمان بك بيژن أوغلي(\*) - وكان من أمرائه العظام - بجيش لا يعد ولا يحصى إلى ولاية بدليس لاحتلالها، وعهد إليه بأسر حكامها. فتوجه سليمان بك بذلك الجيش الجرار نحو كردستان. فلما أصبحت ضواحي قلعة بدليس مضرراً لخيام جيوش التركمان، بادر الأمير إبراهيم ابن الأمير حاجي محمد - وكان آنئذ يتولى بها الحكم - إلى تحكيم أبواب القلاع والحصون والتحصن بها. فقام سليمان بك من ساعته بمحاصرة القلعة وضرب الخناق عليها، وهياً المعدات اللازمة للتمكن من فتح القلعة، وظل محاصراً لها ثلاثة أعوام متتابعة حتى كان في كل عام (عندما تأخذ الشمس المضيئة للعالم، بترك النقطة المحاذية للاعتدال الخريفي، وتتقبع وهي سلطان الأفلاك، خوفاً من

---

(\*) لقد جاء في الصفحة (٥١٠) ج ١١ من احسن التواريخ: «أن أوزون حسن (الحسن الطويل) سير سليمان بيگ بيجن (بيژن) مع عدد من الامراء العظام امثال: «اصلان بك ذو القدر وأحمد بيگ اسفنديار، وريل الذي بيگ چينى وامير محمد بيگ سعدلو، وأميرجان سعد لو ابن صارومير علي مع خمسة الآف فارس لاحتلال (بدليس) وكان واليها آنئذ «إبراهيم بگ» الذي أرسل والدته مع هدايا للتوسل والتشفع فأمره «حسن باشا» على أن يخلي القلعة ويرحل عنها، وكان ذلك في سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩م).

زمهرير الشتاء، والهواء القارس بقبعة السحاب السنجابي، وتتجرد المروج من بهجة الأوراد وحلى الأزهار، وتتعرى الأشجار من نعمة الفواكه والأثمار، وشملة الأوراق الخضرة، وتخلع الرياض والفراديس الأردنية الخضراء المستعارة) يطمئن شيطان طموحه الغاضب بقرب الحصول على المأمول، ويفك الحصار ويتوجه نحو ماردين وبشيري لقضاء موسم الشتاء. ثم إذا جاء فصل الربيع وهب نسيم الاعتدال، وتفتحت الرياحين والأزهار فانقلبت ساحات الأرض العراء مروجاً خضرة، يخرج (بيژن أوغلي) رأسه مرة أخرى من قعر حضيض التيه والضلال وينهض لمحاربة أبناء الكرد الرستميين الأبطال في بدليس، فيضرب الحصار والخناق على القلعة، فتثور أصداً رعود مجانق الفريقين، وتتساقط من الأعالي والأسافل الأحجار والنبال، فتبدد أدمغة الشجعان وتخطف الحياة من جسد الأبطال.

#### 18

چو مژگان خوبان دو صف رزم ساز	يكي در نشيب و يكي در فراز
ز بالا كه سنگي بزير آمدی	ز گاو زمين بانگ شير آمدی
ز پايان كه تيري بيلا شدي	مشبك در اين چرخ والا شدي
باهنگ كين كرده چرخ بلند	ز مه حلقه وزمهر تابان كمند
تفنگ همچو سنگين دلان زمان	زده رخنه در كار امن و امان
زخون يلان برجهها نا حصار	شده لاله گون همچو گلهاي نار

(توافق صفان كأنهما أهداب الفاتنات، صف في الجانب الأسفل وصف في الجانب الأعلى، فكلما كانت الأحجار تنحدر من فوق، كان ثور الأرض<sup>(١)</sup> يصيح ويلاه!... وكانت الأنبال المصوبة من الأسفل إلى الأعلى تؤلف مشبكات في ذلك البرج الرفيع... ولقد جعل الفلك، في وقت الحرب، من القمر أوهاقاً ومن الشمس أقواساً. وكانت البنادق الحاكية قلوباً قاسية تعرقل طرق الأمان... أما دماء الأبطال المهراقة، فقد ضرجت أبراج الحصار، حتى أضحت قرمزية تحكي الجلنار).

ولما امتدت أيام الحصار أمداً طويلاً، أدى الجوع وضنك العيش وانتشار

(١) إشارة إلى الخرافات الإسرائيلية الواردة في بطون بعض الكتب من أن الأرض واقفة على قرن ثور.

الأمراض، إلى أن تضيق الحال بالمحصورين، ويفتك بهم الطاعون والوباء حتى لم ينج منهم إلا سبعة أنفار والأمير ابراهيم. في هذه الآونة كان الأديب محمود أوغلي الشاعر، وكان من مداحي سليمان بك، قد صاغ قصيدة تركية تتعلق بمقاومة الأكراد ضمنها البيت الآتي، وبعث بها إلى حسن بك:

☞

شها أول بدليسگ کردی مطيع اولمز سليمانه  
أزلدن قالمه عادتدر، چالشورلر أوجاغ أوسته  
(أيها السلطان! إن أكراد بدليس هذه، لا يدعون لسلطان سليمان. هذه عادة أزلية، إنهم يبذلون الجهد في تأجيل المواقف<sup>(٢)</sup>).

وخلاصة القصة أنه بعد أن كل الطرفان. وبلغ منهما الجهد والضنى مبلغهما، فكر الطرفان في كلمة (الصلح خير) وتوسط المصلحون، فتقرر أن يؤمن سليمان بك الأمير ابراهيم على حياته وعرضه، ويقوم الأمير ابراهيم بتسليم القلعة، ويترك التدخل في شؤون الولاية. فلما رضى الطرفان بهذا الصلح، عرضت النتيجة على حسن بك وأتى بخاتم الأمان الموثق بالعهود والإيمان، فتم بينهما ميثاق الصلح وشروطه، وترك الأمير ابراهيم القلعة وقصد تبريز لمواجهة حسن بك، واحتل سليمان بك قلعة بدليس وولايتها، ويروى أنه أقصي الأمير ابراهيم بعدئذ مع اثنتي عشرة أسرة من عشيرة روزكي، منهم أسرة شمس الدين عاقلان إلى أنحاء آذربيجان. فلما بلغ تبريز أسند إليه حسن بك منصباً في بلدة قم<sup>(٣)</sup> وأرسله إلى العراق<sup>(٤)</sup> ولم يزل مدة حياة حسن بك مشمولاً بالعواطف وهو يتلقى العناية والرعاية. فلما انتهى أجل

---

(٢) لعله يشير بذلك إلى قصة خرافية وردت في بطون بعض الكتب من أن الرجل الذي كان يؤجج النار التي ألقى فيها ابراهيم الخليل عليه السلام، كان كردياً، وكان اسمه هبرين.

(٣) قم = قمس: كورة في ذيل جبال طبرستان. [م.عوني] (أقول: لقد أخطأ الأستاذ عوني، فقم بلدة معروفة مركز قضاء تابع للعاصمة (تهران) فيها مزار معصومة بنت الإمام موسى الكاظم وفيها الجامعة العلمية، تحدها شرقاً بحيرة الملح (كويرنمك) وجنوباً «كاشان» وغرباً ساوه وأراك... وللنكتة يقال: «صادراتها الملالى، ووارداتها الأموات» للدفن في المقبرة حول القديسة معصومة.

(٤) يعني العراق العجمي = بلاد الجبل.

حياته واحتسى قدح المنون من يد ساقى الأجل وانتقلت سلسلة السلطنة إلى نجله يعقوب بك، وكانت عشيرة (روژكي) لا تزال تقوم بالثورات في بدليس، لم يكن منه إلا أن أصدر الأمر بقتل الأمير إبراهيم في بلدة قم ففارق الحياة<sup>(٥)</sup>. وقد أعقب من السيدة عقيلته التي تزوج بها من أسرة عظيمة من أكابر البلدة المذكورة، ثلاثة بنين، هم: حسن علي و حسين علي وشاه محمد. وظلت ولاية بدليس زهاء تسع و عشرين عاماً في تصرف الحكومة الآق قويونلية، وساد الهرج والمرج في عشيرة روژكي، وانتشر رجالها العظماء في البلدان، ونحا كثير منهم نواحي مختلفة، ولم يبق منهم فيها إلا عدد قليل قبعوا في زوايا العزلة، وحبسوا الأقدام عن الحركة، وتمسكوا بأذيال الصبر، وأغلقوا الأبواب على أنفسهم لا يدخلون ولا يخرجون.

وكان محمد آغا كلهوكي المخلص لأسرة ضياء الدين من عمد رجال هذه العشيرة قد اضطر آنئذ إلى اختيار ملازمة أمراء التركمان الآق قويونليين وقضاء أوقاته في العراق العجمي، فكان كثيراً ما يقصد زيارة أنجال ولي نعمته المرحوم الأمير إبراهيم في بلدة قم ويعبر عن إخلاصه لهم واستعداده للتضحية بنفسه في سبيلهم مظهراً ولاءه لهم.

وكان رجلاً قد حنكته الأيام وأنضجته الأحداث ومعاناة المحن، فكان يحدث النبلاء المذكورين عن كثرة عشيرة روژكي ووفرة أشياعهم وأنصارهم، ويظهر لهم أنهم من أشرف بيوت الأمراء في كردستان. وأن أسرتهم أشرف الحكام. ثم يقوم فيعرفهم شيئاً فشيئاً بمنطقة بدليس، ويصف لهم مناخها وكثرة متنزهاتها ووفرة حدائقها، ثم يكشف لهم عن سهولة السيطرة على قلاع بدليس وولايتها، والقضاء

(٥) في كتاب دستور الوزراء لمؤلفه المعروف (خواندمير) ص ٣٨٠: «لما سار حسن بك الطويل بجيشه إلى تخوم الروم سنة ٨٧٧هـ-١٤٧٢م، هابه إبراهيم بدليسي الذي كان يحكم وراثيا مملكة بتليس وقد أبعده في تلك الآونة، إلى قم، وكان يسلك سلوكا غير مرضي، يوجب القلق والاضطراب، ووجل منه ان يهرب راجعا إلى وطنه الأصلي ليتولى الولاية عليه، لذلك أصدر أمرا بقتله، وجهه إلى خواجه برهان الدين عبد الحميد والي العراق العجمي، وكان آنئذ في ساوه، فبادر امتثالا للأمر بالسفر إلى قم ونزل في إحدى المدارس، وبعث من يحضر أمامه «إبراهيم» فتوجه إليه إبراهيم وكان قد سمع بانه مأمور بقتله، فحمل معه خنجرا أخفاه في جيبه، فلما حضر مجلس خواجه وبدأ بينهما النقاش حمل على خواجه على غرة وطعنه طعنات، فهرع مرافقو خواجه لقتله بالسيف وتقطيع أوصاله، فمات خواجه أيضا على أثر الضرب بعد يومين».

على المنافسين والأعداء المستولين عليها، حتى تمكن بذلك من إقناعهم وإغرائهم بأنه إذا أراد أحدهم التوجه إلى كردستان، فلا جرم أنه حين يبلغ تلك الأطراف تجتمع عليه الأشياع والأنصار والعشائر القبائل الكردية فيتيسر له فتح قلاع الولاية بسهولة (بعون الله) ويسترد بذلك مجد أسرته القديم. وبعد ذلك أفضى بهذا السر إلى والدتهم، وزين لها الأمر قائلاً: إن تفضلت بالإذن لأحد أنجال سيدي أن يصطحب العبد المخلص لهم<sup>(٦)</sup> الراغب في دولتهم إلى كردستان، فإنني أطمئنك بأن عشيرة روزكي ستجتمع عليه، فيتمكن بقوتهم من انتزاع بدليس ونواحيها الوراثة من الأمراء التركمان الآق قوبونليين عنوة. وبذلك يعود الحق إلى نصابه وتعود المياه إلى مجاريها، وترجع عشائر روزكي وقبائلها التي غادرت وطنها منذ أجل بعيد إلى موطنها وتضع رقبته في ربيعة طاعتها.

وملخص الأبحاث أنه دعم أقواله بالبراهين حتى أقنع السيدة الوالدة وأغراها، فوافقت على فراق فلذات كبدها، وعهدت بكل من ابنيها حسن علي وحسين علي إلى محمد آغا، فجاء بهما إلى ولاية حكاري وأسكنهما بين ظهراي الطائفة (الآسورية = الآشورية) المعروفة في تلك الأصقاع باسم سبديافان، وعهد بأمرها إلى نفر اعتمد عليهم قائلاً: أنهما ابناي، فلا بد أن تعنوا بالمحافظة عليهما! وتوجه إلى ولاية بدليس، ليبشر محبي أسرة ضياء الدين والمخلصين الموالين لهم بقدوم اثنين من أنجال ولي نعمتهم الأمير إبراهيم ويطلب منهم التأهب لنجدتهما في فتح الولاية واستردادها.

من سوء الحظ أن صادف في هذه الآونة أن اختلفت الطائفة الآسورية = الآشورية مع الأمير عزالدين شير حاكم حزو = حظو، فنشب بينهما النزاع، وحادت هذه الطائفة عن طريق الأدب وشقت عصا طاعته ونزعت ربيعة متابعته. فنهض عزالدين شير لتأديبهم وإخضاعهم بجيشه، ونهضت للذود عن أنفسها كما قيل:

⚔

وقت ضرورت چو نماند گریز دست بگیرد سر شمشیر تیز  
(إذا ضاق بالإنسان الأمر ولم يبق طريق للفرار، فلا شك أن اليد ستقبض على  
سنان السيف البتار).

(٦) يعني (محمد آغا) بالعبد المخلص نفسه.

وتأهبت للحرب والقتال واستعدت للنزال وأعلنت عن جلادتها وبسالتها. فقتل في المعركة حسن علي وأخوه. وبينما كان محمد آغا يبشر بقدوم النبيلين أبناء عشيرة روژكي ويستعطف قلوبهم ويفاوض أمراء كردستان العظام باسمهما؛ إذ أنبىء بهذه الفاجعة الأليمة والكارثة الفظيعة المفتتة للأكباد. وما إن شاعت حادثة مقتل هذين النبيلين بين أبناء عشيرة روژكي البائسة المشتتة، حتى ضجوا ونادوا بالويل والشبور، فضاقت الدنيا في أعينهم وعلت زفراتهم حتى اخترقت الأجواء، وجرت عبراتهم الممزوجة بالدماء حتى سالت منها الأنهار، ونحلت أجسامهم حتى وقعوا جميعاً مغشياً عليهم، مخرجين بالدماء والدموع السائلة من عيونهم، وعلقوا قطع اللبد السود المعبرة عن الحزن في رقابهم<sup>(٧)</sup>، واضطبعوا بالأردية الخفيفة الممزقة، ولم يقفوا عند شق الجيوب بل جاوزوه إلى شق الأفئدة والحياة.



فمانده ديدة كزان واقعه نشد خونبار نماند سينه كزان حادثه فگار نگشت<sup>(\*)</sup>  
 (ما بقيت عين لم تبك دماً من هول تلك الفاجعة، ولم تبق أفئدة لم تتصدع من فظاعة تلك الكارثة).

نعم! لم يبرز في أفق الحدوث نجم دولة لم يمل نحو الأفول، ولم تبرز في ساحات المجد قمة تعالت إلى السماء إلا أدت بها الزلازل والفتن إلي السقوط.



بگلزار گیتی درختی نرست      که ماند از جفای تبرزین درست  
 وزین باغ رنگین چو پَر تذرُو      نه گل در چمن ماند خواهد نه سرو

(٧) هذه القطع السوداء المعبرة عن الحزن في حضارة الأكراد القديمة ! استبدلت بها اليوم التقليد الإفرنجي ! بلبس قرويته (كروات) سوداء، (وفي الرسائل المنشورة تحت عنوان «كوده» بالفارسية، جاء أن كلمة «الكروات»، «الكرابات»، «الكرويش» إنما أطلقت على الكرواتيين لتقليدهم الفرس في التميز بما يسمّى اليوم «قرويته» (رباط العنق) الذي يستكرهه المسلمون.. وربما انتقلت اليهم كشعار تقلدوه في أعناقهم... شكور مصطفى).  
 (\*) لم يتنبه الناشر والمترجم إلى خطأ كتابة هذا البيت، حيث ورد السطر الثاني منه.  
 .... فگار نگشت.. والصواب «..... نگشت فگار». شكور مصطفى.



اللوحة الرابعة العشرة  
محاصرة القوات الآق قوبونلية لقلعة بدليس





(لم تسمق في رياض الكون شجرة سلمت من غدر حملة الفؤوس. وفي هذه الجنة الملونة كجناح التدرج لم يدم لا الورد في المروج ولا السرو السامق في البستان). وأخيراً بعد أن حدثت هذه الحادثة وقع محمد آغا في بحر الاضطراب والفكر وتلاطمت به أمواج الفتن، فزعزع طوفان الغم وأمواج الهموم والمحن مرساة صبره وغرقت سفينة سلوته وتحمله في غمرة دأماء الإحن، حتى أضحت لقمة سائغة لحوت الفناء وأدت به الهموم وآلام الفراق إلى أن يحار في أمره ويقول: «واحسرتاه على تلكما الزهرتين أقحوانتي حديقة الحكم اللتين نشأتا في جداول الملك والسلطنة. كيف حلت بهما الكوارث قبل أن يرتويا من أنهار الإمارة والولاية؟

وفيما هو في هذه الحالة المضطربة الموحشة إذا بأحد أحيائه يخبره بأن الأمير شمس الدين أبا الأمير إبراهيم لا يزال على قيد الحياة، وأنه يقطن الآن ناحية أروخ. وقد تمكن - حين قيام سليمان بك بيثن أوغلي بحصار قلعة بدليس - من الفرار من بدليس والدخول بين ظهراي عشيرة بختي = بوطان، وقد تزوج بها من كريمة الأمير محمد اروخي فولدت له ابناً اسمه شرف بك، وهما الآن بين العشيرة المذكورة. فما كاد محمد آغا يسمع هذه البشارة حتى طفق قلبه بشراً وسروراً، وولى وجهه شطر تلك المنطقة قاصداً الأمير شمس الدين في غاية السرعة. فلما سعد بزيارته، أدرك في ناصيته لمعان إمارات المجد، وشاهد في جبهة أماله آثار الفطنة والدهاء، فأعجب بأطواره الحسنة وخلقته العالي. ثم أخذ يقص عليه ما قام به من الأعمال التي أخفق فيها، وصور قصته بحيث فاضت رقة الأمير شمس الدين وسأله عن مبتغاه فقال له: «بغية العبد أن تشمر عن ساعد الجد، وتضع أقدام العزيمة في ركاب الجلادة وتتوجه إلى ولاية بدليس لغزوها وإنقاذها من الأعداء.

فأجابه الأمير شمس الدين إلى ملتسمه وسار معه إلى ولاية بدليس. وما كاد يبلغ تخومها حتى اجتمع عليه ألف وخمسة مئة رجل من مقاتلي عشيرة روژكي، فبادر من ساعته إلى حصار القلعة وضرب الخناق عليها، وكانت آنئذ محافظة الطرق المؤدية إلى بارگيري وأرجيش وعادل جواز منوطة بعشيرة محمد شالوي التركماني الذي لم يلبث حين سمع بمسير الأمير شمس الدين إلى قلعة بدليس أن نهض إليه بقوة كبيرة من عشائره لصد زحفه، وبرز الأمير شمس الدين من دون أن تنشني قناته أمام قواته التركمانية، فالتقى به في المحل المسمى راهوا، فاشتبك الفريقان وتناحرا

حتى أصيبا بخسائر فادحة. وبرغم أن شجعان الأكراد أبدوا البسالة والجلادة، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً.



چو دولت نبخشد سپهر كهن نيايد بزور آوری در كمن  
(إذا لم يمنح الدهر العجوز السلطنة، فإنها لا تصاد بوهق القوة والعنف).  
وأخيراً أخفق جيش روزكي وأغار قابض الأرواح على الأمير شمس الدين قبل أن يتمكن من القبض على زمام الولاية. وهكذا قبض روحه ومحا اسمه من سجل الوجود، فلم يكن قد قطف زهرة من حديقة الحكم حين هبت عليه ريح الأجل، فكسرت شوكة اليأس في قلبه. أما محمد آغا فقد تمكن، بعد معاناة المرارة والمشقات، من النجاة من تلك المهلكة. إلا أنه خيم عليه اليأس فقطع الأمل من الحياة و من العالم. فأطرق ملياً وقبع في زاوية العزلة.



«چه طالعت من نامراد را يا رب! كه هيچ گونه مرادى نيمدهد دستم»  
(يا إلهي! ما أسوأ هذا الحظ المقترن بتعاستي: حتى لا يكاد يحصل مأمول على يدي).

وفيما هو مطرق قابع في زاوية اليأس والحрман، نابذ حب الدولة والوطن من قلبه، مُقنع على عجزه، قابض ركبتيه بيديه، إذ سمع نداء الغيب وأنشودة الحق.



بيا اي سست همت اين چه سستی است      طريق ره روان گرمی وچستی است  
در أول دانه زير گل بر آيد      چو همت دارد آخر سر بر آرد  
ز همت كه رُبارا جذبه اي هست      كه (كه) را می كشد بي جنبش دست  
چه جاي كه رُبا و جنبش كاه؟!      كه همت كوه را بردارد از راه  
(تعال يا فاطر الهمة، ما هذا التكاثر؟ فنظام سالكي السبل الحماسة والنشاط.  
في بدء الأمر، يختفي الحب تحت التراب حتى إذا اشتدت همته أخرج رأسه. فالهمة هي التي خلقت في الكهربياء قوة الجاذبية حين تجذب التبن دون أن تحركه اليد. دع

أمر الكهرباء وحركة التبنة، فإن همّة الرجال تُجلى من طرق الجبال).  
انهض وأوجف جواد الهمّة بسوط الغيرة، واقصد العراق، واجلب شاه محمد بن  
الأمير إبراهيم الذي بقي في قم، وأدخله بين عشيرة روزكي، فإن هذه المملكة من  
نصيبه، فتوجه محمد آغا، وكله الأمل الخالص من الكذب والرياء، المحلى بحلية  
الصدق والصفاء، نحو العراق مرة أخرى. فلما بلغها وقص على الوالدة فاجعة  
ولديها حسن وحسين التي تذكر الإنسان بوقعة كربلاء، ونعى إليها كذلك الأمير  
شمس الدين، وطلب منها مرة أخرى أن تبعث بابنها الأمير شاه محمد معه إلى  
کردستان حيث تنتظره عشيرة روزكي بأحر من الجمر، أجهشت في البكاء، وأخذت  
تتذرع بالأعذار وتتوسل بالحجج. إلا أن ذلك لم يقنع محمد آغا. فأطلقت عليه  
لسانها بالبذاءة وفحش القول، ولكنه لم يأبه لذلك أيضاً، ولم يفتأ يسليها ويعدها  
ويمنها ويفهمها أن عشيرة روزكي قد خرت على الأرض ساجدة، ورفعت يدها إلى  
السماء تتضرع إلى الله تعالى الواهب جل جلاله وعم نواله أن تقرّ عيونها الرمداء  
بغبار موكب شاه محمد الفائق على الكحل، حتى أقنعها، فسلمت إليه ولدها وسار  
به إلى كردستان. وفي رواية أن محمد آغا اقنع الأمير شاه محمد - من غير  
رضاها - وفرّبه إلى بدليس خلسة. وهذه الرواية أصح.

وعلى كل تقدير، فإن الأمير شاه محمد هذا شرف بدليس بقدمه في حدود سنة  
تسع مئة (١٤٩٢م)، فاجتمع حوله خلق كثير، ودق طبل الفرح والبشرى، وراح أبناء  
عشيرة روزكي يشكرون الله ويمجدونه، ويقربون القربان فرحاً وسروراً، ويرضون  
أرباب الحوائج والمستضعفين. ثم إنه أخذ من ساعته يستشيرهم بشأن احتلال قلعة  
بدليس تحقيقاً للآية: (وشاورهم في الأمر). ثم اجتمعت الآراء على أنه لما كانت  
نتيجة الغارات العلنية على قلعة بدليس في المرات السالفة، أدت إلى الاخفاق،  
وأسفرت عن التضحية بالأمير شمس الدين وبعض النبلاء الآخرين من عشيرة روزكي  
فلا بد الآن من خطة تتمخض من عملية موفقة لبناء أساس الدولة، وهي أن تنتخب  
من أبناء العشيرة المجازفين من يتأهبون مع صلاة الليل «العشاء» (حين يرتدي  
الكون رداء المنام الأسود، ويعتزم المريح السفاك احتلال القلعة الزجاجية الزرقاء  
ويرمي بشرك الوهق على شرفات القلعة النيلية لتسلقها) لتركيز حبال الآمال في  
شرفات الأبراج، وإلا فلن يتيسر فتح القلعة على صورة أخرى!

لا جرم، أن الإرادة الأزلية إذا شاءت أن تشمل إنساناً ما بحظ سعيد، وتجعل من المزايا - كما قيل: (إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه) تعكس في أعماق الغيب، على لوح الظهور.

وهكذا انتخبوا نفرأ من رجال عشيرة بايغي ومودغي لإنجاز هذه المهمة وقدموهم إلى الأمير شاه محمد فتفاهم معهم ووعدهم، بالمكافآت الجليلة ووعدوه أنهم إما أن ينجزوا هذه المهمة بتعليق وهق الأمل على شرفات الأبراج، وإما أن يضحوا بأنفسهم في هذه السبيل ويجعلوا أنفسهم لقمة سائغة للكلاب.

ثم لما اجتمعت الآراء على هذا القرار، شرع هؤلاء يعدون العدة، ويتخذون المراقبي والصلالم لتسلق القلعة. وفيما هم يحاولون ذلك إذ جاء أبو بكر آغا بايغي - وكان رجلاً حنكته الأيام، ثاقب الفكر بعيد النظر، سالماً من الغش والخيانة - لزيارة الأمير شاه محمد وقال له: «في الأيام التي خضعت بدليس لتصرف التراكمة» الدولتين القره قويونلية، والآق قويونلية» كانت مهمتي صنع الصلالم وإعداد المعدات اللازمة، عسى أن يقيض الله يوماً ما وارث هذه المملكة، وأكون قد قدمت له خدمة. وها أناذا صنعت عدداً من الصلالم والمراقبي والحاجيات الأخرى، ووضعتها داخل أنابيب خزفية، ودفنتها تحت الأرض في المحل الفلاني لمثل هذا اليوم. والمنة لله إذ تم الأمر كما شاء العبد<sup>(٨)</sup>.



شكر خدا، كه هر چه طلب كردم از خدا بر منتهای همت خود كامران شدم  
(الشكر لله كل ما طلبته من الله، جاء فوق ما أملت منه)

وأخيراً لما ظهر للأمير شاه محمد ما عليه هذا الرجل من الإخلاص والولاء وحسن الاعتقاد والخدمة الحسنة وأعجبت سيرته الحسنة وأطواره الظريفة، كافأه بمنحه قرية خزونگين من أعمال ططوان إضافة إلى قرية إيكسور، لقاء تلك الخدمة الجليلة على طريق التمليك.

---

(٨) يعني أبو بكر آغا بكلمة (العبد) نفسه.

ثم إن الأبطال المجازفين، قاموا - في ليلة ليلاء ضيعت فيها الشمس والقمر طريق الاهتداء إلى العودة، وكان الفلك يترقبهما بفارغ الصبر وبانظار حائرة - يتسلقون كالريح العاصف إحدى شرفات برج سياه في الجانب الشمالي من القلعة، ويثبتون جبال المراقي في شبابيك غرفة خالية من الحرس، وينزلون منها إلى داخل القلعة.

☞

برأورد سر اژدهای کمند	که شیر فلک را رساند گزند
گرفتند کردان سپرها بچنگ	زهر سو گشادند درهای جنگ
زهر سو یکی قامت افراخته	ز دوش و کتف نردبان ساخته

(لقد أخرج الوهق التنيني رأسه، ليفتك بأسد السماء، فأحتل الأكراد الحصون والبتاريس حرباً، وفتحوا من كل جانب أبواباً للحرب، فكننت ترى في كل جانب من أقام قامته، وجعل من متنه وكتفيه مرقاة للمتسلقين).

وعلى هذه الصورة تمكن الأكراد الثائرون والأبطال المتحمسون اليائسون من الحياة ومن الدنيا، من التمسك بحبل الآية: (لا تيأسوا من روح الله)، وتسلق القلعة في حين كان حرس القلعة راقيدين في فراش الغفلة، والمحافظون نائمين في مهد الراحة، فانقضوا عليهم انقضاض الصاعقة، وأخذوا يرمون ببعضهم، وهو في حالة النوم، ومن أعلى عليين إلى أسفل السافلين، ويحكمون الأبواب على بعض آخر من الخارج. ثم انقض جمع مهيب منهم على قصر حاكم القلعة فأخرجوه من بيته مهاناً، واكلوا خدمه وأشباعه، وعاقبوه على أعمالهم السيئة بما استحقوه، وأقصوا أهلهم وعبالهم من القلعة والولاية، وطهروهما وجميع رياض الوطن من أقدار الغاصبين الدخلاء، وأشواك الأجانب الحسكية. ثم نصبوا الأمير شاه محمد على عرش الحكم على نط أسلافه الكرام.

#### ٨- الأمير شاه محمد بن الأمير إبراهيم

لما تقلد زمام الملك على هذه الصورة، عنى ببسط ظلال الرأفة والرحمة، وفتح أبواب العدل والخير والإحسان في وجه شعبه ولم يفرق بين الشيوخ والشباب. بيد أن

أيام حكمه حكت عنفوان الشباب في المرور مسرعة، وانتهى عهده بأعجل من فصل الزهور الباسمة فلم يطل أكثر من ثلاث سنين حتى جاءته الوفاة. وكان -والحق يقال- شاباً سخياً جلدأً شهماً. صادفت وفاته سنة ثلاث وتسع مئة (١٤٩٤م) حيث التحق برحمة ربه، فدفن جثمانه الشريف في كوك ميدان بجانب مزار الأمير «شمس الدين ولي» الفائض بالأنوار عليه الرحمة والرضوان. وكان قد أعقب طفلاً صغيراً اسمه الأمير إبراهيم.

السطر الرابع:

**في بيان البواعث والأوجه المؤدية إلى إفلات  
زمام حكومة بدليس من أيدي حكامها،**

وهي أربعة أوجه

الوجه الأول:

**في بيان النزاع القائم بين الأمير إبراهيم  
والأمير شرف عليه الرحمة**

﴿﴾

چو از انوار لطف حي اكبر      ضمير سرورى گردد منور  
بهر كارى صواب انديش باشد      ز هر فرزانه اى در پيش باشد  
بعقل كامل و تدبير صائب      شود فتح و ظفر اورا مصاحب  
عدويش گردد از فهم و خرد دور      بچشمش چهرهء بهبود مستور  
فتد در وقت رزم و گاه جولان      ز اوج جاه اندر چاه خذلان

(حين يتجلى أنوار لطف الحي الأكبر، فيتنور بها ضمير أحد العظماء. سيصبح صائب الرأي في كل أمر ويبد جميع العقلاء... وبعقله الكامل وتدبيره الحسن، يحالفه الظفر والفتح. ويغدو عدوه من الفهم والفتنة، حتى تحتجب عنه طلعة الشمس، فيسقط عند خوض غمار الحرب، من أوج العز إلى حضيض الخذلان).

إن مشاطي العروس في رياض الكلام، ومزيني الفاتنات ذوات الجمال في فردوس المقال، قد جملوا أفكار هذه القصص الباكرة، وحلوا هذه الحكايات القديمة على الصورة الآتية. وهي: «لما تقدم الأمير إبراهيم في صغر سنه بعد وفاة أبيه لتولي أمور الحكومة ومهمات الإمارة وتقلد زما الحكم، وأدى ضعفه إلى أن تقع مهمات أمور الدولة من القبض والبسط والرتق والفتق وشؤون الملك والمال، في قبضة

عبدالرحمن آغا قواليسي وبقية رؤساء العشيرة، واتخذ الأمير شرف<sup>(٩)</sup> الذي جيء به على عهد حكومة الأمير شاه محمد<sup>(١٠)</sup> من أروخ التابعة لولاية بختي = بوطان نائباً له في موش بموافقة من أعيان عشيرة روزكي، ومضى ربح من الزمن على هذا النهج، قام الشيخ أمير البلباسي مع عشيرته يراغم عبد الرحمن آغا وعشيرة قواليسي فينحاز إلى الأمير شرف. ولم يمض زمن حتى أدت وشايات المفسدين إلى أن ينقلب الولاء المبرم بين ابني العم والصدقة المتينة، عداً وخصومة. فقرر الأمير إبراهيم بالاتفاق مع عبدالرحمن أن يستضيفا الأمير شرف من موش إلى بدليس، لينتهزا منه الفرصة، فيسملا عينيه فوق سيدي آغا خزندار القواليسي المعروف باسم خزندار على هذه القضية، فأسرع في الاتصال بالأمير شرف بك وإخباره بما حاكه الأمير إبراهيم من الدسائس.

ثم إن الأمير إبراهيم كتب إلى الأمير شرف رسالة ودية طافحة بالحب، أرسلها إليه في موش مع أحد رجاله المعتمدين، جاء فيها: إن الفقير دعاه الحب والشوق إلى رؤيتكم المبهجة للقلب. فالمأمول أن تتوجهوا إلى بدليس لنقضي معاً برهة من الزمن متمتعين بالنزهة وحسن المعاشرة لتنجلي آثار الملل والسامة اللتين تراكمتا على القلب بفيض لقياكم!.

فلما بلغ الأمير شرف الكتاب، وكان واقفاً على المؤامرة التي دبرت له، تباطأ في الأمر، واعتذر ولم يذهب إليه. لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تتالت الرسائل والوفود، وعدت الأمر المعاتبة إلى التطاول والمخاصمة، فعبأ الأمير إبراهيم جيشاً أغار به بالاتفاق مع بعض أمراء بعض كردستان على الأمير شرف. وكان الأمير شرف أيضاً قد أخبر المواليين له أمثال سوار بك بازوكي - الذي كان في تلك الآونة مربي أمير بلباسي - وغيره، ثم أخذ يحشد أشياعه ومنهم سيدي على آغا پرتافي وسيد خزندار وأخوه جلال آغا وشيخي آغا جلکی وجماعة آخرين، فتحصن بهم في قلعة موش، بعد تحصينها تحصيناً منيعاً، واستعد لحوض غمار الحرب. وهكذا تواقف جيشا الفريقين.

(٩) هو الأمير شرف بن الأمير شمس الدين.

(١٠) يعني به الأمير شاه محمد بن الأمير إبراهيم.



قبا آهناں تيغ هندي بچنڪ... دو دريای آهن سراسر نهنگ  
 كمرهاى گلگون يلان سربس... بخون يکى بسته هر يك كمر  
 دهل نغمهء مرگرا ساز کرد ..اجل را دم نای آواز کرد  
 خدنگ از کمان راه يغما گرفت زهر گوشه اى فتنه بالا گرفت  
 نبرد آزمايان بصد فر و هنگ... فتادند درهم چو شير و پلنگ

(لابسا الدروع، حاملاً الصوارم الهندية، كأنهما بحران من الحديد يتلاطمان بالحيتان. ذو مناطق ملونة، أبطال، شمر كل منهم عن ساعد الجد لقتل الآخر... نظمت دقات الطبول أنغام الموت الشجية، ونادى الناي الآجال... خرجت النبال من القسي مغيرة، وثار الفتن من جميع الجهات... فأخذ المدربون المكافحون المناضلون يشتبكون في الحرب كالأسود والأثمار...).

ولما كانت قوات الأمير إبراهيم كثيرة، وأشياع الأمير شرف قليلين، هب نسيم الفتح والظفر في اليوم الأول إلى جانب الأمير إبراهيم، إلا أنه لما كان معظم أعيان عشيرة روژكي ووجهائهم ينزعون إلى الأمير شرف، وقد راسلوه خفية وأرسلوا إليه كتباً إلى القلعة وعرضوا عليه طاعتهم وإخلاصهم، وأخذ جولاق خالد بن سوار بك بازوكي - وكان من مناصري الأمير إبراهيم، خلافاً لأبيه - يمثّل أمر الشيخ أمير البلباسي - وقد كتب إليه بالاتفاق مع أبيه: «إننا متفقان مع الأمير شرف كما أن أكثر أعيان روژكي منحازون إليه، فهل في انحيازك إلى الأمير إبراهيم وتفانيك في سبيله من معنى؟! فعليك بما بيننا من حقوق الأبوة والنبوة أن تفارقه وتلتحق بالأمير شرف وتتقلد ربة طاعته، وترتدي شملة عبوديته» فينزل عند رغبته، ويوفد إليهما من يبلغهما قوله: «غداً، سيقوم جيش الأمير إبراهيم بالهجوم على القلعة، فافتحوا بابها في وجهي لأتمكن من الدخول إلى صفوفكم مع أشياعي!». وفي اليوم الثاني (حين أخذ سلطان الكواكب «الشمس» السيارة يسلم الانتصار، ويهجم على القلعة الزرقاء، وينشر رايات الفتح والظفر ويتمكن بلمعان السيوف من دحر جيوش الأنجم وتبديدهم) توجه الأمير إبراهيم بجنوده الأكراد السفاكين المشهرين خناجرهم، إلى القلعة المذكورة لاحتلالها، وقام بحصارها. وفيما هما يخوضان غمار الحرب، أخذ خالد بك ينجز وعده وبلتحق بجيش الأمير شرف. فلما أدرك الأمير إبراهيم

ذلك، استولى عليه الذعر والخوف، ففك الحصار، وقفل راجعاً إلى قلعة بدليس، فتعقبه الأمير شرف باتفاق من أصحابه وحلفائه؛ وأشياعه حتى حاصروا القلعة وضربوا عليها الخناق. فلما رأى رؤساء عشيرة روژكي المذعنون لإمرة الأمير إبراهيم بك هذه الحالة؛ أخذوا ينفضون من حوله ويتركونه زرافات ووحداً ويلتحقون بالأمير شرف. وهكذا لاحت آثار الضعف والفتور على جباه المحصورين وظهرت علائم العجز على نواصي آمالهم ووهنت عزيمتهم فاضطر الأمير إبراهيم وعبدالرحمن آغا أن يوسطا إليه شفعاء يسعون في عقد ميثاق الصلح بين الفريقين. فقررنا بنتيجة الاتفاق ما يلي: « لما كانت هذه الولاية تنتقل بحسب نظام الوراثة إلى بني العمومة، فلتترك بدليس - وهي مطلع سعادة هذه الأسرة ومنشأ دولتهم - مع أخلاط للأمير شرف ولتبق موش وخنوس في قبضة الأمير إبراهيم ليقوما بإدارة الولاية الوراثة على سبيل الأشتراك فلا يفتحا في سبيل العمر الفاني والدولة الزائلة باب النزاع فإن تطاول الواحد على الآخر في هذا السبيل شيء خارج عن الحكمة والعقل!.

عد الأمير شرف ومناصره هذه الاتفاقية فوزاً عظيماً، بل مراوغة، إذ كانوا قد أضمرها غيرها في الحقيقة. ثم تقرر أن يقيم الأمير إبراهيم مأدبة يستضيف إليها الأمير شرفاً في داخل القلعة فيعقد هناك الاتفاقية وتؤكد بالأيمان المغلظة والمواثيق واللعنات على من خالفها، وأن يرضى كل واحد منهما بمنصبه طوال حياته فلا يتطاول على الثاني. فأعد الأمير إبراهيم لوازم الضيافة وأوفد إلى الأمير شرف من يستضيفه فأجابه بالتلبية وقدم مع نفر من خواص رجاله ومؤازريه وحلفائه، ودخل قلعة بدليس. فتعانق ابنا العم، وقرت أعينهما بالتلاقي، وأقاما مهرجان الفرح والسرور، وتناولوا طعام المأدبة بقلب ملؤه المودة والإخلاص، وقضيا ليلتهما بالطرب والملذات. فكان سقاة ذوو سيقان فضية، وجباه لامعة بدرية، وهم بالأثواب المزركشة (وهور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) يديرون الكؤوس الذهبية، وقد صدق في المحفل: (يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) وشاهدوها بعين اليقين وأخذ المغنون الملمون بالألحان والأنغام، والمطربون ذوو الألحان العذبة والأصوات الجميلة، ينصرفون بنشاطهم إلى الغناء والعزف حتى أبلغوا صيت الفرح والسرور (زحل).

۱۶

در آمد بمجلس می لاله رنگ ز بهر تواضع دوتا گشت چنگ  
نشستند صف صف در آن انجمن غزل خوان و گوینده و ساززن  
غزل خوان نه تنها خوش آواز بود که صد دل بیک غمزه هم می ربود  
بخدمت بتان قامت آراسته بلایی زهر گوشه برخاسته

(دخل الخمر الأرجواني المجلس، فتواضع له الصنح حتى تقوس ظهره... لقد أخذ ذلك المغنون والمطربون العازفون أيضاً يصطفون صفوفاً في ذلك المحفل لم يكن المغني ذا صوت جميل فحسب، بل كان جميلاً فاتن الجمال يخطف العقل واللب. ثارت من تلك الأصنام الرشيقات القائمت بالخدمة، شيء البلايا والفتن من كل جهة).

في تلك الحفلة المبهجة حين فازت قامات كل آمل بالتحلي بالخلع التي رغبت فيها، ونال عريس خواطر الأكابر والأصاغر عروس مبتغاه، عندئذ أصدر الأميران الأمر إلى رؤساء روثكي أن ينعزل كل واحد منهم جانباً بصاحبه، ويتركوا محفل المجون والطرب إلى مهد الاستراحة والنام، وبقياً كلاهما في بهو القصر مع غلمان لهم.

في هذه الآونة اقتحم الشيخ أمير البلباسي مع الجماعة الباغية البهو، وسحب الأمير إبراهيم من يده حتى أنزله من مسنده في صدر المجلس إلى الجانب الأسفل، وقال:

۱۶

تکيه بر جای بزرگان نتوان زد بگراف مگر اسباب بزرگی همه آماده شود  
(لا تتمكن من نصب الخيمة في مقام العظماء جزافاً إلا أن تعد أسباب العظمة  
كاملة).

ثم أخذ بيد الأمير شرف وأجلسه مكانه في الصدر، وفتح فاه بهذا المقال:

۱۶

خوش بجای خویشان بود این نشست خسروی تا نشیند هر کسی اکنون بجای خویشان

(ما أحسن هذه الجلسة! فهذا هو الجلوس الملكي، والآن ليجلس كل واحد مكانه) فشرع منشئو ديوان: (تؤتي الملك من تشاء) يكتبون منشور الإيالة و عهد السلطنة باسم هذا العظيم وقام فراشو معمل (وتنزع الملك ممن تشاء) يطوون بساط حكومة ذلك المنكود، وبادر الموكلون بالعقوبة يصفدون يديه ويكبّلون رجليه بالسلاسل ويرمون به في غياهب السجون.

☞

مر اورا رسد كبريا و منى كه ذاتش قديم است؛ وملکش غني  
يكي را بسر بر نهد تاج بخت يكي را بخاك اندر آرد ز تخت  
(إنما يليق الكبر والعجب وقول: (أنا) بالذي هو قديم الذات. غني في ملكه،  
يكلل رأس هذا بتاج المجد، وينزل الآخر من كرسي الحكم ويلقيه في العراء).  
ولم يكن قد وصل الأمر إلى حد أعمال السيف والسنان حين أخذ عبدالرحمن آغا  
القبائلي وجماعة آخرون من أشياع الأمير إبراهيم الذين اجتمعوا كعقد الثريا-  
يتشتتون كبنات نعش؛ ويتفرقون أيدي سباً... وهكذا بقي الأمير إبراهيم سبع سنين  
في غياهب السجن. ثم لما استفاض النبا بدخول الأمير شرف في السجن كما يلي  
قريباً تفصيل ذلك بالإجمال، وذاع صيت زوال دولته وانخفاض لواء مجده وعظمته  
في أنحاء كردستان، تمكن الأمير إبراهيم بما أبدته عشيرة روژكي نحوه من الشهامة  
والغيرة من التخلص من السجن. فتقلد زمام الحكم في بدليس مرة أخرى وشن  
غارات النهب والاستيلاء على خزائن الأمير شرف ودفائنه. حتى إنه أزمع قتل ولده  
الأمير شمس الدين وكان آنئذ طفلاً لم يتجاوز الثانية عشر من عمره بعد، وكانت  
والدته كريمة علي بك صاصوني.

بيد أن عماد آغا بايگي تسلّمهما منه، وبادر إلى الاحتيال عليه لانقاذهما  
قائلاً: كان الأمير شرف قد أودى بحياة عمي زين الدين آغا خلافاً للشريعة والنظام.  
فسلموا إلى ابنه، لأنتقم منه بحسب النظام، بل لأسلمه إلى ورثة المقتول الصغار  
ليقتصوا منه بحسب أحكام الشريعة الغراء<sup>(١١)</sup> فذهب به وبوالدته وأتباعه إلى قلعة

(١١) لعله يريد عرف العشائر البدائية. وإلا فليس هناك نظام ديني ولا قانوني يجيز الاقتصاص من بريء عن مجرم (ولا تزر وازرة وزر أخرى).

كيغندور حيث عني بتربيته وتنشئته.

وخلاصة الكلام أنه لما أودع الأمير شرف السجن مصفداً في تبريز، سار چاپان سلطان أستاجلو بأمر من الشاه إسماعيل الصفوي إلى ولاية بدليس لاحتلالها، فحاصر قلعتها زهاء سنتين، حارب خلالهما الأمير إبراهيم الذي نفذت أخيراً طاقته وضعفت مقاومته، ولم يتمكن من الثبات أمام قوات القزلباش، فطلق عروس الملك ثلاثاً، وقصد إسعد حيث جاءه فيها الأجل، فانتقل برحله من عالم الفناء إلى دار البقاء، معقباً ولده المسمى السلطان مراد من إحدى جواريه، حين أودع رهن السجن. ولما تمكن الأمير شرف من كرسي الحكم، قصده السلطان مراد المذكور، لكنه لم يعطف عليه، بل قبض عليه وسجنه. فبقي طوال حياته في قلعة بدليس. وأخيراً أدركه الأجل المحتوم فودع العالم الفاني. أما عشيرة روژكي، فإنها احتفظت بالقلعة بعد انهزام الأمير إبراهيم زهاء ستة أشهر.

فلما يئست من رجوع الأمير شرف، اضطرت أن تسلم الولاية ومقاليد القلعة في سنة ثلاث عشرة وتسع مئة (١٠٥٧م) إلى چاپان سلطان فقلد زمام حكمها كرد بيك شرفلوی أستاجلوي، وفوض إليه حمايتها وصيانة الأمن فيها. ثم عاد أدراجه إلى تبريز.

## الوجه الثاني:

### في بيان كيفية تمكن الأمير شرف مكان الأمير إبراهيم في حكم بدليس

لا بد أن تشرق على ضمائر أصحاب العلم والفضل المضاهية الشمس في الإشراق وعلى خواطر أرباب الفهم الممتلئة بالحقائق البازعة بزوغ الفجر الصادق: أنه ما من رجل محظوظ مسعود يتوجه بقلب ممتلىء صدقاً وإخلاصاً إلى باب قاضي الحاجات الرؤوف بعباده، إلا وهو بصدق فيه مضمون: (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فتلتع أشعة العناية الربانية على فسائل آماله، فيبعث ظلها على فردوس

حظه، وتفوز أزهار توقعاته بنسيم العطف الهاب من مروج المقصود فتتفتح أوراده. وما من ذي شوكة وسلطان يتباهي بكثرة تجهيزاته ومعداته وسعة نفوذه وعظمته، ويستولي عليه التمرد والطغيان فيخرج رقبتة من ربة عبوديته، إلا وتعصف عليه في أقصر مدة عواصف النكبة والإدبار، فتُهوي أسرته المحتشمة إلى مهاوي الزوال، وتغدو رياض دولته الزاهرة كأنها (واد غير ذي زرع).

⚡

ســــرى كز تو گر بلند گرای بافگندن کس نیفتد ز پای  
کسی را که قهر تو در سر فگند پیامردی کس نگرده بلند  
اگر پای پیل است اگر پر مور بهر يك تو دادی ضعیفی و زور  
دلی رافرو زان کنی چون چراغ نهی بردل دیگر از درد داغ

(كل رأس ارتفع بك، لا يهوي بما يبتغيه له الناس. وكل من أذله قهره لا يرتفع بمراقبة الغير. إن أقدام الفيل الضخام، وجناح النمل الضعيف، كلاهما من هبتك قوة وضعفاً تجعل قلباً نيراً كالمصباح، وتسم قلباً سمة الغم والهم).

والغرض من تمهيد هذه المقالات، وتدبيح هذه المقدمات هو الشروع في شرح حال الأمير شرف الآئل إلى الخير، فقد خلفه أبوه يتيماً صغيراً بين أظهر عشيرة بختي = بوتان في المحل المسمى أروخ. وأخيراً - كما أتضح من لمعان الكلمات السابقة، وظهر للعيان من رشحات الحكايات السابقة، ومن المنشآت المتناسقة - جاء به الأمير شاه محمد منها، وعني بتنشئته. ثم لما حضرته الوفاة، ووارى جسمه الشريف وطلعت البهية التراب، تولى ردحاً من الزمن الحكم بالنيابة عن الأمير شاه محمد في بعض نواحي بدليس. ثم تمكن بفضل ما أسدته إليه عشيرة روژكي من المعونة والمساعدة، من يتولى الحكم على بدليس، إلا أنه لم تمتد أيام حكمه كثيراً حتى سار الشاه إسماعيل الصفوي<sup>(١٢)</sup> إلى غزو مرعش، فوقف حاكمها علاء الدولة ذو القدر<sup>(١٣)</sup> في وجهه واصطف بجيشه قبالتة، لكنه أخفق في مسعاه، وبعد أن لاذت

(١٢) هو مؤسس الدولة الصفوية.

(١٣) هو مؤسس الدولة الصفوية.



لوحة الخامسة العشرة





أسرة (ذي القدر) بأذيال الفرار، عطف عنان العزيمة إلى ديار بكر، فتقدم إليه حاكمها أمير بك موصلو - جد جامع هذه الرسالة من الأم - مدعناً، وقد حمل إليه هدايا ثمينة وتحفاً نادرة منها قطعة لعل فريدة «بوغرك» نحتت على صورة نعجة، كانت قد انتقلت من خزائن السلاطين القدماء إلى خزينة السلاطين البايندية «الأق قويونلية» وانتقلت منهم إليه، وكانت نادرة في نوعها بحيث لم يسبق لها مثيل منذ تصدع جبال ختلان<sup>(١٤)</sup> بالزلزال على عهد الخلافة العباسية، بل منذ أخذت الأصداف تربي في بطنها اللاكي ولم تر قرينها عين جوهر يبي الدهر ولا صيارفة العصر، بل ما يشابهها في الحجم واللطافة والروعة عرضها عليه، فنظر إليه نظرة العطف والرأفة وغمره بالحنان ومنحه لقب خان وأنعم عليه بمنصب المهردارية «التوقيعي»، وجعله مربى ولده الشاه زاده طهماسب<sup>(١٥)</sup> وناط به إيالة هرات وخراسان. وهكذا علت رتبته حتى بلغت أوج الرقي، وارتفعت منزلته إلى قمد المجد. أما إيالة ديار بكر وإدارة شؤون حكومته، فقد فوضت إلى محمد خان أستاجلو نجل ميرزا بك.

ولقد كان جمع من رجال (ذي القدر) متحصنين في قلعة خربوت<sup>(١٦)</sup> وقد لجأوا إلى التمرد فلا يدعون. فسار إليهم الشاه إسماعيل واحتل قلعتهم وأخضعهم عنوة في أسبوع واحد. ثم عطف منها عنان العزيمة نحو أخلاط. فلما أضحت ظاهرتها مضرب خيام الجيش، سار إليه الأمير شرف وحظي بزيارته وأخذ يقيم له مأدبة حافلة ومهرجاناً ملكياً. فضرب خياماً منقوشة شاهقة، ونصب سرادقات ذوات أطاب حريرية سامقة حكمت بتناسقها سحاب الربيع، وبتداخل أطابها الضفائر، وقد صفت كأنها أسفار الجواهر، والبروج الغاصة باللالىء المتلألئة، وكان سقاة فضيو السيقان، بلوريو السواعد ذو جباه لماعة، وغللمان في أثواب مزركشة ذو حركات متناسقة وضعوا على أكفهم أقداح الشراب الخالص، كأنه ماء زلال فأذنوا بالتمتع، ونادوا بالهناء. وكان مغنون ذوو ألحان شجية، ومطربون ذو أصوات رقيقة عارفون بالموسيقا يعزفون بقيثاراتهم لحن (العشاق) ويخطفون برنات أعوادهم وصنوجهم اللب والعقل من أدمغة الكبير والصغير.

(١٣) من أمراء دولة (ذي القدرية).

(١٤) اسم جبل في ولاية بدخشان ببلاد الأفغان.

(١٥) هو الشاه طهماسب الصفوي الأول.

زهر جانبي، ساقى نيم مست      چو شاخ گلى جام گلگون بدست  
 همه همچو خورشيد زربفت پوش      همه آفت عقل و آشوب وهوش  
 غزل خوان غزالان تازى زبان      بنغمه، شکر ريخته از دهان  
 بآهنگ تركى بتان چو گل      ربوده دل از نغمهء معتدل  
 چو زلف بتان پرى چهره چنگ      زده راه عشاق را بى درنگ

(في كل جانب ساق شبه سكران، كأنه غصن ورد في كفه قدح جلناري. كل ينافس الشمس بردائه المذهب، وكل فاتن يقلق العقل واللب... فالمترفون بالقصائد الغزلية، غزلان ناطقون بالعربية، تسيل نغماتهم من أفواههم سكرًا. فالأصنام الغانيات بالتركية، يخطفن القلوب بنغماتهن المعتدلة... وكأنها أصداغ ذوات الطلعات الحورية تصدح بالصنح نغمة (العشاق) كأنها تقطع سبيلها).

وقد هياً الطهارة من الأطعمة الملونة ما صعد إليه سمو الخيال، وبسطوها على الموائد. ثم بعد أن انتهت مراسيم الضيافة، قدم إليه هدايا ما بين رعائل من الجياد، وقطائع من الأغنام، وقطر من الجمال والبغال. ففاز بأنظار أعطافه الملكية، وحاز أطافه العاهلية ونال العهد مع الخلع الفاخرة الثمينة.

وفي السفرة الثانية التي قام بها الشاه إسماعيل الصفوي وعسكر في (خوي) قصده الأمير شرف بالاتفاق مع أمراء كردستان وحكامها، وأخص بالذكر منهم الملك خليلاً حاكم حصن كيفا وشاه علي بك البختي = البوتاني والي الجزيرة والأمير داود خيزاني وعلي بك صاصوني و نفرًا آخر من أمراء الأكراد يبلغ عددهم أحد عشرة نفرًا للحظوة بزيارة أعتابه السنية. فلما حظوا جميعاً بزيارته في خوي، قوبلوا بأدىء بدء بحفاوة بالغة وإعزاز تام، ولكن أسفر التقرير الذي قدمه محمد خان والي ديار بكر، (وقد عانى من بعض الأمراء الأكراد إهانات وأذايا بالغة، من جملتها:

١- ما نقل من أنه لما توجه محمد خان إلى ديار بكر وبلغ في طريقه قرية پانشين من أعمال بدليس ونزل فيها، كان الشيخ أمير بلباسي، نائب الأمير شرف الذي قصد زيارته، ضرب حين نهض يستودعه بمحجنه الأرض أمامه عدة مرات، وحادثه بغلظة وخشونة قائلاً: يا محمد بك، ويل لك ولجنودك إن طمع أحد منكم حين اجتيازكم بولاية بدليس، في خروف من أموال عشيرة روژكي على سبيل الأكراد.

٢- إن الشاه قلي سلطان أستاجلوي چاوشلو - الذي أصبح أخيراً والياً على هرات - حدث راقم هذه الحروف بقوله: « كان والدي يلازم محمد خان. وقد سار معه إلى ديار بكر. وبينما هما في الطريق نفذت الذخيرة عندما اجتازا بولاية بدليس فاضطرا أن يبيعا أسلحتهما وخيلهما ليشتريا بثمنها من القوت ما يقيمان به أودهما! حتى إن والدي قد باع حصانه في وادي كيفندهر بأربعة أرغفة من خبز الجاورس «الهرطمان» ولم يسعهما أن يحصلوا من أهل تلك الأرجاء مناً من الشعير ولا رغيفاً واحداً من غير عوض نقدي.

وكذلك وجه نحوه - عدا هذين - كثير من المخالفات والأوضاع القبيحة الصادرة من الأمراء الأكراد مما لا محل لذكره هنا حذراً من الإطناب.

والغرض مما مهدناه هو أنه في هذه الآونة التي توجه فيها جميع الأمراء الأكراد لزيارة السُّدَّة السَّنيَّة، كان خان محمد هذا قد رفع إليه تقريراً جاء فيه: « لو أن الإدارة الهمايونية المطاعة صدرت بالقاء أمراء كردستان في السجن، فإن العبد يتعهد بإخضاع معظم بلاد كردستان، التي لم تبلغ شأوها للآن أوهاق السلاطين الفاتحين وعجزوا عن تسخيرها وبالقيام باحتلالها بفضل توجهات الألفاظ الشاهانية! فلما عرض تقرير ذلك الكافر الزنديق على الأنظار الشاهانية نزل عند رغبته فأسفر تقريره عن إبداع جميع الأمراء المائتين بين يديه في السجن عدا الأمير شاه محمد شيروي وعلي بك صاصوني، وأمر بتصفيدهم وجعل الأغلال في أعناقهم وعهد بكل واحد منهم إلى واحد من الأمراء القزلباش من ذلك أنه أسند محافظة الأمير شرف إلى الأمير خان موصلو وسير چاپان سلطان إلى ولاية بدليس لإخضاعها وديو سلطان روملو إلى ولاية حكاري لإحتلالها ويكان بك قورجي باشي تكلو لإحتلال أنحاء الجزيرة بجيوش لا تعد ولا تحصى. أما ما يتعلق بالقبض على بعض الأمراء والإفراج عن بعضهم فهذا ما نقوم بشرحه:

وخلاصته أنه لما مضى على حبس الأمراء زمن، فوجىء الشاه بنبأ خطير جاءه من خراسان وهو أن شيبك خان أوز بك قد زحف بجيش لا يعد ولا يحصى واجتاز نهر جيحون<sup>(١٧)</sup> وهو عازم إخضاع منطقة خراسان فلما سمع بذلك ندم على إبداعه أمراء

(١٦) لعلها (خرتبرت = خربوط).

الأكراد في السجن، فبادر إلى الأفراج عن عدد منهم وسألهم: من الذي يتزعمكم جميعاً؟ فأجابوا بصوت واحد: الأمير شرف والملك خليل هما اللذان يتزعماننا! فأبقى الشخصين المذكورين في السجن وأفرج عن البقية، ثم حمل السجينين معه إلى خراسان.

وصحب كل من محمد آغا كلهوكي ودرويش گله چيري (اللذين كانا - كما يعتقدده جامع هذه الرسالة - عديمي المثال في الأخلاص وحب الوطن بين أبناء عشيرة روژكي بل بين أبناء كردستان كافة) هذه الجيش بزي متنكر، بحيث لا يطلع عليهما أحد وتوجهها نحو العراق<sup>(١٨)</sup> وأخذوا بين الفينة والفينة يحملان مقداراً من الفواكة والأطعمة ويتوجهان بها إلى خيام التركمان حيث يتفقدان الأمير شرف ويتصلان به خلصة ويخطان له خطة الفرار والهزيمة. وهكذا حتى عسكر الجيش الشاهاني ذات يوم في الموضع المسمى چالي گولي من ولاية راز = الري<sup>(١٩)</sup>. فاهتبل محمد آغا صاحبه درويش محمود الفرصة فأعدا بضعة خيول مسرجة في جانب من المعسكر وأضجعا الشخص المسمى محمد مير آخور پرتافي - وقد تنكر في زي القلندرية وهو يقوم بخدمة الأمير شرف - في فراشه وأخرجوا الأمير شرف من خيام السجن وأركباه فرساً ومرا به مع فرسان آخرين من الشجعان قاصدين كردستان.

وفي ظهيرة اليوم الثاني حين وقف رجال التركمان على جلية الأمر، تعجبوا من بطولة محمد مير آخور وحسنوا تضحيته وتفاديه فلم يؤذوه فتوجه محمد آغا صاحبه درويش محمود والأمير شرف إلى ولاية حكاري في بادىء الأمر، فنزلوا في تلك القرية التي لجأ إليها الشيخ أمير البلباسي على عهد القزلباش هاجراً وطنه وظل مختفياً فيها يشتغل بزراعة الجاورس «الهرطمان» وفيما كان ذات يوم يسقي الهرطمان وفي يده مسحاة قصده محمد آغا ودرويش محمود وتقربا من حقله

(١٧) جيحون: نهر معروف في تركستان الشرقية ينصب في بحر أورال «خوارزم».

(١٨) يعني العراق العجمي.

(١٩) راز = ري: مدينة معروفة في العراق العجمي في بلاد إيران ينسب إليها كثير من العلماء والفضلاء منهم فخرالدين الرازي المفسر المعروف وهي التي فيها اليوم مزار الشاه عبدالعظيم وتبعد عن تهران العاصمة بضع كيلومترات. (والصواب أن كلمة «راز» هي «رازي» المتبورة منها باء النسبة خطأ، فهي «ري» وينسب إليها خلافاً للقاعدة على نحو «الرازي» - شكور

فارسين وطلباه إليهما فجاء وتصافحوا ثم بشراه بعودة الأمير شرف. إلا أنه لم يصدقهما في بادئ الأمر وقال لهما لماذا تتفوهان بشيء يكاد يكون محالاً؟ فقالا له: إن الله تعالى أعاننا فانتهزنا الفرصة وأخرجناه من السجن وجئنا به فخر ساجداً لله تعالى وترك المسحاة جانباً وبادر إلى مولاه ففاز بتقبيل أعتابه، فأخذت عيناه (اللتان ابتلتا بشبه فقدان النور في ديار الغربة المضاهية لبيوت الأحزان حتى حكنا عيني يعقوب عليه السلام كما قال تعالى: «وابيضت عيناه من الحزن» تفران بغبار مقدمه الكحلي وتسيلان على قدميه القطرات فرحاً وسروراً كأنها اللؤلؤ المنشور، وحمد الله تعالى وشكره وأنشد قائلاً:

﴿﴾

بحمد الله كه دولت ياريم كرد  
 زمانه ترك جان آزاريم كرد  
 شبم را صبح فيروزي برآمد  
 غم و رنج شبانروزي سر آمد  
 (بيمن الحمد لله حالفتني الدولة، وكف الدهر عن إيذاء قلبي، وانقلب ليل حظي الداجي نهاراً مشرقاً ميموناً، وانتهت الغيوم والهموم الهاطلة ليلاً ونهاراً).  
 ثم بعد أن مكثوا نهارهم وليلتهم هناك، نهضوا في اليوم الثاني مبكرين، عندما أخذ سلطان الإيوان الرابع «الشمس» يطلع رأسه من قلال الجبال المشرقة بتباه ودلال لمواصلة السفر، فدخلوا بين عشيرة إسپايرد حيث رحب شرف بك إسپايردي بمقدمهم السامي، وآواهم أياماً طوالاً حتى استجموا. ثم إن الشيخ أمير توجه مع نفر إلى ولاية بدليس لبث الدعوة فيها بين عشيرة روژكي وغيرها، واستمالة عواطفهم. فتمكن قبل أن يبلغها الأمير شرف من استمالة جمع كبير ومخالفتهم. وما إن بلغها حتى اجتمع عليه خلق كثير، فتوجه بهم إلى قلعة بدليس لاحتلالها. فلما سمع كرد بك شرفلو - الذي كان يقوم بالنيابة عن الشاه إسماعيل بمحافضة بدليس وعادل جواز وارجيش - أن الشيخ أميراً زحف بجيش قوامه ألفا نفر على القلعة وقام بحصارها، نهض برفقة الأمراء القزلباش الذين كانوا في بار گيري وأرجيش لصد زحفه. فتأهب الشيخ أمير لخوض غمار الحرب مع جماعته، فتوافق الفريقان في محاذاة حارة گوك ميدان من بلدة بدليس، وكاد يهب نسيم الفتح والظفر على جيش روژكي. إلا أن محمد بك پازوكي احتال عليهم بما دبره من المكر والخديعة

والدسائس، اذ جاء يقول: «لقد اشحت بوجهي عن القزلباش لما بيني وبين الشيخ أمير من القرابة، وأتيت لنجدته» حتى إذا احتدمت سورة القتال واخترقت جذوة نيران الحرب الفلك، زحف من طريق إسكندر بولاغي بقوة قوامها خمس مئة فارس من عشيرة پازوكي مشهراً سيف الخيانة فضربهم من الورا، ففرق جيشهم المتراص كعقد الثريا، وجعلهم يتشتتون كبنات النعش. وهكذا لمع كوكب حظ كرد بك في سماء المجد كأنه زحل، وتقدم في زحفه على جيش روژكي مسترعاً. إلا أن الشيخ (أمير بلباسي) لم يلبن عزمه ولم تنثن قناته أمامهم، بل ثبت قدم العزيمة وواصل الجهاد حتى آخر لحظة من حياته. إذ ذاق حلاوة الشهادة مع ابنه علي آغا. فذهب جمع من القزلباش الذين كانوا يسمون الشيخ أمير (قره يزيد) بجثته وجثة ابنه إلى محلة گوك ميدان ليحرقوهما. فأدت هذه الحادثة المؤلمة إلى عرقلة مهمة الأمير شرف بضعة أيام، واحتجبت طلعة مأموله وراء حجاب اليأس، فلم تمط اللثام عن نفسها من غير إسعاف من مصور معمل (فأحسن صوركم) الجليل.

### الوجه الثالث :

#### في بيان كيفية احتلال الأمير شرف قلعة بدليس وانتزاعها من الفئنة القزلباشية وما آل إليه أمره

⚔

جهانگیری که هست از بخت سَرَمَدُ بماند در خداوندی مؤبد  
ظفر پیویسسته باشد در رکابش شرف در موکب نصرت ایابش  
بهر کشور خرامد شاد و خرم شود ملک از قدوم او مکرم  
(إن فاتحاً يحالفه الحظ والجد يبقى في السلطنة والملكية مؤبداً، فيلازم الظفر  
رکابه الهمایونی ويقارن الشرف موکبه المنصور، فإلى أي إقليم اتجه فرحاً جذلاً،  
يسود ذلك الإقليم اليُمن بفضل مقدمه الکریم).  
ولما لم يتيسر للأمير شرف احتلال ولاية بدليس وإجلاء القزلباش عنها أياماً،

واستخبر عما أضمه السلطان سليم خان من العزم على غزو البلاد الإيرانية، قام بالاتفاق مع كل من فارس مضمار التحقيق، ومقدام قوافل الفضلاء في الطريق مدرس مدرسة التقديس، سليل عارف بدليس، أعني به العلامة الحكيم مولانا إدريس ورسول خير هذه الأسرة الرفيعة المخلص الموالي لدولة ذرية ضياء الدين، أعني به محمد آغا كلهوكي، يظهر إخلاصه للدولة العثمانية ويعرض طاعته عليها، وقد أشرك معه في رأيه عشرين نفرًا من أمراء كردستان وحكامها البارزين، فقدموا إلى السلطان المذكور رسالة معبرة عن الإخلاص والعبودية حملوها وفدهم المتألف من العلامة الحكيم مولانا إدريس ومحمد آغا إلى السدة السلطانية السنية. فنهض السلطان الرؤوف بأحبائه القاهر لأعدائه، نزولاً عند رغبة أمراء كردستان، لغزو بلاد العجم «إيران»، متجهًا بحملته نحو أرمينية وأذربيجان فالتقى في سهل چالدران بالشاه إسماعيل الصفوي وخاض الفريقان غمار الحرب فغلبه. وقد حضر الأمير شرف وبعض حكام كردستان هذه السفارة في ركابه القرين بالنصر والظفر.

ولما قتل خان محمد والي دياربكر في هذه المعركة أسند منصب إيالته إلى أخيه قره خان وفوضت حكومة بدليس إلى أخيه الثاني عوض بك<sup>(٢٠)</sup> وعهد بإدارة حكومة الجزيرة إلى أخيه الثالث أولاش بموجب الأوامر الصادرة عن الديوان الشاهي. ثم لما عطف الموكب السلطاني عنان العزيمة من تبريز إلى بلاد الروم = الأناضول عرض مولانا إدريس على مسامع السلطان الجليل: «أن أمراء كردستان يلتمسون من الطاف السلطان وانعام العاهل العظيم أن يمنحوا ولاياتهم الوراثية وينصب واحد منهم زعيمًا لهم وأمير أمراء عليهم ليزحفوا بأجمعهم على قره خان ويجلوه عن ديار بكر!» فأجابه السلطان العاهل بقوله: «أي أمير من أمراء كردستان وحكامها خليق بأن يعين أمير أمراء، فليعهد إليه بذلك المنصب، ليكون الباقون من أمراء الأكراد تحت إمرته، فيذعنوا له، ويضعوا رقابهم في ريقه طاعته، ويسيروا بقيادته لغزو القزلباش وإجلاتهم عنها!». فأجابه العلامة الحكيم مولانا إدريس قائلاً: إن هؤلاء الأمراء كثيرو العدد، وفيهم الأناية وحب الذات، فلا يتطأوعون بينهم فإذا كان مطمح نظر السلطان ومبتغاه دحر القزلباش وتبديد شملهم والانتصار عليهم انتصاراً

مصطفى).

نهائياً، فليختر من المقربين إلى بابه العالي رجلاً يعهد إليه بهذا المنصب المهم لينقاد لأمره الأمراء الأكراد، فيسيروا بإمرته لإنجاز المهمة المذكورة». فأدى هذا الاقتراح إلى تعيين محمد آغا چاوش باشي المعروف بلقب بيغلو محمد = ذو الشارب أمير أمراء لولاية ديار بكر، وعهد إليه بقيادة جيش كردستان وسير لاحتلالها. فالتقى جيشا الفريقين الجرارين الحاكين قطعتين من الغيوم الرعاده وبحرين زخارين متلاطمي الأمواج في أنحاء نصيبين في الموضع المسمى قوچ حصاري<sup>(٢١)</sup>، فاصطفا متقابلين، فكانت أولى جماعة بادرت إلى إيقاد نيران الحرب وقامت باقتحام الصفوف من عشيرة روزكي حتى أن كلا من تاج أحمد وقاسم أنداكي والأمير شاه حسين كيساني والأمير سيف الدين وعمر جاندار - وقد كانوا من شجعان عصرهم وأبطال عهدهم - ذاق في ذلك اليوم مرارة الموت وحلاوة الشهادة كما أن جمعاً كثيراً من وجهاء روزكي ورؤوسائها ولا سيما الأمير محمد ناصرالدين وقره يادگار وسيد سليمان قواليسي منوا بجراح بالغة. إلا أنهم برغم ذلك لم ترتعد فرائصهم ولم يجبنوا، بل أعلنوا عن بسالتهم وشجاعتهم وواصلوا الحرب بحماسة، حتى «قتل قره خان نفسه واندحر جيش القزلباش و وقع خلق كثير في شبكة الأسر.



باقبال سلطان توسل كنان      گرفتند ملك خود از دشمنان  
بدفع عدو تيغ كين آختند      بناى ضلالت برانداختند

(الذين توسلوا بيمن السلطان المحظوظ، انتزعوا ممالكهم من الأعداء، وقد اعملوا في دفع العدو سيوف الثأر والانتقام ونسفوا الغواية والضلال الذي أقامه). ثم بعد أن توجه كل واحد من الأمراء الأكراد إلى انقاذ ولايته، نهض الأمير شرف إلى بدليس فشرع في حصارها بمعونة محمد بك حزو = حظو والأمير داود خيزاني والأمير شاه محمد شيروي وأمراء مكس وإسپايرد. فلما امتد زمن الحصار أياماً وضائق الحال بالمحصورين، طلب القزلباش أن يكفل محمد بك غرزاني والأمير شاه محمد شيروي حياتهم وحياة أسرهم ويؤمناهم من أن يتناول عليهم أحد،

(٢٠) في مايلي، أنه كان يحكمها (خالد بك) أخو (شرف خان) بالنيابة عن الدولة الإيرانية.



ليقوموا بالتخلي عن القلعة وتسليم مقاليدها إلى الأمير شرف. فتوسط الأميران المذكوران في البين وسلمت القلعة والولاية إلى وارث المملكة الأصلي عن طواعية. ثم أودع الأمير شرف أمر رجال القزلباش المحصورين إلى الأميرين المذكورين ليأخذاهم إلى حدود أرجيش و وان ليتمكنوا من الرجوع إلى أوطانهم. وهكذا عهد إلى الامير شرف بمحافظة الحدود وحراستها وأحكام الثغور وصيانتها من الديوان السلطاني<sup>(٢٢)</sup> ردها من الزمن. ثم نيّطت به من جانب السلطان سليمان خان<sup>(٢٣)</sup> فكان يقوم بتلك المهمة خير قيام وهو يراعي الجانبين ويحمي الطرفين<sup>(٢٤)</sup>.

- (٢١) يقول الأستاذ [محمد علي عوني] أنها (دنيسر) المدينة التاريخية القديمة.  
(٢٢) يعني من ديوان السلطان سليم خان الأول المعروف بلقب ياوز.  
(٢٣) هو (السلطان سليمان خان القانوني).  
(٢٤) لعله يعني جانب الدولة الصفوية القزلباشية، وجانب الدولة العثمانية.

#### تنبيه وتذييل:

يظهر من أقوال شرفنامه أن الأمراء الأكراد هم الذين شجعوا السلطان سليم خان علي محاربة الدولة الإيرانية ولكن الظاهر مما يلي: هو أن السلطان هو الذي استغل نفوذهم وقواتهم باسم التعصب المذهبي. ولما كان ما أورده المؤلف في هذا الصدد مجملاً، أرى من الواجب نقل التفصيل الذي أورده السيد محمد أمين زكي بك في كتابه خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان (١/١٧٥ - ١٩٠) بنصه وفصه:

«... كانت خطة الشاه إسماعيل الصفوي السياسية نحو كردستان ترمي، مثل الحكومات السابقة، إلى القضاء على الحكومات الكردية والإمارات المحلية الوطنية، لاحتلال النفوذ القزلباشي والسلطان الشيعي محل سلطان تلك القوى الوطنية. وذلك على العكس من السياسة العثمانية التي نفذها الترك آنئذ بواسطة الفاضل الشهير مولانا إدريس البديسي في كردستان. فهذه السياسة التركية كانت ترمي إلى إرضاء الكرد واستمالة قلوبهم بوضع أنظمة إدارية صالحة تتفق ورغبة الأهلين نوعاً ما. وفعلاً توصل العثمانيون لأغراضهم هذه بفضل هذه السياسة حيث ندب السلطان سليم العثماني في أثناء غزوته لإيران من معسكره في أماسية الشيخ حكيم الدين إدريس البديسي مرات عدة للذهاب إلى كردستان لأجل الاتصال بأمرائها ورؤساء العشائر الكردية فيها والعمل على إثارتهم على الشيعة وعلى رئيسهم الأكبر الشاه إسماعيل الصفوي. وفي الواقع أن الشيخ نجح في مهمته نجاحاً تاماً. وثارَت بلاد كردستان من أقصاها إلى أقصاها ضد الإيرانيين بعد معركة چالدران الشهيرة. فبادر أهالي دياربكر إلى رفع لواء الثورة وطرد نائب محمد خان بن الأوستاجلي حاكم كردستان من قبل الشاه من البلد، وتقديم الطاعة إلى الدولة

العثمانية. وقام في الوقت نفسه شرف بك أمير بدليس برفع الراية العثمانية على قلاع إمارته طارداً أخاه خالد بك الذي كان أميراً على البلاد، من قبل العجم. وهكذا ثار الملك خليل الوارث الشرعي لإمارة حصنكيفا وسعد من السلالة الأيوبية الشهيرة على الشاه إسماعيل لاسترداد بلاده واسترجاع مكانته، لأنه كان قد قبض عليه من قبل الشاه وأعطيت بلاده لقره خان العجمي أخي محمد خان بن الأستاجلي السابق ذكره. وكان قره خان هذا قد تمكن من الاستيلاء على سعد وحاول مراراً الاستيلاء على حصنكيفا أيضاً. فآخفق في معاء ولم يتمكن من الاستيلاء عليه. واسترد أمير صاصون محمد بك بلاد (هرزان = عززان = دياربكر) من أمير خيالة الشاه اسماعيل. وكما أن سيد أحمد بك الزرقى تمكن بتعضيد من أهل دياربكر من أن يسترد بلدتي آتاق وميفارقين، كذلك استرد قاسم بك قلعة أكيل. واستولى جمشيد بك المردي على مدينة يالو باسم السلطان سليم العثماني، وعرقل بدر بك بختي حاكم الجزيرة القوات الإسعافية من نجدة القوات المحصورة في ماردين. واسترد سيد بك بن شاه علي أمير السوران بلاد كركوك وإربيل. وخلاصة القول أنه فضلاً عما تقدم، كان ستة عشر أميراً من الأمراء الكرد قد التحقوا بالسلطان سليم العثماني في موكب العالي في غزوة إيران ورغماً عن كل ذلك رأى السلطان سليم أن المصلحة تقضي بندب مولانا الشيخ إدريس البدليسي للعمل على تأمين انضمام كردستان وأمرائها وزعمائها المنتشرين من بحيرة أورمية حتى ما وراء ملاطيه بمملكة آل عثمان. وبعد أن غادر السلطان سليم مدينة تبريز عاصمة الصفويين حينذاك ظافراً عاد إليها الشاه إسماعيل المهزوم، وأصلح من شأنه حتى تمكن من جرد حملة عسكرية بقيادة قره خان على دياربكر. فسلك قره خان هذا طريق چپاقچور، واتصل بحاميات قلاع ماردين والرها = أورفه من الإيرانيين، فاستصحبهم وزحف بهم جميعاً على دياربكر، وحاصرها حصاراً شديداً، فدافع الأهلون دفاع الأبطال، وأرسلوا إلى السلطان سليم المعسكر في آماسية يطلبون منه النجدة فأرسل قوة لا بأس بها بقيادة حاجي يكتا أحمد الأمدي. وأرسل الشاه إسماعيل كذلك نجدة لقائد جيشه قره خان المذكور.

وبينما كانت النجدة الإيرانية سائرة في أطراف أرجيش بين الجبال والأدغال، كان مولانا الشيخ إدريس البدليسي قد تمكن من حشد القوات المبعثرة من الأكراد في بلاد بدليس وخيزان ومكس وصاصون فباغت بها القوات الإيرانية القادمة لنجدة المحصورين في جهات أرجيش وشتتها شذر مذر، ودام حصار العجم لدياربكر سنة ونيفاً مات خلالها من الأهلين والمدافعين من جراء الحروب والأمراض زهاء خمسة عشر ألفاً، ولكن هؤلاء الأبطال الذين كانوا منذ أربعة عشر عاماً في حروب مستمرة وقتال دائم ضد الغاصبين المدمرين، كانوا قد أخذوا على عاتقهم الدفاع إلى النهاية مهما كلفهم من التضحيات.

ولما وصل مولانا الشيخ ادريس إلى بلدة حصن كيفا، تلقى كتاباً من السلطان سليم يخبره فيه بإرساله نجدة كبيرة بقيادة محمد باشا البيقلي إلى دياربكر. فكتب مولانا الشيخ هذه البشرى في ورقة، ولفها في جناح حمامة من حمام الزاجل، وأطارها إلى المحصورين فبلغتهم وقويت بها

قلوبهم. وكان السلطان طلب في كتابه أيضاً أن تتحد كلمة جميع الأمراء الكرد، فأبلغهم الشيخ ذلك في جمع حافل. وكان السلطان قد كتب إلى بيغلو محمد باشا بالاجتماع بالشيخ في بلدة حصن كيفا. وقد تم اجتماع مولانا الشيخ بالبasha فيها، مع القوات الكردية المؤلفة من عشرة آلاف نفس بقيادة قاسم بك وجمشيد بك وحسين بك من الأمراء الأكراد. فزحفوا جميعاً على قوات قورد بك من القواد الإيرانيين فأبادوها، ثم ساروا إلى دياربكر لضرب المحاصرين الإيرانيين. فلما وصل الخبر إلى قره خان قائد العجم، ترك حصار دياربكر ولاذ بالفرار نحو ماردين. وبعد قليل من الزمن وصل جيشا مولانا إدريس ومحمد باشا بيغلو إلى دياربكر، فد خلاها من غير حرب ولا قتال. وبعد إنقاذ دياربكر، تقرر الزحف على ماردين بتوصية من مولانا الشيخ إدريس الذي أصدر منشوراً إلى أهل ماردين ضمنه آيات من القرآن الكريم وأحاديث شريفة الأمر الذي جعل الأهالي يتأثرون بذلك المنشور، فأرسلوا مندوباً من قبلهم يدعى سيد علي إلى الشيخ ليفاوضه في شروط التسليم واستصدار العفو عن السكان. وبعد إتمام المفاوضة مع الشيخ والملك خليل، عاد المندوب إلى القلعة لتنفيذ ما اتفقوا عليه من فتح أبواب المدينة والعمل على تسليم حامية العجم بها، ولا سيما أن قره خان كان قد خشي الدخول في قلعة ماردين، وأثار الانسحاب إلى ناحية قلعة سنجار مما سهل ذهاب قوة كردية بقيادة الملك خليل ومعه مولانا الشيخ إدريس إلى ماردين وتسلم المدينة. ولكن الحامية الإيرانية كانت قد تحصنت بالقلعة الداخلية فأبقت التسليم والنزول. وكانت هذه القلعة على جانب عظيم من المناعة والحصانة، حيث عجز تيمورلنك الجبار عن الاستيلاء عليها في المرتين اللتين حاصرها فيهما.

هذا، ولما دب الخلاف بين القائدين التركيين شادي باشا وبيقلي محمد باشا، عاد شادي باشا إلى الأناضول قبل الاستيلاء على ماردين، فكتب مولانا الشيخ إلى السلطان يستنجده، فأرسل إليه السلطان قوة مؤلفة من عشرين ألف جندي بقيادة خسرو باشا في ربيع سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) كما أن قره خان القائد العجمي انتهز الفرصة فعمل على تقوية قلعة ماردين، وأرسل قوة من الحرس الشاهاني مؤلفه من (٦٠٠) قوروجياً بقيادة حاكم همذان «گلشهر» على قلعة سنجار. فالتقت هذه القوة الإيرانية فيها، بقوات أبي المواهب چلبى من أبناء مولانا الشيخ ادريس وقوات أمير الجزيرة. وبعد قتال خفيف دار بينهما، تمكن أبو المواهب چلبى من الانسحاب بجيشه عن طريق القوة الإيرانية التي وصلت إلى ماردين التي كانت هي وحصن - كيفا لا تزالان تحت سيطرة الأعجام لغاية تلك الساعة.

(وفي رواية تاج التواريخ: أن الشاه إسماعيل أرسل لنجدة قره خان قوات يكان بك حاكم همذان وچوقا سلطان حاكم أكراد الكلهر، ومعهم ست مئة قوروجي عن طريق سنندج وكروك. فوصلت هذه القوات إلى بغداد، وانضمت إلى قوة حاكمها قيغور سلطان الذي تولى القيادة العامة لهذه النجدة الكبيرة، وكلف التوجه نحو ماردين. غير أن الملوك الكرد كانوا قد احتلوا جميع مضائق كردستان وطرق آذربيجان، حتى إن بدر بك من ملوك الأكراد البختية وحاكم الجزيرة العمرية كان قد أرسل سيد أحمد بك وچوقه سلطان اللذين كان معهما ألفان من الجنود الإيرانية. وفعلاً نشب بين هاتين القوتين بصحراء سنجار فكان النصر حليف القوات الكردية).

ثم لما انضم جيش خسرو باشا إلى جيش محمد باشا البيقلي، رأى مولانا الشيخ أن الظروف مؤاتية للشروع في الهجوم حالاً، إلا أن محمد باشا لم يعمل برأية، وفضل أن يرسل يادىء بدء قوة مؤلفة من أربعة آلاف نسمة بقيادة حسين بك حاكم خربوط لتقوم باستطلاع حال العدو. فذهبت هذه الطليعة، والتقت بالأعجام، ودارت بينهما حروب شديدة لم ينج من جنود الطليعة المذكورة إلا ألف نفس عادوا منهزمين لا يلوون على شيء. ثم التقى جيش محمد باشا البيقلي بجيش قره خان على مقربة من قوج حصار القديم، فكان جيش خسرو باشا البالغ عدده ستة آلاف من الخيالة في ميمنة العثمانيين، والقوات الكردية المؤلفة من أربعة آلاف نفس، بقيادة مولانا إدريس ومن معه من أمراء وملوك الكرد، مثل الملك خليل الأيوبي حاكم حصن كيفا ومحمد بك بن علي بك حاكم صاصون وأمراء شروانات وقاسم بك أمير أكيل وشرف بك أمير بدليس وداود بك حاكم نميران وأحمد بك زرقي حاكم آتاق وشاه ولد بك السليقاني، كل هؤلاء في الميسرة. وكان محمد باشا البيقلي في القلب فقامت حرب ضروس بين الطرفين ودارت رحى معارك حامية، فظهر الوهن والضعف في صفوف الأعجام فأصيب قره خان برصاصة طائشة قضت عليه فوراً، وازداد حث مولانا الشيخ لأمراء الكرد وتشجيعهم على مطاردة الأعجام والضرب في أفقيتهم حتى أوصلوهم إلى جوار ماردين.

وكان من نتيجة هذه المعركة الدموية أن سقطت مدن وقلاع أرغني وسنجار وچرميك وسيورك وبيرهجك في أيدي العثمانيين. كما أن مدينة ماردين خضعت للجيش الغالب وتلعفر، ولكن قلعتها أبت التسليم وكان قائد حاميتها حينئذ سليمان خان أخو قره خان، فجاء خسرو باشا وحاصر هذه القلعة المستعصية، ودام حصاره لها مدة سنة لم ينل منها وطراً. وأرسل السلطان سليم الأول بعد أن تم له فتح حلب ودمشق نجدة كبيرة بقيادة محمد باشا البيقلي أيضاً، ومعه كثير من المدافع الضخمة فاستخدمها محمد باشا في ضرب قلعة ماردين، فسقطت بعد حروب ومعارك دامية. ثم سقطت قلاع حصن- كيفا والرها والرقه والموصل على التوالي.

وبعد تمام الاستيلاء على هذه القلاع المنيعه، خضعت مدن تلك المنطقة كلها، وجميع أنحائها لسلطان العثمانيين، كما أن العشائر الكردية الضاربة في سهول تلك الجهات وصحاريها، مثل الروشني والحريبي والسنجاري والأستاجلي والجزيري وكذلك عشيرة الموالي العربية قدمت الطاعة والخضوع للدولة العثمانية الواحدة تلو الأخرى. والخلاصة، أن جميع البلاد الكردية دخلت في حكم العثمانيين هكذا عن طواعية ورضى بفضل دراية مولانا الشيخ إدريس وسياسته الرشيدة، وهمة محمد باشا وشجاعته الفاتقة. وبعد ذلك كله أخذ الشيخ في وضع الأنظمة الإدارية الكافلة لرقى هذه البلاد التي كانت مضطربة غاية الاضطراب من جراء القلاقل والفتن والحروب المتوالية، فنالت هذه التدابير والأنظمة التي ترمي إلى تقدم البلاد في ظل الإمارات الكردية، والإدارات المحلية المشمولة له، بالسيادة العثمانية القبول والموافقة لدى جلاله السلطان سليم. فأرسل له فرماناً شاهانياً بذلك، كما أرسل له سبعة عشر علماً وخمس مئة خلعة من الخلع السلطانية الفاخرة لتوزيعها على رؤساء الحكومات والإمارات الكردية، الوارثين الحكم عن أجدادهم كبراً

عن كابر. وأرسل إلى مولانا الشيخ خاصة<sup>(١)</sup> هدية ثمينة، هي خمسة وعشرون ألف دوقة ذهب. وكانت العهود والمواثيق التي قطعها مولانا إدريس باسم السلطان لأمرء كردستان تحتوي (فيما أظن) على المواد الآتية: (أ) الاحتفاظ باستقلال الإمارات الكردية وحرّياتها. (ب) أن تنتقل الإمارة عند خلوها عن شاغلها من الأب إلى أولاده الذكور، أو يتصرف فيها بحسب الأصول المحلية القديمة، فيصدر فرمان سلطاني بالموافقة على ذلك. (ج) يساعد الكرد الترك في جميع حروبهم. (د) يساعد الترك الكرد ضد الاعتداءات الخارجية. (هـ) يدفع الكرد الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع للخليفة. وأبرمت وثيقة هذه العهود والمواثيق المعقودة بين السلطان والحكومات والإمارات الخاضعة له في كردستان سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) ولكن الحكومة التركية نقضت شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاماً من التوقيع عليها شيئاً فشيئاً حتى أتت على آخر إمارة كردية سنة (١٢٦٦هـ-١٨٠٥م).

قسم مولانا الشيخ مقاطعة دياربكر إلى سناجق عدة تسهيلاً للأمور الإدارية، وبعد ذلك طبق هذا النظام البديع نفسه على مقاطعتي الرها والموصل؛ لأن أحوال البلاد الخاصة، ونزوع رؤساء العشائر التي فيها إلى الحرية والاستقلال وميل السكان الدائم إلى الحرية والانطلاق وامتشاقهم الحسام في سبيل ذلك، كل ذلك لم يكن ليساعد على تأسيس إدارة مركزية واحدة، وذلك لأن مولانا الشيخ بفضل تدبيره الصائبة وسياسته الرشيدة كان قد تمكن بكل صعوبة وببذل الجهود الكبيرة من إقناع هذه البلاد المستعصية بقبول السيادة العثمانية والانضواء تحت لوائها ولا شك في أن المحافظة على هذه النتيجة الحسنة والسياسة الرشيدة، كانت تقتضي إنشاء إدارة مستقلة عن الإدارة العثمانية المباشرة في بلاد كردستان تتفق مع رغائب سكانها وميول مؤسساتها الوطنية.

وكانت ثقة السلطان سليم بمولانا الشيخ في هذه الأمور عظيمة جداً، حتى إنه أرسل إليه فرمانات عديدة على البيضاء، ليملاًها مولانا الشيخ بمعرفته، ويوزعها على من يشاء من الأمراء والزعماء وكل ذي حيثية<sup>(٢)</sup>.

هذا وكانت ولاية دياربكر مقسومة بحسب النظام السابق ذكره إلى تسعة عشر سنجقاً منها أحد عشر سنجقاً كانت على شاكلة الوحدات الإدارية في بلاد الأناضول تحت حكم الترك المباشر. والثمانية الباقية كانت مستقلة تحت حكم الأمراء الوطنيين، وهي: أصمغان، قوب، مهرانية، ترجيل، آتاق، پرتك، چبافجور وچرميك. وكانت الإمارة في هذه السناجق وراثية تنتقل من الأب

(١) كذا في الاصل، وبالرجوع إلى ترجمة (هامر) وجد أن كلا من الأعلام والخلع والخمسة والعشرين ألفاً من الذهب من قبل الدولة، أرسلت للشيخ إدريس لتوزيعها على الأمراء والحكام الخاضعين. ولكن الذي في (تاج التواريخ) الذي هو أقدم مصدر في هذا الموضوع وأهم مرجع، أنها أرسلت إلى محمد باشا البيقلي لتوزيعها على أمراء دياربكر وملوك الأكراد حكاهم، مع المبالغ التي أرسلت له (خاصة) بدليل أن فرمان الذي صدر إلى الشيخ لا يتعرض لذكر هذه الأشياء كما تذكر تمام نصه تقريباً [محمد علي عوني].

(٢) سنورد ترجمة فرمان الصادر من سلطان سليم إلى إدريس نقلاً عن تعليقه للأستاذ محمد علي عوني.

إلى الأبناء. وفضلاً عن هذا كانت هناك في تلك الولاية خمس حكومات تابعة للسلطان مباشرة، وهي: حكومة أگیل وحكومة پالو وحكومة جزيرة ابن عمر وحكومة حنظل وحكومة كینگی، وعلى رواية كتاب جهان نما اضيفت إلى هذه الحكومات أخيراً حكومتان أخريان هما حكومة خاپور وحكومة مانشگرد ولعلها (الشگرد) فكان رؤساء هذه الحكومات التابعة في رتبة مير ميران - أمير الأمراء وكانوا مستقلين في جميع أمورهم الداخلية تمام الاستقلال<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن هذا النظام الإداري الممتاز خاصاً بولاية دياربكر وحدها، بل كان يتناول مقاطعات أخرى من بلاد الكرد، كما نرى في ولاية وان أيضاً نفس هذا النظام حيث كانت الولاية تنقسم إلى سبعة وثلاثين سنجقاً، وأربع حكومات وطنية خاضعة للسلطان مباشرة، وهي:

(١) حكومة حكارى: كانت قوتها العسكرية الدائمة تتألف من عشرة آلاف مقاتل، وفي حالة الحرب كانت هذه القوة تبلغ خمسين ألفاً.

(٢) حكومة بدليس: كانت قوتها العسكرية كقوة الحكومة السابقة تقريباً.

(٣) حكومة محمودي: كانت في شرقي مدينة وان، وكان فيها زهاء مئة وعشرين قبيلة كردية تتألف منها قوتها العسكرية الدائمة البالغ عددها ستة آلاف نسمة.

(٤) حكومة پنياناش: كانت بجوار حكومة محمودي، وتتألف قوتها العسكرية الدائمة من ستة آلاف مقاتل.

وأورد أوليا جلبي ذكراً لخمس حكومات أخرى كانت تابعة في عهده لحكومة تبريز الإيرانية، وهي: حكومات قطور، پيره دوزي، جولاني، ومدمي، ودنبلي.

ولا شك في أن مثل هذا التقسيم الإداري الذي أوجده عبقرية مولانا إدريس البدليسي كان مطابقاً تمام المطابقة للظروف المحلية، والملابسات الإقليمية؛ لأن بلداً ككردستان قوي الشكيمة يميل أهله إلى الحرب والقتال، وينزع دائماً إلى الثورة والاستقلال، لم يكن ولن يكون في الإمكان إدارته بنوع آخر من أنواع الإدارات وأصول الحكم.

على أن هذا النظام، قد قضى قضاء مبرماً، بصفة رسمية، على معظم الإمارات الكردية الوطنية التي كان يبلغ عددها ستاً وأربعين إمارة، قبل عهد هذا السلطان؛ وبعد أن أتم مولانا إدريس تنظيم كردستان إدارياً على هذا المنوال البديع، وزع بنفسه الطبول والأعلام باسم السلطان على الملوك والأمراء الأكراد، وهي علامات وشارات الإمارة في ذلك العهد. وكان الملك خليل آخر حفيد من حفدة السلطان صلاح الدين الأيوبي ضمن الأمراء الأكراد الذين نالوا تلك العلامات الشريفة والشارات السلطانية.

### ترجمة فرمان

«عمدة الأفاضل، وقدوة أرباب الفضائل، والسالك مسالك الطريقة، والهادي إلى مناهج الشريعة، كشاف المشكلات الدينية؛ وحلال العضلات اليقينية، وخالصة الماء والطين، مقرب الملوك والسلاطين،

(٣) شرفنامه. أولياجلبي، مؤذن زاده، هامر (المؤلف).

برهان أهل التوحيد والتقديس (مولانا حكيم الدين إدريس) أدام الله فضائله:

ليعلم عند وصول الفرمان العالي الهمايوني أن كتابكم وصل الآن إلى سديتي السعيدة، مفيداً بشري تسببكم في فتح ولاية دياربكر كلها، على مقتضى حسن ديانتك وأمانتك وفرط صداقتك واستقامتك، كما هو المأمول منك، بيض الله وجهك. وإن شاء الله الأعز تكون سبباً فعالاً في فتح سائر الولايات وأنواع عناياتي العلية الملكية متوجهة إليك ومبذولة في حقك. وقد أرسل مع مخصصاتكم إلى آخر شهر شوال المبارك الفأً جنينه ذهب «فلوري» وفروة سمور وأخرى وشق و(مربعان- ثوبان) من الصوف، واثنان من الجوخ، وكذا كرك من الصوف المبطن بفروة سمور وآخر مبطن بفروة وشق، وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ افرنجي. فلدى وصولها إليك، إن شاء الله الأكرم، تتسلمها بالصحة والسلامة، وتصرفها في نفقاتك. ودمت متمتعاً بما أنت جدير به من أنواع تعطفاتي الملكية الجليلة، تقديراً لخدماتك الملكية الجليلة، ومكافأة لاستقامتك وإخلاصك.

وبما أن الأمراء الذين أتوا من دياربكر وتابعوك، معلومة لديك أحوالهم وألقابهم ومقادير ما يخص لهم من السناجق «الألوية» في تلك الولاية، وبالنسبة إلى صداقتهم وإخلاصهم واختصاصهم وخدماتهم، فقد أرسلت مراسيم ملكية شريفة، على البياض، معنون أعلاها بعلامتي الملكية الشريفة، إلى إفتخار الأمراء العظام، ظهير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، صاحب المجد والاحتشام، المؤيد بأنواع تأييدات الصمد، أمير أمراء ديار بكر «محمد» دام إقباله فينبغي أن تكتبوا البراءات السلطانية من أحوال السناجق التي خصصت لكل أمير وكيفية توجيهها وألقاب هؤلاء الأمراء ومقادير إقطاعاتهم على الأسلوب المناسب، مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلاً، ومقدار إقطاعاتهم في دفتر خاص، وإرساله إلى سديتي السعيدة ليحفظ هنا، وليكون كل شيء مفهوماً ومعلوماً، مع مذكرة تفصيلية عن السناجق «المقاطعات» التي وجهت إلى الأمراء وكيفية تفويضها، ووجه كتابة ألقابهم ونوع الإنعام، بشرط أن لا يخل هذا التوزيع والتخصيص بالأصل، بحيث لا يحدث أن يؤدي إلى تزلزل ما بينهم من أسس الارتباط، وأرسلت أيضاً أوراق بيضاء متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية، لأجل إرسالها إلى أمراء، يلزم إرسال كتب استمالتهم، فتحرر كتب الاستمالة على الصورة المناسبة، وترسل إليهم مع الإنعامات الملكية، فتدون صور تلك البراءات السلطانية، وكيفية إنعاماتهم ووجوه مراعاتهم في دفتر خاص، وتبعثون بها إلى سديتي التي هي ملجأ العالم، ليكون كل شيء منها معلوماً هنا على التفصيل.

وإن المهام السلطانية في هذا الجانب قد تمت حسب رغبتني الشريفة، فإن شاء الله الأعز سيعطف عنان عزميتي إلى ذلك الجانب، وثقوا أن عطفني السامي على هؤلاء الأمراء أكبر مما يأملونه.

هذا وقد أوفد الآن إسماعيل الضاللي ابن الشيخ الأردبيلي، المدعون: حسين بك وبهرام آغا من رجاله بسفارة إلى سديتي السعيدة يعرض بواسطتهما تقريراً وتحريراً أنواع الخضوع والطاعة، ويتضرع ويلتمس بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلام قائلاً: إنه يقبل جميع ما أطلبه وأبتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولا شرط. ولكن لا يجوز الاعتماد على قوله وخلوص نيته، فلذا أمرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة ديمتوقه، وحاشيتهما في قلعة كليد البحر. فيجب عليك أن تقوم بدورك

لم يزل شرف خان على ما ذكرنا من الحالة حتى عهد سلطنة الشاه طهماسب<sup>(٢٥)</sup> حيث صار أولمه تكلو<sup>(٢٦)</sup> أمير أمراء آذربيجان وأخذ يقضي أكثر أوقاته في (وان) و(وسطان) ويعني بمحافظة الحدود وضبط الأمور. وكان آنئذ شوون سلطنة الشاه طهماسب في قبضة جوغه سلطان تكلو. فلما أقدم حسين خان شاملو في المناجع المعروفة باسم گندمان من أعمال إصفهان على أن يقوم بالاتفاق مع جماعة من الطوائف القزلباشية بالانتمار بحياة چوها سلطان وقتله وتشنتت على أثر ذلك أمراء تكلو أعلن أولمه في تبريز عن عصيانه وأطلق يده في خزائن الشاه طهماسب وصادر ما في تبريز من الأموال الطائلة والبضائع الكثيرة، وجمع الشيء الكثير غصباً وحملها معه وسار نحو (وان) حيث عرض منها طاعته على سدة سليمان خان<sup>(٢٧)</sup> برسالة مشتملة على مختلف الشروط والتعهدات أرسلها إلى المقام السلطاني الأعلى بصحبة معتمدة.

فلما بلغ النبأ مسامع جلالة العاهل الأكبر أنفذ الأمر المطاع إلي الأمير شرف بالسير إلى وان فيسفر منها أولمه سلطان مع أهله وعياله وحواشيه إلى السدة السلطانية السنية. فلبى الأمير شرف أمره وحشد قواته وجيشه وتوجه بها إلى وان. فلما أدرك أولمه قدومه، استقبله مع ممتني نفر من رؤساء تكلو ووجهائها حتي المحل المسمى خرگوم حيث تشرف بملاقاته على شاطيء راند خرگوم. فكلفه الأولة أن يصطحبه إلى قلعة وان ليلبث فيها أياماً يستجم خلالها. وبعد أن يقدم له واجب الضيافة يهيء رحله ويقطع علاقته، ثم يتوجهان معاً نحو بدليس. في هذه الآونة التي قام رجال من سكان وان ووسطان يُسرون إلى الأمير شرف

---

في اتخاذ أحسن التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور، لتكون ذا جد وسعي في مهمات دولتي ومصالحها الأبدية، مديدة الأيام.

وفي الختام أرجو أن تظهر منك ضروب من الآثار الجليله والمآثر الحميدة اعلم هذا، واعتمد على علامتي الشريفة. تحريراً في أواسط شوال المبارك من سنة إحدى وعشرين وتسع مئة الهجرية بمقام دارالخلافة - أدرنه.

(٢٥) يعني به هنا وفيمايلي الشاه طهماسب الصفوي الأول.

(٢٦) يفهم من كتاب محمد أمين زكي بك: أن أولمه هذا كان فيما سبق أيضاً ملتجئاً إلى إيران.

(٢٧) هو السلطان سليمان القانوني.



بقولهم: إن أولمه قد أوفد مع أخيه عقبله، التي كانت مربية الشاه طهماسب وحاضنته، إلي مقام الشاه طهماسب المذكور ليمهدا له سبيل التوسل، ويطلبا له العفو ويصلحا بينهما. ولما كان رجلاً مروغاً محتالاً فحذار من أن يدخلكم القلعة ويحبك مع الرؤساء دسائس وخديعات يتخذها وسيلة للتقرب إلى الشاه، فيتلافى بذلك ما بدر منه من العصيان.

فلما سمع الأمير شرف هذه الكلمات الموحشة المرعبة، هاله الأمر وأوجس في نفسه خيفة منه. فكلما التمسه أولمه وألح عليه أن يذهب به إلى وان لم يعره أذناً صاغية، وأبدى عذره، وفضل الإقامة هناك. وأخيراً تقرر على أن يظلا كلاهما في قرية خرگوم، وبيعتا أمير بك محمودي مع بضعة نفر من الرؤساء المعتمدين من أشياع أولمه إلى وان ليأتوا بأهل بيته وحواشيه وأسر الرؤساء من القلعة، ويحملوهم جميعاً إلى بدليس. فلما بلغ أمير بك مع الرؤساء وان في منتصف الليل، ثار أخو أولمه مع بعض الرؤساء في وجهه، وأحكم أبواب القلعة، وحال بينهم وبين دخولها، لإخراج الأسر منها والحصول على الرحل والأموال. فلما أنبىء الأمير شرف بهذا الخبر، تبين له أن الإغارة على قلعتها وضرب الخناق حولها، لا يجديان نفعاً، بل يؤديان إلى تألب الأمراء القزلباشيين الموجودين في تلك الربوع وإلى قيامهم بعمل يسفر عن انفلات أولمه أيضاً. فاضطر أن يحمل أولمه مع صحبه البالغين زهاء مئتي نفر من الذين جاؤوا معه ليستقبلوه ويذهب بهم إلى بدليس. وهكذا اضطرهم إلى أن يصطحبوه تاركين أحمالهم وأثقالهم وأهلهم وعيالهم ولم يحملوا معهم سوى دسوت ثيابهم وجيادهم العارية عن السروج والتجهيزات برغم أن الموسم كان خريفاً والألم يحز في قلوبهم.

ولقد أدلى محمد شحنة مان قواليسي - وكانت له علاقة التربية بجامع هذه الرسالة - بالمعلومات الآتية قائلاً: لما نزل أولمه مع الأمير شرف ناحية گرجيكان، كان الفقير يقوم مع نفر من أهل چقور بحراسة الأمير شرف الليلية، وحين انتصف الليل جاء وكيل أولمه مع بضعة نفر من عمد رؤسائه يبتغون مواجهة الأمير شرف، فوقف على باب خيمته وقال: إن أولمه سلطان بعثنا إلى الأمير شرف برسالة خاصة في مسائل مهمة لا بد أن نعرضها عليه. فلما أحيط الأمير شرف علماً بمجيئهم، أذن لهم في الدخول وسألهم عما ابتغاه أولمه. فقالوا: إن أولمه سلطان يقرأ عليك

السلام ويقول: خالفني الأخوة والأقرباء وعصوا أمري وأقدموا على التصرف بكل ما نملكه من الأهل والعيال والأسباب والأموال وان اتجه المخلصين إلى المقام السلطاني على هذا المنوال مما لا يناسب شأننا ولا يليق بمقام دولتكم، فيما أن تحزوا رؤوسنا ورؤوس أصحابنا وتبعثوا بها جميعاً إلى العاهل الأعظم، وإما أن تأذنوا لنا بالانصراف والعودة إلى (وان) لنؤدب الجماعة المتمردين الذين عاملونا هذه المعاملة الشاذة، ونعيد المياه إلى مجاريها. ثم حين نتولى التصرف بأمور عيالنا وأموالنا، نشد رحالنا ونتوجه إلى الآستانة السلطانية مطمئني البال، فيبعث ذلك على ازدياد عزنا ومجدنا وابتهاج خواطر أصحابنا كباراً وصغاراً؛ فأغار الأمير شرف مقالهم أذنناً صاغية، حتى إذا انتهوا من حديثهم، أطرق ملياً وفكر طويلاً، ثم قال: «علينا تلبيةً لأمر أحسن المخلوقات عليه أفضل الصلاة والتحيات، وإذعاناً لفحوى مقال رب الكائنات: (وشاورهم في الأمر) أن نستشير الأمراء والأعيان أولاً، ثم نجيب أوله سلطان بما يوافق الحال، ويطابق ما يتقرر عليه الرأي». وما رجع الرؤساء المعتمدون حتى دعا الأمير شرف إليه في الليله نفسها بعض الرؤساء المعتمدين لمداولة الرأي وأن يبدي كل ما يراه. وأخيراً قال الأمير شرف نفسه: «إن إرسال هذا الرجل على هذا الشكل إلى دار السلطنة سوف يخلق لنا عداءً، ولكنني أرى أن ننتخب زهاء ثلاث مئة نفر من الشبان البسلاء المحنكين، ونرسل بهم إلى قارعة الطريق، ثم نخلي سبيل أوله ليذهب وشأنه، حتى إذا ابتعد مسافة قليلة نعلن هزيمته، ونجرد رجالاً يتعقبونه ليقتلوه مع بضعة نفر من شرور هؤلاء المفسدين، وإلا فلا تبشر نتيجة إرساله على هذه الصورة بخير، ولا نحصل منه إلا الندم!» فاستحسن بعضهم رأيه، وأنكره آخرون قائلين: «إن بين جيشنا دخلاء كثيرين من أمراء الباب العالي وعرفائه فلا بد من الحذر أن يفتضح هذا السر غداً وتصبح العاقبة وخيمة وتعجز الألسن عن الاعتذار!».

وأخيراً لم يلب التماس أوله ولا اقتراح الأمير شرف، بل جيء به إلى بدليس على هذا الوجه الذليل، وجهاز منها بجهاز السفر، وأرسل معززاً مكرماً إلى مقام السلطان<sup>(٢٨)</sup> الغازي. ولما اجتاز أوله نفق بدليس، كان يحكي تينناً حديث الخروج

(٢٨) يعني السلطان سليمان القانوني أكبر سلاطين آل عثمان.

من الغار أو عفريتاً حديث التخلص من القنينة، وهو ممتليء حقدًا وغيظاً على الأمير شرف ومضمر له الانتقام، بحيث أنه في اليوم الأول من تشرفه بتقبيل السدة السلطانية السنية، فتح فاه بالتظلم من الأمير شرف والوشاية به قائلاً: لما كان الأمير شرف يراعي جانب القزلباش أكثر، فقد بالغ في إيذائي وتحقيري، حتى إنه أراد ابتغاء مرضاه الشاه طهماسب<sup>(٢٩)</sup> أن يقتلني! فألتمس من العواطف السلطانية العلية والمراحم الملكية إقصاءه من منصبه، وإسناد إبالته إلى العبد عسى أن يتمكن بعون الله من إخضاع بلاد العجم «إيران» ومملكة آذربيجان على أحسن وجه، وضمهما إلى المملكة العثمانية، فيتحقق هذا الظفر على يده! ثم استأنف كلامه وقال: يشهد على ما أقول أنه لو دعي الأمير شرف الآن إلى الآستانة السلطانية العلية، فإنه لا يتوجه إليها!

واتفق أن كان علي سيدان من عشيرة قواليسي، الذي كان قد سفر مع أوله إلى الآستانة، حاضراً في تلك الأطراف آنثذ فدعي إلى الديوان العالي وسئل عنه: إذ دعي الأمير شرف الآن إلى الآستانة فهل يلبي الدعوة ويتوجه إليها أم لا؟ فأجاب ذلك الرجل عن بساطة: إن توجهه إلى الآستانة في هذه الآونة ضرب من المحال. فعد الوزراء وأركان الدولة قوله هذا تأييداً لمقال أوله. لذلك أخذوا يسندون إليه المخالفات، ويوغرون صدر السلطان<sup>(٣٠)</sup> عليه ويحملون هذا الكلام على محمل التمرد والانحياز إلى جانب القزلباش. فأدى ذلك إلى أن ينعم في اليوم نفسه بحكومته بدليس على أوله<sup>(٣١)</sup>، ويسير الجمع الكثير من الإنكشارية والمماليك الجديدة إلى احتلالها على أن يكون هؤلاء تحت قيادة فيل يعقوب باشا أمير أمراء ديار بكر، وأن يصطحبه ثلاثون ألف رجل من ولايات ديار بكر ومرعش وحلب وكردستان<sup>(٣٢)</sup> في حملته على ولاية بدليس.

(٢٩) يعني به هنا وفيما بعد الشاه طهماسب الصفوي الأول.

(٣٠) يعني به السلطان سليمان القانوني.

(٣١) كان هذا المنح مخالفاً لعهد السلطان سليم الأول مع الأمراء الأكراد، لأن هذا السنجق وسنجق حصن كيفا الذي أضيف إليه، حين تفويضه إلى (أولامه)، كانا يتمتعان بنظام الحكومات الوطنية يتوارثها الأمراء الأكراد المحليون وهذا من أهم الأسباب التي أثار غضب شرف خان واستياءه.

(٣٢) لعله يعني بلفظة كردستان مدلولها الخاص المراد به منطقة (جمشكرك - درسيم).

فلما سمع الأمير شرف هذا النبأ قلق باله واضطرب، وكلما أتخف البلاط الشاهاني<sup>(٣٣)</sup> بتحف وهدايا، وعرض عليه رسائل فيها التعبير عن إخلاصه وولائه، لم يزد وزير العصر (الذي كان حاقداً عليه بسبب حصان وقع إلى جانب الأمير شرف في اغتنام عشيرة بازوكي، وطلبه منه مرات عدة وإنه امتنع عن إعطائه معتذراً بأعذار واهية) إلا قسوة وإصراراً على عدم الالتفاف إلى ملتسماته وأقواله. فلما استيأس الأمير شرف من نجدته، أحكم القلاع في ولاية بدليس، وناط القيام بحمايتها بالشبان البسلاء والشجعان الغيارى من عشيرته، وجهزهم بالأسلحة والمعدات والمؤن والذخائر واللوازم، من ذلك أنه:

١- ناط محافظة قلعة بدليس وحمايتها بكل من إبراهيم آغا بلباسي وصاحبه الأمير محمد ناصرالدين على أن يكون تحت أمرهما ثلاث مئة نفر من رجال روژكي المعروفين بالجلادة والشجاعة.

٢- سير نجله الأمير شمس الدين مع أهله وعياله إلى قلعة اختمار ليحتموا بها، ويقوموا بالذود عنها.

٣- أسند شؤون القلاع الآتية: موش وأخلاط وكيفندور وزمورك وكلهوك وقلعة فيروز وسلم و كلخار مع قلعتي تاتييك وسوى اللتين كانتا آنئذ عامرتين، إلى رؤوساء روژكي المعتمدين. ثم قام بنفسه يطبق فحوى «آخر الدواء الكى» فحمل معه نفراً وقصد الشاه طهماسب، وكان آنئذ في تبريز، ليستمد منه المعونة والمساعدة، فتلقاه الشاه بالقبول وبالغ في الاحتفاء به واعزازه بحيث لم يتباطأ في رعايته دقيقة.

وأخيراً وصل فيل يعقوب ومعه أوله إلى هذه الولاية سنة ثمان و ثلاثين وتسع مئة (١٥٣٢م) بجيش عظيم، فعسكر في ظاهر قلعة بدليس، وشرع فوراً في محاصرتها، فاندلعت بين الفريقين نيران حرب اخترق لهيبتها الأفلاك.

فكان الأبطال الشجعان والمغامرون البسلاء (حين يبدأ في كل يوم السلطان «الشمس» ذو الجنود النجمية بالإغارة على القلعة الرابعة «الفلك الرابع» ويقذف بوهقه الذهبي على شرفات هذا الحصار الأزرق) يوقدون من الجانبين نيران الحرب،

---

(٣٣) يعني بلاط الشاه طهماسب المذكور.

ويخوضون غمارها المتلاطم ثم (حين يأخذ القمر الدائر بالعالم يتولى حراسة قمم القلعة اللازوردية، ويخرج رأسه من جهة المشرق) يترك الأبطال المقاتلون البسلاء النمريون الحرب جانباً، وينصرفون إلى فراش الاستراحة، لافين أقدامهم بأذيال الحزم والعزم.

استمرت الحال على هذا المنوال زهاء ثلاثة أشهر أضحت خلالها أبراج الحصار وشرفاتها بحمم المدافع الضخمة وقذائف المجانق المرعبة قاعاً صفصفاً. وكاد يبلغ الأمر حداً تسقط معه القلعة لولا أن استرضى الشاه طهماسب (الأمير شرفاً)، وقام بنفسه لنجدته من دار السلطنة «تبريز» متوجهاً إلى بدليس. فلما استفاض نبأ زحفه في أخلاط وعاد لجواز، أسرع فيل يعقوب وصاحبه أوله إلى فك الحصار واللجوء إلى الفرار، وقد اضطربا وحرارا في أمرهما حتى تركا التجهيزات الكثيرة والمعدات الوفيرة بضمنها مدفعان ضخمان كانا قد نصباهما في الجانب الشرقي بمحاذاة باب الطلسم، بل صبّاهما ثمة، وأدت قذائفهما وحممهما إلى نزول الدمار بأسوار القلعة وحيطانها حتى جعلها يباباً بلقعاً.

ويروى أن قره يادگار<sup>(٣٤)</sup> الذي لقب بعدئذ بلقب دورگ قد هبط من القلعة، وهو ممتمط صهوة جواده يعرض بشرى هذه الأخبار السارة وانجلاء الجيش عن الأخلاط على مقربي البلاط الشاهاني. فكوفىء على ذلك مكافأة حسنة، وأنعم عليه انعامات ملوكية حتى صار بها رفيع الرأس بين أقرانه.

ثم إن الأمير شرفاً أمر بتوزيع خمس الخراج والجبايات والرسوم المفروضة على مواشي النصارى والمسلمين وريع المناجع والمراتع المستحصلة من عشائر بدليس وقبائلها، وكذا الواردة من مضافاتها وملحقاتها كهدايا ملكية وجوائز لأركان الدولة. فعين لجباية ما ذكرناه جباة ومحصلون غلاظ شداد تمكنوا خلال ثلاثة أيام من جمع الأموال الطائلة، وبعد ذلك بسط في أخلاط بساط الضيافة، وأقام مأدبة ملكية فخمة ذاع صيت أبهتها حتى سمعه سكان العالم العلوي، وانتشر صدى فخامتها في أرجاء المعمورة حتى سمعه سكان الربع المسكون. فكان القمر السيار

---

(٣٤) في أحسن التواريخ ص ٣١٥ ج ١٢ إن دلويادگار روزكي حمل بشرى رحيل الجيش العثماني إلى شاه طهماسب وهو في «قرانقودره».

في أقطار السماوات، وباعث الضياء حتى إلى سجاج المنازل والأماكن قد أخذ على عاتقه دق طبول البشرى في الأفلاك على شرف هذه الضيافة، وكان العطارد وهو مستنبط المعارف والعلوم، ومستخرج أحكام النجوم، قد قاس ارتفاع معدل النهار بالدرجات والدقائق حتى استحصل الوقت المرغوب فيه لطلوع فجر الدولة وصبح السعادة، فاختره. وكانت الزهرة وهي محفة الفلك قد أبلغت رنات الصنج إلى مدار السرطان، وأجازت نغمات العود من على كوكب السعود. وراحت الشمس المنيرة للعالم، الحاكية في جودها غيوم نيسان المطرة باللآلي، وفروع أدواح الخريف النائرة دراهم الأوراق تجمع حولها بيادر العقيق وأكوام اليواقيت، وتنثر اللعل من المشرق، وتجود بالدر واللاللي في البحار. وكان المريخ وهو قائد جنود الأنجم وسلطان الإقليم «الفلك» الخامس، قد تمنطق بنطاق الخدمة كأنه أحد الجواويز وهو يصف الصفوف ميمناً وشمالاً. وكان السعد الأكبر يعني من فوق سادس الدرجات المنبرية يحفظ الناس من عين المعيان، فيتلو أية: (وإن يكاد الذين كفروا...) بصوت يسمعه الوعاة من سكان الملكوت. وكان زحل وهو الشيخ العارف الناسك في صومعة قلعة الفلك يضع الأعواد القمارية على مجمر الشمس، وينقش طلسم الدولة على صفحات القمر. وكانت سرادقات الأمن من اللاتي يسع بعضها مئة نفر، وبعضها ثمانين نفراً، والخيمات الملوكية والمظلات الحريرية الأطناب، تتصاعد إلى العيون. وكان السرر الذهبية والفضية قد ترصعت باللعل واللاللي وتغطت الفرش بروائح البخور والعنبر والمسك الشذية. وكان سقاة فضيو السيقان، وضأوا الوجوه كالزهرة، وعلى أكفهم الزجاجية الأقداح الذهبية، يفتحون شفاههم اللعية السائلة سكرأ بالأهازيج والأناشيد. وكان المغنون ذو الأصوات الجميلة يبلغون ترانيمهم الفلك الأزرق. وكان المطربون الحسان بالعزف على العود والصنج والقيثارة، يخطفون القلب من الصدر، والعقل من دماغ الصغار والكبار.

۱۶

چه جشني! بزمگاه خسروانه      هزارش نازو نعمت در میانه  
 ز شربتهای رنگارنگ صافی      چو نور از عکس در ظلمت شکافی  
 بلورین جامها لب ریز کرده      بماء الورد عطر آمیز کرده

ز زرین خوان، زمینش مطرح خور ز سیمین کاسها برجی پراختر  
 درو از خوردنیها هرچه خواهی ز مرغ آورده حاضر تا بماهی  
 پی حلواش داده نیکوان وام ز لب شکر ز دندان مغز بادام  
 ز تخته تخته حلواهای رنگین بنای قصر حسنش بود شیرین  
 برای فرش در صحن وی افگند هزاران خشت از پالودهء قند  
 ز تازه میوه های تر و نایاب سیدها باغبان پر کرده از آب  
 نکرده هیچ نادربین تصور کز آب آید بیرون زینسان سید پر

(أحسن بهذا المهرجان الملكي الذي سادته ألوف الأنواع من الدلال والنعمة، حتى غدت بين المشروبات الملونة، الشربة الصافية، كأنها النور المنعكس من الثقب على الظلام. لقد صفت الأقداح البلورية المملوءة حتي الحافة، وعطرت بماء الورد. ومن موائده الذهبية تجمع الأرض الفتاة، وتتلاأل الأبراج المليئة بالنجوم من كؤوسها الفضية. وفيها من الأطعمة كل ما يتصوره المرء، من الطيور حتى السمك. ولقد استعير لحلاوتها من الفاتنات السكر من شفاههن، ولب اللوز من أسنانهن. ومن ألواح الحلوى الملونة، أصبحت أبنية القصر محسنة ومزينة وفرش في الصحن عوضاً عن البساط، ألوف من اللبنات المعمولة من سكر الفالودج. ومن الفواكه الطرية الغضة، ملاً البستانيون السلال بحيث لم يكن ليتصور حتى ذو الأنظار الثاقبة أن من الماء ينتج كل محتويات هذه السلال.

ولما استمر الاحتفال على المنوال ثلاثة أيام، وتحلت قامات كل رجل محظوظ بالخلع التي رغب فيها، ونال كل مأموله، أخذ الأمير شرف خان يقوم بمراسيم تقديم الهدايا والتحف النادرة، فقدم أمتعة نادرة طريفة لم تر مثلها عيون الزمن منذ قرون، ولم تسمع الآذان بوصفها من الأفواه والألسن. من ذلك سباع للصيد وصقور وبزاة وجياد عربية مرصعة السروج بالذهب وفراء من الوشق مبطن بلونين مع ديباج وكساء بهرجا بخيوط ذهبية مقصبة ذات سبعة ألوان وخمائل أفرنجية! مشمولاً بالأعطاف الملكية، ومنظوراً إليه بأنظار الرأفة السلطانية، وأصبح رفيع الرأس بما أنعم عليه من منطقة ذات سيف مرصع بالذهب. وحلة مغلقة بأربعة أغلفة مزركشة مع لقب خان، وبما أسند إليه من منصب قيادة الجيش وإمارة أمراء كردستان الجليلين. وصدر إليه في هذا الشأن كتاب العهد المعزز، وهو كما نقله هنا:

## كتاب العهد

لما كان الغرض الأصلي والمطلب الكلي من التشرف بالعروج على معارج قدرة السلاطين العالية، ومن الاعتزاز بالصعود على مصاعد رغبات الخواقين المحظوظين، هو القيام برعاية جمع يعبرون عن إخلاصهم بالإقدام على بذل الحد والجهد في المعارك في سبيل الاعتقاد وتنفيذ الإرادة، حتى يخطفوا كرة السبق بين الأمثال والأقران، ويبذوا بسوابق الخدمة أعيانهم، فينشروا رايات الخدمة والتفاني ويضحوا بنقد نفوسهم النفيس على باب السلطان الشبيه في الرفعة الفلك، ويؤثرون التفادي به في ذلك المقام، ملجأ العالم، على كل شيء، وقد جاء والي الإيالة ورئيس الحكومة رفيع القباب المتصف بالعدل والنصفة عمدة الأمراء الكرام نقاوة الحكام العظام كمال الإيالة والإمارة والسعادة في الدنيا والدين شرف خان ملتجئاً إلى هذا المقام، مأوى الولاية والحكام، سالكاً طريق الإخلاص وواثقاً من ولاءه، وقد تبرأ من منافسينا، وتمسك بأذيال أعطافنا وعنايتنا، ولسان حاله يترنم بهذا المقال:

﴿﴾

«ما بدین در نه پی حشمت وجاه آمده ایم از بدی حادثه اینجا، به پناه آمده ایم»  
(إننا لم نقصد هذا الباب رغبة في التعاضم وكسب الجاه، بل إن فظاعة الحادثة هي التي ساقتنا للالتجاء إلى هذا المقام).  
وقد تشرف بالدخول في مجلسنا الشريف، لتفويض مروءتنا ومراحمتنا الملكية التي ليس لها نفاذ بمؤازرته والعناية بتربيته، طبقاً لمضمون هذه المقالة البليغة:

﴿﴾

هر آن کز غم جان و از بیم چاه بزنه‌ار این خانه آرد پناه  
اگر سر رود در سر کار او ندارم روا رنج و آزار او!  
(كل من بادر خوفاً على حياته وتخلصاً من زنانات السجن، إلى الاعتصام بملاجئ هذا المقام، فحتى لو ذهب الرأس في سبيل إغاثته وقضاء حاجته، فإني لا أسيغ رده خائباً وكسر خاطره).



لذلك آوينا والي الإيالة المذكور في ظل أماننا الظليل، ورفعنا رأسه بمنحه منصب الإمارة «الخانية»، ولقب (خان) حتى جعلناه موسوماً بشرف خان، وفوضنا إليه بتقديم المماليك «تواجي»، وأدخلناه في عداد الخانات والأمراء العظام الموجودين في بابنا المعلى، وأنعمنا عليه بمنصبي إمارة الأمراء وزعامة جميع أمراء كردستان. كما أنعمنا عليه بإيالة بدليس وأخلاط وموش وخنوس وملحقاتها ومضاقاتها وسائر الأنحاء والأرجاء التي كانت خاضعة له إلى الآن، وعدت من المناطق الداخلة ضمن ممالكنا المحروسة الخاضعة لنوابنا، وفوضنا إليه بشؤونها من الحل والعقد والقبض والرتق والفتق، وأمورها الملكية والمالية، ليلاحظ دائماً كلمة «الإنسان عبد الإحسان» بنظرة الاعتبار، ويمشي على جادة العبودية والتضحية بقدم راسخة، ويكون في محافل الاعتراف بالحق والولاء للدولة وطيد العزم، ويبدل جهده في إحكام بنیان الإخلاص والولاء بحيث يكون قدوة لحكام الأطراف والأكناف وأسوة لهم حتى تتعالى درجة عزه إلى المرتبة العليا. وواجب الأمراء الكرام والولاء وقواد كردستان هو أن يعدوا الخان المذكور أمير أمراء عليهم، فيقوموا بمراسيم المتابعة، ويعتنوا بإطاعة المشار إليه وإنجاز أوامره فلا يتركوا دقيقاً إلا قاموا به، وأن يحضروا مع الموماً إليه الحرب إن أعلنها، ويقوموا معه بخدمات الدولة، على مدى الأيام، على أتم وجه وأكملها، وعلى ولاية كردستان وملوكها ومعتمديها وشعبها ومواطنيها وسكانها ووجهاء العشائر والقبائل وعمدة الجماعات التابعة لتلك البلاد كافة أن يدعوا والي الإيالة المذكور حاكمهم وصاحب تلك الاصقاع فيذعنوا لأوامره وينقادوا لحكمه، وان يعيروا أقواله آذانا صاغية، ومن واجب والي الإيالة المذكور أن يعامل الشعب والمواطنين في البلاد معاملة عادلة لا يتطرق معها من القوي الظلم إلى الضعيف، ويعامل المناطق المجاورة له المعاملة نفسها. هذا وحين يوشح هذا العهد بتوقيعي الرفيع المنيع الأشرف الأعلى، فليعتمد عليه. كتب بالأمر العالي أعلاه الله تعالى، وخلد بقاءه، وأبقاه مطاعاً منيعاً. وقد بلغ في عشرين شهر صفر، ختم بالخير والظفر، من سنة تسع وثلاثين وتسع مئة (١٥٣٣م).

هذا وبعد أن ترشح زلال الأعطاف الشاهية وسلسال الطاقة بما ذكرناه، أحضر شرفخان ابنه وقلدة كبده الأمير شمس الدين في قلعة اختمار وأدخله في عداد ملازمي موكب النواب الشاهي، ثم أخذ الموكب السلطاني يعطف رايته نحو

آذربايجان عائدا إلى مقر السلطنة.

في هذه الآونة استفاض النبأ باستيلاء عبيد خان أوزبك على خراسان ومحاصرته (بهرام ميرزا) في مدينة (هراة) منذ نحو سنة، فبلغ ذلك مسامع جلالة الشاه، وجاء في التقرير: إن قلة المئون ونفاد الذخائر ضيقا الحالة على المحصورين، حتى عاش جنود بهرام ميرزا على الجلود المشوية إياما، فأدى إسماع هذه الأنباء الفظيعة إلى أن يسمع الشاه طهماسب بالإذن للأمير شمس الدين بالرجوع إلى بلده، وكتب له رسائل الإستمالة، واستقلالية القيام بإدارة شؤون آذربايجان وبمهمات من الرتق والفتق، وأمر الأمراء القزلباش من أمثال هلهل سلطان عربيگيرلو، وإدريس سلطان يازوكي واجل سلطان قاجار وأمير بك محمودي وموسى سلطان حاكم تبريز أن يكونوا طوع أمره، فإذا احتاج إلى معونة ونجدة واستنجد بهم، لبوا رغبته فورا، وعطف بنفسه عنان العزيمة إلى جلاء عبيد خان من خراسان.

ولقد سمع الفقير من والده المقالة الآتية: «قال لما استحصلت من الشاه طهماسب الإذن بالانصراف والعودة إلى بدليس قال لي: بلغ اباك ان يملك زمام نفسه إلى ان نعود من خراسان مهما كلفه الأمر، وليماش الحكومة العثمانية ويسلك معها سبيل المصانعة. فان (اولمة) رجل بلغ في الإفساد حدا لا يدانيه معه أحد في أرجاء المعمورة وأعلم يقينا أنه لا يدع الحكومة العثمانية نائمة مكتوفة اليدين، بل يوقظها بتحريك سلسلة الفساد، ويشعل نيران الفتنة».

بيد أن شرف خان لم يعمل بوصية الشاه، بل حمل على أمراء كردستان المجاورين له ممن شاركوا فيل يعقوب باشا وصاحبه أولمه في محاصرة بدليس قاصداً تأديبهم. ففقد أولاً الجيوش لتأديب الأمير داود خيزاني، وأطلق يده في أنحاء ولايته بالتهب والسلب والقتل، وحاصره ثلاثة أيام في قلعة خيزان. ولما مني خلالها الطرفان بخسائر فادحة من قتلى وجرحي، شاع نبأ توجه أولمه إلى بدليس، ففك الأمير شرف الحصار عن القلعة المذكورة ورجع أدراجه إلى ولايته. فأدت هذه المعاملات بالأمراء الخائنين إلى أن ينفروا من الأمير شرف كلياً ويشيخوا بوجههم عنه وينزعوا إلى أولمه. كما اتسسى بهم بعض وجهاء رجال عشيرة روژكي الذين كانوا متألمين منه، أمثال أمير بوداق كيساني وإبراهيم آغا بلباسي بن الشيخ أمير وقلندر آغا نجل محمد آغا كلهوكي ودرويش محمود گله چيري.

ومجمل القول أن أوله حمل على بدليس مرة أخرى بجيش قوامه عشرة آلاف نسمة من فرسان ومشاة - متسلحين جميعاً بالرمح والبنادق والقسي إلى جانب ما يدهم به فيل يعقوب باشا من النجدة وإغراء الذوات - في موسم الخريف، من سنة أربعين وتسع مئة (١٥٤٣م) - زاحفين من طريق خيزان نحو تاتيك، على حين لم يكن الجمع الحاشد حول راية شرف خان ليربى يومئذ على خمسة آلاف نفر. يضاف إلى ذلك، أنه تذكر وصية الشاه طهماسب فقرر في بادىء الأمر أن يتوجه نحو آله طاق وألشگرد؛ ويوعز من ثمة إلى موسى سلطان والأمراء الآخرين في تبريز أن يحشدوا قواتهم ويسيروا في غاية البدار لمحاربة أوله والقضاء عليه. إلا أن روساء روژكي لم يرضوا بذلك وأخص بالذكر منهم سيدي علي آغا پرتاقي (الذي كان آنئذ وكيله ورئيس وزرائه «جملة الملك» ومن عمد عشيرة روژكي، وأحد شيوخها المعمرين) فقد أدى به الحمق والجهل إلى أن يفتح فاه في ديوان الإمارة ويقول: «إذا لم تنهض عشيرة روژكي لمحاربة العدو من صميم قلبها وبدر منها أدنى تهاون وتباطؤ، فإنني أجمع الأرمن والنصارى القاطنين في ولاية بدليس وأصد بهم زحف العدو».

وبرغم أن شرف خان كان له الإلمام التام بعلم الرمل قال: «يظهر من الرمل في هذه المرة أن درجة حظ أوله بالغ في الارتفاع الذروة، وأن طالعنا بلغ الحضيض في الهبوط، فلا يجوز لنا أن نخوض غمار الحرب ضده بوجه من الوجوه...» إلا أن الآراء الفاسدة وتبجح الأكراد أغوته فلم يملك زمام نفسه بعدئذ بل قرر أن ينزل بجيشه الصغير جيش أوله البالغ في الكثرة. ولما بلغ تخوم تاتيك من أعمال بدليس، برز إليه شرف خان، فالتقى الفريقان في الطرف الجنوبي من قلعتها. فلم يكن من أوله إلا أن أسند ظهر جيشه إلى الجبل، وأخذ يعنى بالجانب الأمامي منه وكان حقلًا فسيحاً زرع فيه الدخن، فأسال عليه ليلاً مياه الأنهر فجعله مستنقعاً. ثم شرع ينظم جيشه، فصفه صفوفاً من الإنكشارية والكمندارية، أمن بهم القلب والجناحين. وكان شرف خان أيضاً قد اصطف بجيشه قبالة العدو، ولكن جيشه الذي كان مؤلفاً من أبناء عشيرة روژكي، كان قد ساوره الطيش والغرور فلم يلتفت إلى قوة العدو، ولم يأبه للموقع الحربي، بل خاض غمار الحرب جزافاً. فاشتبك شبان الجانبين الحماسيون

والفرسان الثائرون النمريون، كأنهم أسود سكارى وقساورة غضاب. فعصف غبار  
الفتنة وعلت جذوة نيران الحرب المضطربة حتى عنان السماء من جراء تلك الحرب  
الحامية بدون رحمة ولا هوادة.

۞

زهر دو طرف يكه تازان كرد	نمودند با هم بسى دستبرد
ز سم ستور آتش انگيختند	بخون خاك ميدان بر آميختند
ز تيغ و سپر، شرزه شيران مست	هلالى بسر آفتابى بدست
نهنگ كمان اژدهاى دمان	قرار از زمين برد و هوش از زمان
هوا شد ز تيغ تفك پر زميغ	درو ابر رخشان درخشنده تيغ
در آن دودناك ابر دريا ستيز	تفك مهرها هر طرف ژاله ريز

(من الجانبين، نزل فرسان الأكراد إلى ميدان الحرب بجذ ونشاط. ومن حوافر  
الخيول أضرمت النار، وتضرجت أرض الساحة بالدماء. كان المتسلحون بالسيوف  
الدروع كالأسود الصائلة، على رأسهم الهلال ويدهم الشمس. فكانت الفؤوس  
التمساحية والبندقية التنينية تفلقان عقل الأرض وتخطقان قلب الدهر. ولقد تعكر  
الجو من أذخنة الطلقات حتى ظهرت فيه غيوم تلمع خلالها السيوف. ومن خلال تلك  
الدواخن الغيمية المتلاطمة كاليم، كان يتساقط رصاصات البنادق).

في هذه الحالة التي حمي فيها الوطيس وعلت جذوة نيران الحرب والقتال إلى  
العيوق، أشاح أمير بك محمودي- الذي عهد إليه بقيادة الجناح الأيمن من جيش  
شرف خان- بوجهه عن مولاه مع ملازميه وتعصبوا جميعاً بعصاة اللؤم والوقاحة.

۞

دلا مجوي ز ابنا دهر چشم وفا كه در جِبَلتِ اين همهران مروت نيست  
(يا أيها القلب! لا تطلبن من أبناء الدهر نظرة الوفاء، فإن جبلة هؤلاء الرفاق  
خالية من المروءة).

والتحقوا بجيش أوله، واتفق أن أصابت رصاصة بندقية كتف شرف خان فخرقته  
وخرجت من ظهره فلم يقو أن يملك زمام فرسه. فلما أدرك جنده هذه الحالة فروا،

ومنوا في ذلك اليوم بخسارة قوامها سبع مئة نفر من الشبان البسلاء، والأبطال القامعين للأعداء، بينهم خمس مئة نفر من نبلاء عشيرة روژكي ورؤسائها، أيدوا جميعاً مع سيدي علي آغا الوكيل، كما أسر ابنه سكر بك مع نفر آخرين. فلما شاهد أولمه هذه الكارثة، عطف عنان العزيمة إلى وان ووسطان من دون أن يخترق حدود ولاية بدليس، وجزعت عشيرة روژكي كباراً وصغاراً من هول هذه الحادثة وخطبها الجلل، وأخذوا يلعنون سيدي علي آغا الذي سبب هذه الكارثة. وهذا هو الباعث على انقراض أسرته، فلم يبق من أولاده وحواشيه وبنو عمومته متنفس في تلك الديار.

كان شرف خان حين حدثت هذه الحادثة قد شارف الخمسين من عمره، وأنافت أيام حكمه على ثلاثين سنة استقل فيها بزمام الإمارة، وانحصرت ذريته في ابنه الأمير شمس الدين الذي نجله من كريمة علي بك صاصوني. وقد خطب له في حياته كريمة محمد بك حزو = حظو، وأقام على شرف الخطبة وليمة بهيجة استمرت سبعة أيام. ثم إنه تفضل فأمر بمنع المنكرات والملاهي منعاً باتاً في حارة كوك ميزان في تلك الأيام، وأمر بعقد مجلس الشرع الشريف لعقد قران تلك العفيفة المستعصمة، بحسب نظام الدين الإسلامي وقوانين الشريعة المصطفوية، لابنه العزيز وفلذة كبده. ثم أقيم مهرجان كان من الأنس والفرح بحيث إن الفلك المحيط بالعالم الدائر قد أقر آلاف العيون الحائرة بمنظره البهيج، وأخذ ينثر عليه جواهر الأنجم الزاهرة - التي عني بتربيتها في حضنه منذ آلاف السنين - كأنها جائزة التهاني. ولما تزين المهرجان في تلك الخيام والسرادات بمجالس الأنس والطرب، طفق أمراء كردستان العظام أمثال السيد محمد حكاري والشاه علي بك بختي = بوطاني والملك خليل الأيوبي وحسن بك بالوهي يحضرون ذلك الحفل المبهج للقلب، ويقضون الوقت باللذات والمجون. وكان شبان كردستان يقضون الوقت في تلك الأيام بالمسابقة واللعب بالكرة والصولجان. وقد نثرت في تلك الحفلة تلك أطباق الفضة والذهب.

ثم بعد أن انتهت مراسم الاحتفال والوليمة قدمت الهدايا والخلع الفاخرة إلى الأمراء العظام والحكام الكرام، ثم سمح لهم بالانفضاض. ما من عشيرة وطائفة تناولت على آباء شرف خان وأجداده إلا انتقم شرف خان منهم، فلم يترك في قلبه حسرة. مثال ذلك:

١- عشيرة بازوكي: فانه حين عين الشاه إسماعيل<sup>(٣٥)</sup> چولاق خالدا<sup>(٣٦)</sup> - تنفيذاً لمشية الأقدار- أمير أمراء كردستان، وأضاف ناحية أو حكان من أعمال موش إلى منطقة خنوس وناط أمرها بأخيه الأمير رستم بك، أخذ يتصرف فيها، ويبدر منه التطاول على عشيرة روژكي، ويتخذ أوحكان مشتى ومقاماً له. فلما حل عام اثنين وعشرين وتسع مئة (١٥١٦م) أخذ شرف خان في قلب الشتاء ينتهز فرصة يوم قارس البرد انقلبت خلاله ناحية موش من شدة القر والبرد بحراً زخاراً ولجة متلاطمة، ليس في الإمكان أن يطير في فضائها الطير، ومعه ألف وخمس مئة نفر من شباب روژكي الشجعان وهم متلبسون بالجوارب والجراميق فأغار بهم على رستم بك فقتله وقتل اثنين من أبنائه وأربع مئة نفر من فتيان بازوكي وأعمل سيفه فيمن عثر عليه منهم دون اكرتات بالذكورة والأنوثة والطفولة والشيخوخة. ففر قسم من ذلك الجمع من المعركة وراحوا يتحصنون بكهف قريب من قلعة أوحكان. فأغار عليهم وأضرم النار في الكهف المذكور حتى خنقهم بالدخان.<sup>(٣٧)</sup> وبلغ مسود هذه الأوراق من بعض الأعزة أنه لم ينج منهم متنفس إلا عجوز تبرقت بقطعة من الجراب فأنقذت بها نفسها من الخنق ومن تلك الكارثة الفظيعة التي كانت تذكر الإنسان بحادثة قوم عاد الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية. وهكذا عوقبوا على أعمالهم القبيحة بعين العمل.

٢- نهض عام تسعة وثلاثين<sup>(٣٨)</sup> لاحتلال قلعة اختمار الواقعة بين بحيرة وان وأرجيش، وكانت في القديم من أعمال ولاية روژكي = بدليس ثم خضعت لتصرف حكام شنبو، وأعد لانتزاعها منهم عدداً من السفن أغار بها عليهم ونزعها منهم قسراً، حتى صرع حاكم القلعة رستم بك بن ملك بك حكاري في تلك المعركة برصاصة من بندقية فقتلته.

٣- استرد منطقة إسعدرد- التي استولى عليها حاكم بختي = بوطان ظلماً وزوراً، فردها إلى صاحبه الملك خليل حاكم حسنكيفا - حصن كيفا.

(٣٥) هو الشاه إسماعيل الصفوي الأول مؤسس الدولة الصفوية.

(٣٦) هو خالد بك بن شهبوار بك ثالث أمراء عشيرة بازوكي.

(٣٧) ياله من قاس ! لاينسى عمله المنكر ابد الدهر.

(٣٨) هكذا بالأصل، والظاهر عام تسعة وثلاثين وتسع مئة (١٥٣٣م).

ويستفاد من الحكايات السابقة، والروايات المتناسقة ما يأتي:

٤- أنه لما نزع ناحية أرزن من الملك خليل، كان قد فوض زمام تصرفها إلى الأمير محمد بك صاصوني «الوارث الشرعي».

٥- أنه سير الشيخ أمير بلباسي لينجد عز الدين شير حكاري، وبذلك رفع سيطرة عشيرة محمودي التي تمكنت بمدد من القزلباش من الهيمنة على ولايتهم.

٦- إنه أسعف عوض بك محمودي الذي كان قد ألقاه أوركمز سلطان القزلباشي في غيابة السجن بقلعة وان فأخرجه من السجن قهراً كما ذكرنا سابقاً.

أما المباني الخيرية التي أقامها شرف خان، فهي جامع ومدرسة وزاوية، بناها جميعها في مدينة بدليس، وسماها (شرفية) مع قيصرية ونزل فسيح ذي طابقين، ووقف قرى جميلة ومزارع وحوانيت وطاحونة مائية تدر الخير الكثير والحاصلات الوفيرة، ووصى بالتولية إلى أولاده الذكور بطناً بعد بطن إلى الأبد. وخصص لنفسه بجانب من الجامع المذكور بقعة ليدفن فيها، بنت عليها عقيلته شاه بيگي خاتون بنت علي بك صاصوني بعد وفاته قبة شاهقة، وخصصت بعض الموقوفات لحفاظ القرآن لیتلوا في غدوات كل يوم وأمسياته أجزاء من القرآن الكريم عند مزاره الشريف، وما يزالون مداومين على القراءة. ٥.

#### الوجه الرابع:

#### في ترجمة الأمير شمس الدين بن شرف خان

لا بد أن يتجلى لأهل العلم والعرفان وللواقفين على أسرار الكون، كجلاء الشمس الساطعة المنيرة للعالم ولمعان الصبح الصادق، أنه إذا أراد القادر المختار عز شأنه أن يمكن رجلاً محظوظاً من عرش الدولة عالي الشأن رفيع المكانة، وأن يكلل هامته الحاكية الفرقد بتاج الحكم الوهاج، أنعم عليه في باكورة تباشير صبح دولته، ومبادئ أيام حشمته، هبة التربية، ليتصف ذلك المحظوظ بصفات الجلال والجمال، والإقبال والانتقال، والإنعام والانتقام، واللطف والعنف، والحب والغضب، والكسل والنشاط؛ ويشرق عليه من أفق لطفه شمس مقالة: «خمرت طينة آدم بيدي أربعين

صباحاً»، ويقرن آية: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) المظنونة بآية: (ليس لك من الأمر شيء)، ويعقب غزوة (بدر) اللامعة كالبدر بكارثة (أحد) المفتتة للأكباد. وهذا هو البرهان الواضح على عدم إمكان الحلول دون تقرر سرير الحكم وعرش الإمارة وبقاء الحشمة ودوام النظام، والتبيان اللائح على عدم الاستطاعة من دون حدوث الانقلابات الغربية والانتقالات العجيبة وعلى صدق هذه المقالات وشرح هذه الحالات، هو ترجمة (شمس الدين خان). فقد تمكن في بدء أمره من تولي الحكم مكان أبيه متسناً عرش الإمارة في بدليس. ثم أدت به قلة عناية السلطان الغازي<sup>(٣٩)</sup> وعدم مساعدة الحظ إلى أن يهجر وطنه.

وتفصيل هذا الإجمال هو أنه: لما قتل الأمير شرف في تاتيكا واعتز بالشهادة، جاءت عشيرة روژكي بصاحب الترجمة من قلعة اختمار إلى بدليس، وولته أمر حكومتها، ووضعت رقابها في ربة طاعته. وفوضت شؤون الولاية من الرتق والفتق والقبض والبسط إلى الحاج شرف بن محمد آغا كلهوكي. فلما مضت سنة وستة أشهر على توليه الحكم، وكاد ينتهي عام واحد وأربعين وتسع مئة (١٥٣٥م) ولي السلطان سليمان خان بتحريض من أولمه (إبراهيم باشا الوزير الأعظم) قيادة الجيش، وسيره إلى آذربيجان. فلما تالأت رايات الجيش المبشرة بالظفر في ضواحي دياربكر، ذهب شمس الدين بك يستقبله، وقد حمل إليه تحفاً ثمينة وهدايا نادرة. فلما بلغ المعسكر، تلقاه إبراهيم باشا بحفاوة وإعزاز واحترام. ثم أعطاه عهداً بولاية بدليس بالنيابة عن السلطان، فصحب الجيش إلى تبريز.

فلما اتصل نبأ هذه الحملة بمسامع الشاه طهماسب<sup>(٤٠)</sup>، أرجأ تنظيم شؤون خراسان وعطف عنان العزيمة إلى آذربيجان. فلما شاع في تبريز نبأ عودة موكب الشاه من خراسان وبلغ مسامع إبراهيم باشا الوزير، أوفد إلى السدة السلطانية السنية من يسابق في عدوه ريحي الشمال والصبا فيخبر السلطان بتوجه الشاه طهماسب صوب آذربيجان، ويطلب توجه الموكب السامي إلى بلاد العجم «إيران». فجهز السلطان رحله، ونهض بجيش ينيف على عدد النجوم وتعجز الأفلاك من

(٣٩) يعني به هنا وفيما بعد السلطان سليمان القانوني.

(٤٠) هو الشاه طهماسب الصفوي.



إحصائه، ويقوة حيرت العقل الدراك من تعداده، من دار السلطنة «القسطنطينية = الآستانة» المحمية إلى تبريز. فصادف وصول موكبي السلطانين إلى آذربيجان في شهر واحد. فتبع السلطان الغازي الآداب والقوانين العثمانية، وأعلن عزمه على غزو العراق<sup>(٤١)</sup> حتى خرق صيت عزمه الفلك، واسمع قرعة الحرب آذان الصغار والكبار، وعمل برأي الأمراء العظام، فانتخب رجالاً شاهدوا الحروب مراراً وحضروا صفو القتال كراراً، وبدت منهم الشجاعة والبسالة، فجعلهم في طليعة جيشه ليتمكنوا بقوة ساعدهم وبضرب السيوف اللماعة من الغلبة على العدو، فنظم قلبي الجيش وجناحيه تنظيماً أحكم من سد الإسكندر. وهكذا قصد العراق، فبرز له الشاه طهماسب متقدماً في زحفه حتى وصل إلى السلطانية. إلا أنه لما وقعت في تلك الآونة بين جنده القزلباش منافسة حادة بلغت أقصى مراتب الخصومة، ولم يبق حول رايته إلا ثمانية آلاف فارس، لم يتمكن من الوقوف أمام الجيش السليمانى الجرار، فقفل راجعاً إلى در جزين = در گزين وهمدان.

بيد أنه برغم تحول الميزان واجتيازه ست عشرة درجة من درجاته، أغار جيش الثلج، وزحفت قوة القر وجنود الزمهرير على ولاية العراق، واشتد الخطب حتى سد طرق المرور على الجيش المنصور، وتعرض الكثير من رجال (الروم = العثمانيين) إلى التلف، ومنيت الخيل والجمال والدواب الكثيرة من جيش السلطان بالتلف من شدة البرد ونفاد القوات<sup>(\*)</sup>. وكان هذا من آثار عين سوء عاينت الجيش الإسلامى. فاضطر السلطان أن يترك أولمه مع الإغرق والإنكشارية في تبريز<sup>(٤٢)</sup>، ويتوجه بنفسه شطر مدينة السلام «بغداد». فلما سمع محمد خان شرف الدين أوغلي التكلو الذي نيظت به إيالتها نبأ قدوم الموكب السلطاني، حار في أمره كمنلة ضعيفة وذرة دقيقة فأزمع

(٤١) العراق العجمي بلاد الجبل.

(\*) أحيل القاريء الكريم إلى كتاب مذكرات مأمون بك بن بگه بگ حول قصة مغادرة بغداد والتوجه إلى تبريز، ترجمة شكور مصطفى وجميل روژياني وكذا مدونة «وقعة ثوس» المرافق للسلطان سليمان الغازي في جملته على تبريز بوساطة الأمير بگه بگ و آخيد محمد بك، من طريق قره حسن ودريند إيمان شاه «دريند بازيان» وسرجنار وقزله والخ... ش.م.

(٤٢) دخل الجيش العثماني الزاحف بعد مشقات جمة وحروب طاحنة مدينة تبريز في غرة المحرم سنة ٥٤١ هـ تموز سنة ١٥٣٤م).

على الهرب، فأدخل أهل بيته في سفن أقلع بها إلى شوشتر ودفول من دون أن يخوض غمار الحرب أو ينازل العدو. وهكذا تم فتح بغداد للسلطان الغازي من غير قتال، فأقام بها شتاء تلك السنة<sup>(٤٣)</sup>.

كان شمس الدين بك قد حضر هذه السفارة في ركاب السلطان المظفر، فاستأذن منه وعاد إلى ولايته بدليس ثم لما حل موسم الربيع ورجع السلطان الغازي<sup>(٤٤)</sup> عن طريق آلتون كوبري = پردي إلى آذربيجان. وعلا صيت رجوعه حتى شق عنان السماء وجاء أخلاط وضرب بها سرادقات أمنه العالية وشاذروانه الشاهق البالغ في العلى الأوج، أحضر الوزراء العظام بإغراءات أولمه، الشؤوم شمس الدين بك في الديوان السلطاني العامر، وقالوا له: «إن السلطان يطلب منك النزول عن بدليس، على أن يعوضك عنها بمنطقتي ملاطيه ومرعش على طريق الاقطاع التمليكى. فبادر شمس الدين إلى الإجابة وقال: إن رؤوسنا وأرواحنا وأموالنا جميعها تحت إمرة السلطان.

ولقد كان الرجل المسمى محمد عمادان من قبيلة بايگي، وهو من عماد رؤساء عشيرة روژكي، حاضراً في الديوان الهمايوني عند وقوع هذه المحاورة، فخاطب الأمير شمس الدين باللغة الكردية قائلاً: «لئن خرجت ولاية بدليس أو بالأحرى كورة روژكي الوراثة من تصرفنا، فماذا تجدنا الحياة بعدئذ؟ وهلا تأمر أن نهجم على إبراهيم باشا الوزير الأعظم فنجعل جسده نخاريب بسنان خناجرنا ونتخلص من شره؟ مع أنه احتشد هنا زهاء خمسين ومئة نفر من عشيرة روژكي؛ فلنقتل جميعاً في سبيل الذود عن الوطن لنخلد على صفحات الدهر ذكراً! فأجابه شمس الدين بقوله: إننا لم نتلق من السلطان ولا الوزير قلة عناية. أما الذي نلقاه، فهو من إغراءات أولمه. وقيل نظماً.

---

(٤٣) دخلها جيش السلطان سليمان القانوني في جمادي الآخرة سنة ٩٤١هـ (ديسمبر ١٥٣٤م). وهكذا تم استرداد بغداد من غير قتال ولا إراقة دماء. إلا ان السلطان سليمان لم يرقه هذا الفتح الوادع، فبادر إلى القضاء على حياة أمير كردي يدعى شفقت بك مع سبعة من رجاله ظلماً وزوراً، ليبارك بعمله هذا الفتح.

(٤٤) غادر بغداد في ٢٨ رمضان سنة ٩٤١هـ (مارس سنة ١٥٣٥م).

بلند اقبالي دشمن بلاييست وگرنه، كوه كن<sup>(٤٥)</sup> مردانگي كرد  
(إن علو نجم العدو بلاء. وإلا فأن ناسف الجبل<sup>(٤٦)</sup> لم يأل جهداً من إبداء  
الغيرة).

كان بكر بك الروزبهاني «الروزياني» الذي كان قبلئذ رئيس ممالك آمد = ديار  
بكر وقد فوضت إليه في تلك الآونة إدارة شؤون سنجق عادل جواز يستمع إلى  
محاورتها. فنأدى شمس الدين باللغة الكردية قائلاً:

حذار من أن تعمل بنصيحة الجهلة من الأكراد! فهب أن بدليس انتزعت منك  
أياماً، فما دام رأسك حياً فإن الكورة الوراثة ستعود إليك...!

ثم لما رفعت كلمات شمس الدين المتفجرة عن قلب مخلص إلى السلطان عطف  
عليه فمنحه الخلع السلطانية، وجواداً رصع سرجه ولجامه وسلسلته بالذهب ومقرعة  
ذهبية، وأعطاه عهداً بإيالة ملاطية، وأنعم بعهد إيالة بدليس على أولمه. وهكذا  
تخلى شمس الدين عن قلاع بدليس، وسلمها إلى عمال السلطان وسير زهاء خمسة  
عشر نفرًا من أعيان روژكي لتسلم الأمور في ملاطية..

وبعد أن تحرك الموكب السلطاني توجه شمس الدين نحو ملاطية، فسلك طريق  
صاصون بأهله وعباله إليها. وكان حاكم صاصون آنئذ سليمان بك عززاني فصادف  
أن التقى به، فمنعه من الذهاب إليها قائلاً: تعلمون أنه لم يبق من أسرتكم العريقة  
من يرث الإمارة الوراثة غيرك.

وإن جماعة الروم = العثمانيين لا يعتمد عليهم بتاتاً. فلو قضوا عليك خيانة،  
لانقرضت بك سلالة حكام بدليس أبدياً! فأهابت به كلماته، فجبن وتردد في  
الذهاب إليها فاتفق أن كان الشاه طهماسب حينئذ في أرجيش، وقد جهز عبدالله  
خان أوستاجلو ومنتشا سلطان ليشنوا غارات النهب والسلب على ناحيتي أخلاط  
وموش. وكان يخاف من أن ينزل جيش القزلباش ضرراً بعشائر روژكي فاضطر - لما  
ذكرناه - أن يرفض الذهاب إلى ملاطية ويعطف عنان عزمته شطر البلاد القزلباشية  
«إيران» حيث عرض طاعته على حكومتها، وتوجه بأسرته ورحله إلى تبريز. وانتهز

(٤٥ - ٤٦) يعني به فرهاد عشيق شيرين الفاتنة، الذي عهد إليه نحت الجبل الصخري.

ستة نفر من رؤساء روژكي الفرصة فاصطحبوه إليها .

فلما أدرك أوله ما ذكرناه أوجس في نفسه خيفة فترك بدليس وتبع السلطان الغازي إلى ديار بكر. فلما ظلت قلعة بدليس مسيبة الأمر لا صاحب لها ولا محافظ، فصلت من إيالتها نواح أربعة، هي: أمورك وخويت وبوغناد وكرنج، عد جميعها سنجقاً «لواء» واحداً نيظ أمره بالوجيه إبراهيم بك بن الشيخ أمير بلباسي برغبة من أوله. فأخضع إبراهيم بك قلاع أمورك وكلهوك<sup>(٤٧)</sup> وبوغناد لتصرفه.

أما قلندر آغا، فلما لم يتحقق أمله ولم يراع كما كان يتوقعه، اتفق مع دده بك قواليسي والأمير محمد ناصرالديني وزهاء أربع مئة نفر من وجهاء روژكي، فأعلنوا الثورة على أمير اللواء في بدليس. ثم هجروا وطنهم متجهين بأهل بيوتهم وأسرههم إلى آذربيجان. فلما قدموها، ازداد الشاه طهمااسب عناية بالأمير شمس الدين بك، ومنحه لقب خان، ونظمه في سلك أمراءه العظام وأعطاه منطقة سراب ومضافاتها مع أصقاع أخرى. كما أنعم عليه في بعض الأحيان بمنطقة مراغة وملحقاتها تارة ودماوند ودار المرز تارة أخرى. وبمناطق گروهرود وجرود وفرهان في العراق حيناً آخر.

كان شمس الدين بك يقضي معظم أوقاته في المربع والمشاتي بملازمة الركاب الشاهي. وقد أدخل نحو خمسين ومئة نفر من وجهاء عشيرة روژكي في عداد الحرس الشاهاني «القوروجيين» العظام والحجاب. من جملتهم الشيخ أمير بلباسي ودده بك قواليسي اللذين فازا برتبة الرئاسة «يوزباشي گري» الجليلة.

بعد أن غادر دده بك ومير محمد وقلندر آغا أوطانهم استراب خسرو پاشا أمير ديار بكر من حالة إبراهيم بك. فأوفد إليه من يدعوه إلى ديار بكر. إلا أنه خاف على نفسه، فلم يلبه. بل شرع في تحصين قلاعه ممتنعاً من الذهاب إليه. فلما عرض نبأ تمرده على السلطان، أنفذ الأمر المطاع إلى جميع أمراء كردستان أن يحملوا عليه ويبدلوا المجهود في أسره، فلبى الأمراء الأمر وأغاروا عليه وحاصروه في قلعة كلهوك، حتى إذا ضاقت الحال بالمحصورين، عندئذ تشبث إبراهيم بك بالصلح على أن يؤمن على حياته. فأوفد أخاه قاسم آغا إلى خسرو پاشا راجياً عفوه، فوعده

---

(٤٧) لعل قلعة كلهوك هي قلعة كرنج نفسها. أو إنه احتل هذه القلعة إضافة إلى القلاع الأخرى.

بالصفح عنه على أن يقصده بنفسه بيد أن إبراهيم بك لم يكن ليأمن جانبه، لذلك أوفد أخاه الشيخ أمير إلى الأمراء الذين حاصروه يلتمس منهم أن يسمحوا لأخيه بالذهاب إلى ملاقاته الباشا ليطلب منه إرجاء أمر ذهابه إلى ما بعد رفع الحصار من القلعة، ثم يذهب لزيارته ليعتذر عما اقترفه من الخطايا. فلما بلغ الأمراء معروضاته أبى القبول وأنفذ القتل في أخيه قاسم آغا الذي جاءه وافداً. كما أنفذ الأمر إلى الأمراء أن يودوا بحياة أخيه الشيخ أمير الموفد إليهم أيضاً ويواصلوا حصار القلعة. إلا أن الشيخ أمير وقف على هذا الأمر من أحبباء أطلعوه عليه قبل حلول الوقت، فاهتبل فرصة اقتراب صلاة المغرب فخرج بحجة التوضؤ من عند الأمراء واختفى بين غابة قريبة، ولاذ منها بالفرار. فدخل بين ظهراي عشيرة حكاري. ثم توجه منها شطر البلاد القزلباشية.

فلما وقف إبراهيم بك على مقتل أخيه قاسم آغا وفرار أخيه الشيخ أمير ألقى بنفسه في قلعة أمورك. ولم يلبث فيها طويلاً حتى خرج منها وتوجه نحو القزلباش. أما بقية المحصورين في القلعة، فقد طلبوا العفو والأمان، فنزل الأمراء عند توسل بهاء الدين حاكم حزو = حظو لعفوهم، فأجابوهم إلى ما التمسوه وأخرجوهم منها سالمين ثم دمروا القلاع الثلاثة حتى جعلوها قاعاً صفصفاً. أما إبراهيم بك، فلم يتلق عطف الشاه طهماسب ولا عناية شمس الدين خان. بل هام على وجهه في إيران زهاء سنتين. ثم عاد إلى بلاد (الروم = المملكة العثمانية). فتقلد سيفاً ولبس كفنًا. وقصد السلطان سليمان<sup>(٤٨)</sup>. فأشرفت ميامن عطفه على جرائمه وعفا عنه. ثم نيظ به أحد السناجق في ولاية (روم إيلي = شبه جزيرة البلقان). فقضى فيها بقية حياته، ثم قتل بأيدي مماليكه.

أما الشيخ أمير فقد فاز في بادىء الأمر بأعطاف الشاه<sup>(٤٩)</sup> وشملته أطفاه حتى فوض إليه منصب رئاسة «يوزباشي گري» الحرس الشاهاني «القروجين» العظام، المؤلف من الأكراد الذين أومأنا إليهم سابقاً. ولكنه سقط أخيراً عن الأنظار بسبب انهماكه في تدخين الأفيون، وتغير عليه السلطان والأهل والجند، ولم يزل هكذا حتى

(٤٨) يعني السلطان سليمان القانوني.

(٤٩) يعني الشاه طهماسب الصفوي.

حدود سنة خمس وستين وتسع مئة (١٥٦١م) حيث اتخذته الفقير وكيلاً عنه في شيروان، ثم وافته المنون.

أما دده بك فقد أقصي أخيراً عن منصب رئاسة «بوزباشي گري» الحرس الشاهاني في طهران، وجاء مع أربعين نفرًا من الحرس الشاهاني من أبناء عشيرة روژكي يخدم والدي العزيز، ويتولى عنه النيابة في بعض أموره. حتى إذا حلت سنة ست وخمسين وتسع مئة (١٥٥٠م) ذاق المنون قتلاً في كردستان، واعتز بالشهادة. ثم إن شمس الدين خان سئم أخيراً من الملازمة، وفضل العزلة، فخصص له مرتب قدره مئتا تومان، أي ما يعادل مئتي ألف آقچه عثمانية، يتقاضاها من جبايات مدينة إصفهان ليرفقه بها عن نفسه، وأعطى أمراً يتضمن استثناءه من تلقي الأوامر والنواهي في حالتي الحرب أو السلم وأجيز له أن يقيم في المدينة المذكورة. ولما قضى عشر سنوات على هذا المنوال واتفق أن تخلص الشاه إسماعيل الثاني<sup>(٥٠)</sup> من قلعة القهقهة، وجاء إلى قزوین واعتلى عرش السلطنة، أوفد من يذهب به إليه، وكان آتذ قد طوى سبعاً وستين مرحلة «سنة» من مراحل الحياة «العمر» قضى معظمها في اضطراب وعناء، يضاف إلى ذلك أن الأفيون وسائر المخدرات قد أيبسا دماغه، ولم يكن ليبالى بملازمة الخواقين، وكان يفضل الانفراد والاعتزال من الناس.

#### ⚭

مجردان تو از یاد غیر خاموش اند بخاطری که توئی، دیگران فراموش اند (إن النازعين إليك نسوا غيرك، فضمير أنت فيه، غيرك مهملون فيه). وقد كان في هذه المدة الأخيرة أثر فيه فراق أولاده ذكورهم وإناثهم، وانقطاعه عن عشيرة روژكي. فلما قدم قزوین، اتفق أن جميع أولاده وكبارهم وصغارهم مع أعيان عشيرة (روژكي)، حاضرين هناك، فابتهج قلبه برؤيتهم وغمره الفرح. إلا أنه لم يطل به الوقت حتى تغير مزاجه الشريف وانحرفت صحته واشتد به المرض فسمعت نفسه نداء: (ارجعي إلى ربك راضية مرضية) وتلقت بشرى: (فهو في عيشة راضية، في جنة عالية). فانتقل إلى رحمة ربه.

(٥٠) راجع (ص ١٦٧) لمعرفة حياته.

(٥١) يعني الشاه طهماسب الصفوي الأول.

او رفت و گذشت ازین گذرگاه      وان کیست که نگذرد از این راه؟  
 راهیست عدم که هر که هستند      از افست تیغ او نرسند  
 جاوید بهشت جای یاش      جا در حرم خدای بادش  
 (لقد رحل واجتاز هذا الممر، فمن الذي لا يسلك هذا الطريق؟ إنه طريق الفناء،  
 ولكن ليس بين الموجودات من يتخلص من حدة سيفه. فلتكن جنة الخلد مأواه،  
 وليكن مقامه في حريم الله).

وقد أعقب ولدين، أحدهما: شرف - جامع هذه الرسالة - والآخر خلف. قضى  
 الأخير بعض الوقت في سلك الحرس الشاهاني «القوروجيين» لدى الشاه  
 طهماسب<sup>(٥١)</sup>، ثم تدرج في الترقى حتى فاز برتبة الرئاسة «يوزباشي گري» وبقي  
 متولياً ذلك المنصب بضع سنين. وأخيراً فاز على عهد الشاه سلطان محمد<sup>(٥٢)</sup>  
 بمنصب الإمارة، وصار من المقربين لدى حمزة ميرزا<sup>(٥٣)</sup>. فلما قتل حمزة ميرزا،  
 عرض طاعته على سدة السلطان مراد خان<sup>(٥٤)</sup> السنّية فمنح إمارة سنجقي الشگرد  
 وملاذگرد.

(٥٢) هو الشاه سلطان محمد خدا بنده الصفوي.

(٥٣) كان حمزه ميرزا هذا من القواد الإيرانيين الباسلين. فقد تصدى لقائد الطلائع العثمانية في  
 صوفيان. وكسره شر كسرة. وهزم فريقاً آخر. ثم هزم جيش جفاله زاده سنان باشا في (١٢ ذي  
 القعدة سنة ٩٩٤هـ (٢٥ أكتوبر سنة ١٥٨٥م)، والتقى به بعد أربع سنوات من ذلك بجيش  
 الصدر الأعظم فألحق به هزيمة منكرة. وقد كتب له الانتصار في نحو أربعين معركة. وأخيراً قتل  
 غيلة وهو نائم على أيدي رجال عشيرة تركمانية موالية للعثمانيين.

(٥٤) هو السلطان مراد خان الثالث.

## الذيل

في ترجمة الفقير الحقير<sup>(٥٥)</sup> ذي الباك الكسير ، من حين الولادة حتى الحال  
والتاريخ يدخل عامه الخامس والالف بعد الهجرة (١٥٩٦م)

۱۶

منم چو گوی، میدان فسحت، مه وسال  
نخست باز فتادم به پشت يك چندی  
نکرده هیچ گنه، لیک چون گنه کاران  
قدم زرفتن لنگ. و کف از گرفتن شل  
زنوک هر مژه خون جگر بیفشاند  
وز آن پسم نرسیده هنوز قوت عقل  
ز حجر مرحمت مادرم، کشید بحیّز  
بدست صنع معلم سپرد دست مرا  
فشانده جان مرا در زمین استعداد  
گشاده باصره را، از نقوش خط بیان  
رساند ناطقه را، در وجود لفظیشان  
ز حرف حرف کلامم، هجا کنان گذراند  
در آن سبق، چو زبانم، شکال را برداشت  
ز بای بسملة تاختم سین ناس مرا  
در امدم پس از آن، در مقام کسب علوم  
ز نحویان طلبیدم قواعد اعراب  
ز علم فقه و اصولش، تمام دانستم  
شد از رواة حدیث و اثر مرا روشن  
نشد ز علم مجرد، چو کام من حاصل  
صفیر ذکر زدم، بالعشی والإشراق  
ز ذکر و فکر رسیدم بمشهدی، که گرفت  
وجود واحد و نور بسیطرا دیدم  
نمود کثرة ظاهر ز وحدت باطن

ز صولجان قضا، منقلب ز حال بحال  
بدان مثابه که باشد طبیعت اطفال  
بمهد تربیتم بسته، دست و پا بدوان  
دهان ز خوردن بند، و زبان ز گفتن لال  
نیامده بدهان، شیر صافیم چو زلال  
بپایه، که یمین را جدا کنم ز شمال  
عنایت، پدر مشفق حمیده خصال  
بپای طبع من از عقل او نهاده عقل  
ز حرفهای هجا، تخم علم و فضل و کمال  
ره نظر، بعروسان عنبرین پر و بال  
بمنتهای بیان در مجاری أقوال  
چو رهروی که بپایش نهاده اند شکال  
شدم روانه بمقصد، بکام استعجال  
عبور داد برین منهج و برین منوال  
ممارسان فنون را فتاده در دنبال  
ز صرفیان شنویدم ضوابط اعلال  
که چیست، مستند حکم هر حرام و حلال  
ره یبیمبر و آیین صحب و سیره آل  
بر آن شدم که کنم آن علوم را اعمال  
ندیم فکر شدم، بالغدو والآصال  
حجاب کون، ز وجه حقیقت اضمحلال  
عیان بصورت أضواء و هیأت أطلال  
بسان ذروه آتش، ز شعله جوال

(٥٥) یعنی المؤلف بالفقير الحقير هنا وفيما بعد نفسه. فليتفطن له.